

محمد محجوب مآلك

المقاومة الداخلية بحركة المهديّة

(١٨٨١ - ١٨٩٨ م .)

دار الجيل



المقاومة الداخلية
لحركة المهديه

مَجْلَدٌ مَحْبُوبٌ مَسَائِكُ

المقاومة الداخلية بحركة المهديّة

(١٨٨١ - ١٨٩٨ م.)

دار البصائر
بيروت - لبنان

مجموع الحقوق محفوظة
للمناشو

الطبعة الاولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مَقْدِمَةٌ

بدأت فكرة هذا البحث ، تخطر في ذهني عندما كنت أفرس وثائق
دفاتر صادر المهدي (١) .

ففي مقتبسل عملي بدار الوثائق المركزية كلفت بأن أضع فهرسا
للوثائق الواردة في هذه الدفاتر ، بأن أبيِّن راسلها والمرسل اليهم وتواريخ
الصدور ، وأن أضع ملخصات لمواضيع الخطابات وأن أرصد بعض
الموضوعات الكبيرة . وكانت الدفاتر تبلغ سبعة عشر دفترا ، وبها ٦٢٢٤
رسالة منها ١٦٣ رسالة صادرة باسم المهدي والباقي صادر عن الخليفة
عبدالله ، إما بصفته نائبا عن المهدي أثناء مرضه أو نائبا عن المهدي في
الايام التي تلت وفاة المهدي ، واما بصفته خليفة للمهدي ، والرسائل التي
صدرت عنه بالصفة الاخيرة هي الغالبة . وبدأ تسجيل الرسائل في ربيع
الاول ١٣٠٢ هـ وأستمر حتى عام ١٣٠٥ هـ .

في هذه الفترة القصيرة أي ما بين منتصف ١٣٠٢ هـ ومنتصف ١٣٠٥ هـ
ويوافق ذلك ١٨٨٥ - ١٨٩٠ م ، كانت تتم تحولات خطيرة في حركة

(١) هذه الدفاتر محفوظة بدار الوثائق المركزية تحت رقم : مهدي ، القسم
الثالث .

المهدية ، فقد سقطت الخرطوم وبدأ معسكر المهدي يقوم في أم درمان والتي أصبحت فيما بعد عاصمة هذا النظام . ثم توفي المهدي وخلفه الخليفة عبدالله ، وبذلك تغيرت رئاسة النظام تغيرا جذريا وأفضت الى مشاكل تنصل بأصل النظام وبوضعها في العاصمة والاقاليم . وبالقبوات الانجليزية ، التي كانت تنسحب شمالا ، هزمت قوة صغيرة من قبوات المهدية في بلدة جنس (٢) ثم مضت شمالا لتستقر في حلغا والتي أضحت آخر نقطة للقوات المصرية جنوبا . وقد خلقت هذه الهزيمة رد فعل كان من نتائجه ابعاد محمد الخير عبدالله خوجلي ، عامل عموم المهدية في دنقله وبربر وأجد الشخصيات الرئيسية . وبتغير رأس النظام ، تغيرت موازين النظام ، فأضحى بعض الانتصار معارضين ، بينما تحفز البعض ، لمزيد من السلطة والقوة . وبعض المؤيدين غير رأيه في النظام كله وفي فكرة المهدية على اعتبار ان المهدي قد توفي قبل أن يوفي بما وعده . وبعض القبائل أضحت تميل الى البعد ثم الى المقاومة .

هذه الفترة القصيرة التي قضيتها مع هذه الدفاتر ، فتحت أمسامي قضية الصراعات الداخلية في المهدية ، قضية المهدية ضد المخالفين والمعارضين لها ، أو قضية المعارضين لهذه الحركة ، ومع توالي الصفحات وتعاقب الرسائل ، كنت أزداد معرفة وفهما للحوادث التي تحدث في العاصمة ، في كردفان ، في دارفور ، في شرق السودان ، في حدود الحبشة ، في بربو ودنقلا ومختلف مواقف الاشخاص والمجموعات البشرية . ولما فرغت من هذا الامر كان عندي ما أقوله عن هذه الحركات وان كانت افكساري متقطعة وغير مترابطة وغير متكاملة .

ووجدتني أعود الى أمهات مراجع المهدية ، كتاريخ السودان لنعموم

Holt, P. M. : The Mahdist State in the Sudan , P. 127

(٢)

شقير ، الجزء الثالث ، وهو من أهم المصادر التقليدية لهذه الفترة ، وكتاب المهديّة والسودان المصري لونتج^(٣) ، والمهديّة لثيوبولد وغيرها ، فوجدتها تنعّض الى هذه الصراعات تعرضا لا بأس به ، ولكنها تماثلها هنا وهناك بغير رابط وأحيانا بغير وعي بأسبابها ومعللاتها . وهذا دفعني الى مزيد من البحث في كتب المحدثين والرسائل الجامعية . وقد وجدت هذه أيضا تعالج الصراعات حسب مناسبات مواضيع الأبحاث . ولم أجد من توفر لهذه الصراعات بالدراسة والبحث ، فيضعها موضعها الصحيح كموضوع مستقل للدراسة .

على أن الحصييلة التي خرجت بها من هذه المراجعة ، كانت حصييلة كافية لان تدفعني الى أن أجعلها أطروحة ، تحت عنوان « المقاومة الداخلية لحركة المهديّة ١٨٨١ - ١٨٩٨ » وأن أعيد النظر في الآراء والنتائج التي توصل اليها الكتاب في أبحاثهم عن حركة المهديّة من الداخل .

وقبل تنظيم وفتح وثائق المهديّة للبحث العلمي كان السدارسون لتاريخ المهديّة يعتمدون على ما كتبه وونتج في كتابه « المهديّة والسودان المصري » ونعوم شقير في كتابه « جغرافية وتاريخ السودان »^(٤) .

Wingate, F. R. : Mahdism and the Egyptian Sudan (London 1891). (٣)
السير فرنسيس رينولد وونتج (١٨٦١ - ١٩٥٣) ضابط بريطاني ارتبطت صلته بمصر والسودان منذ تعيينه في الحملة الانكليزية ١٨٨٤ - ١٨٨٥ لانقاذ غوردن باشا الى أن صار مديرا لإدارة مخابرات الجيش المصري (١٨٩٧ - ١٨٩٨) وصار حاكما عاما للسودان (١٨٩٨ - ١٩١٧) ثم صار مندوبا ساميا بمصر وأبعد في سنة ١٩١٩ اثر حوادث ثورة ١٩١٩ وتوفي في يناير ١٩٥٣

(٤) نعوم شقير (١٨٦٣ - ١٩٢٢) من مواليد لبنان تلقى تعليمه بكلية البروتستانت (الجامعة الأمريكية فيما بعد) رحل الى مصر وعمل بحملة النيل للفترة ١٨٨٤ - ١٨٨٥ ثم التحق بمصلحة المخابرات المصرية ١٨٩٠ ت ١٩٠٠ وعندما نقلت مصلحة المخابرات الى السودان تولى رئاسة قسم التاريخ الى نهاية حياته .

والاب اهرولدر (٥) وسلاطين (٦) وابراهيم فوزي (٧) وغيرهم من الكتاب المعاصرين لفترة المهدي . ولم يكن بين هؤلاء من يهتم كثيرا بالاحداث الداخلية الا في الاطار العام لمجرى ابحاثهم خاصة ونجت ونعوم شقير ، فقد كانا من كبار رجال المخابرات المصرية الحربية . وكل من هؤلاء كانت له أهداف معينة حددت مسار نظرتهم وآرائهم لتاريخ الثورة المهدي ، ولا يعني هذا اغفال المعلومات والحقائق التي وردت في ابحاثهم .

لقد وفرت دار الوثائق المركزية ، الوثائق الاصلية للمهديه وأوراق المخابرات المصرية التي كانت ترصد حركات المهديه وأخبار السودان مما طوّر الدراسات التاريخية الاكاديمية عمقا واتساعا وتنوعا . لقد سهلت

(٥) الاب اهرولدر Ohrwalder قس نمساوي ، كان تابعا لبعثة الكنيسة الرومانية توسط افريقيا . عند قيام الثورة المهديه كان يعمل بكنيسة الدنج في جبال النوبة . اخذ اسيرا وقابل المهدي في الابيض وسار معه الى بام درمان . هرب الى مصر عام ١٨٩٢ . زار السودان بعد الفتح وتوفي بام درمان في عام ١٩١٢ . نشر في عام ١٨٩٢ كتابا باللغة الالمانية عن تجاربه في السودان . قام ونجت بتحقيق ونشر هذا الكتاب باللغة الانكليزية تحت اسم :

Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp 1882—1892 .

(٦) سلاطين (١٨٥٧ - ١٩٢٢) Rudeif Karl , Von Baren Slatin Pasha نمساوي الجنسية ، عمل بخدمة الحكومة المصرية وحكومة السودان . عمل بالخرطوم للفترة من ١٨٧٤ - ١٨٧٦ مع نائب القنصل الالمانى وزار كردفان ثم عاد الى النمسا . في عام ١٨٧٨ عينه غردون مفتشا ماليا للسودان . وفي عام ١٨٧٩ ترقى مديرا لدار بمديرية دارفور . سلم لجيوش المهديه في عام ١٨٨٤ وظل اسيرا لمدة احدى عشرة سنة بام درمان . هرب الى مصر في عام ١٨٩٥ . عمل مع كتشنر باشا في حملات دنقلا والنيل كمساعد لمدير المخابرات . اورد تجاربه عن السودان في كتابه «السيف والنار في السودان» Fire & Sword in the Sudan وقد ترجم الى عدة لغات .

(٧) ابراهيم فوزي باشا (١٨٥٣ -) بدأ حياته العسكرية بالخدمة في السودان . اصعب به غردون باشا وعمل معه في كل فترات حكمه بالسودان . كان مديرا للخرطوم وقد وقع اسيرا بعد سقوط الخرطوم وبقي بام درمان الى نهاية الدولة المهديه . في عام ١٩٠١ نشر ذكرياته في كتاب اسماه (السودان بين يدي غردون وكتشنر) .

الوثائق دراسة فترة المهديّة من الداخل وظهرت أعمال جديدة عن الخلقية الإسلامية لحركة المهديّة وعن النظم الادارية والاقتصادية وقد اهتم بعضهم بدراسة تاريخ المهديّة على أساس اقليمي كالجزيرة وكردفان ودارفور وشرق السودان . ان مجموعة الابحاث التي كتبت عن الفترة بعد تيسر وثائق المهديّة بشكل منتظم قد دفعت بالدراسات التاريخية الى الامام وقد ازدادت معرفتها بالمهديّة زيادة ملحوظة .

لقد اعتمدت في هذا البحث بصفة أساسية على وثائق المهديّة المحفوظة بدار الوثائق المركزية في الخرطوم وركزت على مجموعة المهدي في كتابة الباب الاول والثاني وركزت على الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله وكبار رجال دولته في كتابة الباب الثالث ووضعت وصفا لهذه المراجع في مقدمة المصادر .

وفي عام ١٩٧٠ أتيح لي أن أقف على الوثائق الخاصة بالسودان والمحفوظة بأرشيف رئاسة مجلس الوزراء المصري وقد سمح لي بتصوير عدد منها . وهذه وثائق تيسّر للدراسة لأول مرة ، وهي تلقي الضوء على التعاون بين السلطات الحاكمة في مصر وبين بعض القبائل التي كانت مناوئة لحركة المهديّة والتي ظلت على اتصال بهذه السلطات بهدف مقاومة حركة المهديّة . وسوف يجد القارئ نموذجاً من هذه الوثائق في الملاحق .

ولقد اطّعت على عدد كبير من المصادر الثانوية وخاصة تلك التي اعتمد كتابها على وثائق المهديّة ، ظهر بعضها في شكل كتب والبعض الآخر في مقالات نشرت في المجلات . كما اطّعت على رسائل جامعية ، لم تنشر بعد ، تكرر أصحابها بالسماح لي بالاطلاع عليها .

ومن أهم المراجع باللغة الانكليزية ، أعمال الدكتور هولت . وفي

مجال التأليف باللغة العربية تحتل أعمال الدكتور أبو سليم مركز الصدارة، وهو يعتبر الرائد الاول في تحقيق وثائق المهديّة . ظهر له كتاب منشورات المهديّة الذي حقق فيه عددا من منشورات المهدي وبعض رسائل الخليفة عبدالله وكتب له مقدمة ضافية أثار فيها كثيرا من القضايا عن حركة المهديّة والنظرة الاسلاميّة لمفهوم الخلافة والامامة والهجرة ونشر أخيرا مخطوطي اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، الاول : سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي . والثاني : الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الجيوش .

استفدت كثيرا من هذه الدراسات في تلمّس أطراف المقاومة الداخليّة لحركة المهديّة ورد الفعل الذي أحدثته الحركة المهديّة في المجتمع السوداني، مما جعلني أعيد النظر في الآراء التي قيلت عن حركة المهديّة ابتداء من أسباب قيامها الى نهايتها .

لقد تجمعت عدة أسباب لقيام حركة المهديّة ونجاحها في الجزء الاوسط من وادي النيل وكان ظهور المهدي المنتظر متوقعا في العالم الاسلامي ، منذ أن بدأت نهاية القرن الثاني عشر الهجري تقترب وكانت الطوائف الدينيّة في العالم الاسلامي تقوم بنشاط ديني كبير . ومن هؤلاء تلامذة السيد أحمد بن ادريس في اليمن وئصال افريقيا والسودان الشرقي والغربي . وعندما أعلن محمد أحمد المهدي دعوته لم تسارع هذه الطوائف للاشتراك في دعوته بل ظلت تراقب تحركاته بحذر وقد تيقن بعضها عند وفاته المبكرة بأمر درمان في ٨ رمضان ١٣٠٢ هـ / ٢٢ يونيو ١٨٨٥ م بأنه ليس المهدي المنتظر .

وهنا تساءل لماذا قامت دعوة المهديّة بالسودان ونجحت فيه دون غيره من أجزاء الدولة العثمانية ؟ ولماذا لم يتجاوب العالم الاسلامي مع الدعوة ؟ وهل كان أهل السودان أكثر تدينا من بقية أجزاء العالم الاسلامي

الآخري ؟ وهل كان سوء الإدارة وعدم الاهتمام بالتعاليم الإسلامية قاصرا على حكام السودان وحدهم ؟ وثمة تساؤل آخر : ما هي الدوافع التي جعلت المهدي يختار الهجرة إلى جبل قدير وينجح في إشعال الثورة في جنوب كردفان بعد أن انطلقت الشرارة الأولى في جزيرة أبا على النيل الأبيض ؟ بمعنى آخر : هل كان نجاح الثورة المهديّة راجعا إلى استراتيجية المكان ومرتكزات الحركة الأساسية المتمثلة في القيادة الشخصية للمهدي وحواريه أم إلى القبائل البدوية التي تحارب للتخلص من دفع الضرائب والاستمتاع بالغزوات الحربية وامتلاك الغنائم ؟ أم كان راجعا إلى الجلابة من سكان المناطق النيلية والذين تضرروا من محاولات الإدارة التركيّة المصريّة لمنع تجارة الرقيق ومن معاكسة الحكام لهم في غرب السودان ؟ هذه أسئلة جوهرية في موضوعنا وسوف نحاول معالجتها .

ولقد وقف عدد من العلماء ومشائخ الطرق الصوفية وزعماء بعض القبائل ضد حركة المهديّة كما قامت السلطات الحاكمة بعدة حملات ضد الحركة ولكنها لم تفلح في القضاء عليها . فما هي الأسباب التي جعلت هذه الفئات تقف ضد حركة المهديّة وما هو الأثر الذي تركته في الحركة وماذا كان رد فعل حركة المهديّة على المقاومة هذه ؟

وقد بدأت الحركة بعد نجاحها تواجه الانقسام من الداخل ، وهذا جعل بعض الاتباع في موقف المقاومة والمعارضة . إن تفكير المهدي السلفي جعله يخلق أربعة مراتب موازية لمراتب الخلفاء الراشدين وقد جعلها لكبار أتباعه والذين لم يكن لهم وضع وظيفي في حياة الرسول (ص) وإنما كانوا كسائر صحابته . ولم يعط النبي لهم قيادة الجيوش على النحو الذي فعله المهدي . وقد عين المهدي كبار أصحابه في هذه المراتب وقسم الجيش إلى رايات أربع ، كانت في مبدأ أمرها موازية لرايات الأقطاب الأربعة . وبعدم استجابة محمد المهدي بن السنوسي لتولي كرسي خلافة عثمان ،

أصبح الخلفاء ثلاثة . وكان لكل منهم راية في الجيش التابع له . وانقسم الجيش اقليميا ، فأبناء الغرب انضموا تحت الراية الزرقاء (السوداء) وقائدها الخليفة عبدالله والراية الخضراء انضم تحتها أبناء النيل الابيض والراية الحمراء انضم تحتها أبناء الجزيرة والمناطق النيلية الشمالية . وقد كانت الراية الزرقاء أكبر الرايات وقائدها أقوى الخلفاء . وفي بادىء الامر احتدم الصراع بين أتباع الراية الزرقاء والراية الحمراء . أبناء الراية الزرقاء يعتمدون على مكانة قائدهم وكثرتهم العددية ودورهم في الثورة وأبناء الراية الحمراء يعتمدون الى قرابة قائدهم للمهدي ومؤازرة أقاربهم الاشراف ، مما سبب للمهدي كثيرا من الحرج .

لقد سبب هذا الصراع شروخا كبيرة في حركة المهدي وأفقدتها التماسك القومي ولو عن كثيرا من اجراءاتها بألوان عنصرية ، خاصة بعد أن انتقلت الحركة من سهول كردفان الى ضفاف النيل ، وفقدت الحركة استراتيجية المكان كما فقدت القيادة المهمة بوفاة المهدي والذي انفتح من بعده باب الصراع على الخلافة والمنازعات بين الخليفة عبدالله والاشراف وظهور حركات يطالب قادتها بكرسي خلافة عثمان ونبوءة عيسى . وعادت بعض القبائل الى موطنها . وكان الخليفة عبدالله مطالبا بتأمين خلافته وبالاستمرار بالجهاد واصدار الاوامر الى كل القبائل بالهجرة اليه فسي أم درمان للانتراك في الجهاد . وقد تصاممت بعض القبائل عن دعوة الخليفة وبعضها جاهرت بالعصيان . من داخل هذه الصراعات، الصراع حول المراتب ، والمنافسة بين رايات الجيش ، والخلاف حول القيادة بعد وفاة المهدي ، وسياسة الهجرة والحزم التي باشرها الخليفة ولجأت حركات معارضة ومقاومة للنظام . اتنا ندرس في هذه الرسالة مولد هذه الحركات وتطورها وانعكاساتها على الحركة .

يشمل موضوع هذا البحث ثلاثة أبواب رئيسية وكل باب ينقسم الى ثلاثة فصول بالإضافة الى هذه المقدمة، وخاتمة تليها الملاحق .

تحدثت في الفصل الاول عن ظهور عقيدة المهديّة في الاسلام وحركات الاصلاح السلفية بغرض المقارنة مع دعوة المهديّة التي أعلنها محمد أحمد المهدي بن عبدالله وصلة هذه الدعوة بالحركات الدينية الاخرى . واقتضى ذلك دراسة بحث فكرة المهديّة في السودان وبينت فعالية العامل الديني في نجاح الدعوة بالمقارنة مع الاسباب والعوامل الاخرى التي ساعدت على قيام ونجاح حركة المهديّة وتتبع بالدراسة والتحليل أثر الاسباب فسي انتشار الدعوة وتطورها وسقوطها والمصاعب الموضوعية التي صاحبت هذا التطور .

أما في الفصلين الثاني والثالث فقد تعرضت لدراسة تاريخ تطور حركة المهديّة في فترة المهدي والخليفة عبدالله بغرض تبيان المواضيع التي برزت منها المقاومة .

وفي الباب الثاني والثالث تناولت بالدراسة والتحليل المقاومة لدعوة المهديّة من وجهة النظر الفكرية ، واستماعة الدولة بالعلماء ورجال الطرق الصوفية في مقاومتها .

وفي الباب الثالث تناولت موضوع المقاومة التي تعرضت لها حركة المهديّة من جراء المعارضة التي برزت من داخل الحركة من الناحية العقائدية ومن جانب موقف القبائل وفقاً لمعارضتها وتقبّلها للحركة من واقع مصالحها التي تكوّنت من وضعها الجغرافي وتطورها التاريخي . وقد شملت هذه الدراسة ، ثلاثة فصول ، تحدثت فيها عن نظام الخلافة في المهديّة والمشاكل التي برزت بسبب هذا النظام وموقف الاشراف وأبناء البلد والموقف القبلي

من الحركة ، ثم ذيلت البحث بخاتمة أوردت فيها ما توصلت اليه من نتائج .

ان هذه الرسالة ، التي توفرت لها مصادر البحث الاساسية، حظيت برعاية عدد من الاساتذة الاجلاء ، الذين أدين لهم بالشكر والعرفان لما قدموه لي من تشجيع وتوجيه وارشاد ، وأخص بالشكر المرحوم الاستاذ الدكتور محمد رفعت رمضان ، الذي كان لي شرف التلمذة على يديه وقد أشرف على بحثي هذا منذ أن كان فكرة ، والشكر للاستاذ الدكتور أحمد دراج على تشجيعه واهتمامه بتحويل الاشراف على رسالتي للاستاذ الدكتور محمد أحمد أنيس ، والذي تفضل بالاطلاع على البحث في مراحلہ الاولى أيام كان تحت اشراف المرحوم الاستاذ الدكتور محمد رفعت رمضان وقد زودني بكثير من النصائح والارشادات التي افسادتني كثيرا وسهلت عملية اكمال الرسالة في مرحلة التحويل الاخير واني مدين لدار الوثائق المركزية ، التي هيكأت لي فرصة الاستمرار في الاعمال الاكاديمية والى مديرها الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم كل الشكر والعرفان والتقدير لما قدمه من تشجيع وارشاد ، كما أشكر أفراد أسرة الدار الذين لم يألوا جهدا في معاويتي وتسهيل مهمتي ، فلهم جميعا الشكر والتقدير .


الباب الأول

المهدية

الفصل الاول : فكرة المهدية

اولا : فكرة المهدية في الاسلام

ثانيا : بحث فكرة المهدية في السودان

ثالثا : اسباب قيام الثورة المهدية وانتشارها وسقوطها ومصاعبها الموضوعية 

فكرة المهديّة في الاسلام

ويعنيها في السودان

وجدت فكرة المهديّة تربة خصبة في العالم الاسلامي واصبحت معتقدا عاما رغم عدم وجود نص قرآني صريح عن المهدي ورغم ان الاحاديث النبوية عنه على كثرتها لم ترد في مصادر الاحاديث المتشددة مثل مسلم والبخاري (١) وكان لهذه الفكرة خطرها في تاريخ الاسلام اذ تلقفتها الفرق الاسلامية وصاغتها حسب اهدافها ، وتحت اعلامها قامت حركات عنيقة في اصقاع مختلفة من العالم الاسلامي ، وكان من نتيجة ذلك ، ان الفكرة كهكرة قد وجدت في المجتمع الاسلامي ، وانها اخذت اشكالا حسب نحل المسلمين وملهم وانها تطورت مع تطور مجتمع الاسلام ثم انها كانت الهاما لعدد من المطالبين بالاصلاح او التصحيح وبذلك دخلت في تاريخ الثورات في الاسلام (٢) .

ان هذه الفكرة الخطيرة باختصار هي ان الله يرسل في آخر الزمان رجلا يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وانه يقم الدين حنيفا ، ثم يأتي بعده الدجال ، ثم يأتي عيسى بن مريم وبعده تنتهي الدنيا (٣) . هذه

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٥٥٥-٥٧٥

(٢) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية ص ٣٩

(٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، ص ٥٥٥

باختصار الفكرة ولكن هناك اختلافات البعض ينكرون والبعض يصدقون ، والمصدقون يختلفون في التفاصيل كمكان الظهور او زمانه وفي صفاته وافعاله .

استعمل اللفظ المعنوي لكلمة المهدي في حديث الرسول « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » ثم بدأت الكلمة تتطور شيئا فشيئا ، فخص اسم المهدي لعلي وحده ، ونشأت فرقة تسمى الكيسانية بزعامة المختار بن ابي عبيد الثقفي وزعم هو وفرقته ، ان محمدا بن الحنفية هو الامام وهو المهدي (٤) .

ويرى بعض المؤرخين ان المختار بن ابي عبيد الثقفي ابتدع فكرة المهدي لان ابن الحنفية ليس من نسل فاطمة بنت الرسول ولذلك سارع المختار الى انتهاج سبيل آخر ، طفق يبشر بوحي من الملك جبريل على ما زعم وينثر مسجوعا غامضا يطبع على غرار القرآن بظهور المهدي فجأة عند انتهاء العالم ، ليملا الارض عدلا بعد ان ملئت جورا (٥) .

قضى مصعب بن الزبير على جماعة المختار ، واباد اتباعه في وحشية بالغة ، ولكن تعاليمه كان لها أثر كبير في عقائد الشيعة . وكان لبني امية مهدي هو السفياي كما كان للخوارج موقف .

ورغم ان الشيعة كانوا اكبر الفرق عداوة لبني امية ، وكانوا اقوى من عمل لاسقاطهم ، الا ان الدولة التي قامت على انقراض دولة بني امية ، كانت دولة العباسيين وليست دولة العلويين ، ولذلك اشتدت معارضة

(٤) احمد امين ، المهدي والمهدوية ، سلسلة اقراء ، اغسطس ١٩٥٦ ص ١٠
(٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة لييب امين فارس ومنير بعلبكي ، الطبعة الخامسة (بيروت ١٩٦٨) ص ١٣٢

الشيعة وكان من أثر ذلك ان قويت فكرة المهدي ، وبدأ الناس يتطلعون الى ظهوره ليملا الارض عدلا بعد ان ملئت جورا وليزيل الآلام التي سببتها الحروب الاهلية والتي اذكى نارها انقسام بني امية على انفسهم والخلاف بين بني امية وبين العباسيين والعلويين من جهة وبين العباسيين والعلويين من جهة اخرى والتي كانت نارها تلهب تلك الاحن والاحقاد القديمة بين مضر وقحطان .

رفع الشيعة والخوارج راية العصيان ، وظلت الحاميات السورية وحدها على ولائها للعرش الاموي ، على حين كان المرابطون من الجنود العرب يشايعون أعداء الحكومة ، وملئت قلوب الثقات من المسلمين تساؤما بالمستقبل .

ولا غرو فقد بدأ عامة الناس ، يدركون انه ليس ثمة صلاح وراء ذلك النظام الفاسد الذي سنه خلفاء بني امية ، وان بقاء ذلك النظام لا معنى له سوى ضياع الاسلام وبدأ الناس يتطلعون الى (المنقذ) وظهرت نبؤة اخرى وهي نبؤة الرجل ذو الاعلام السود الذي يخرج من المشرق ويزيل عرش بني امية (٦) .

هذا من ناحية الفكرة وتطورها على ايدي الشيعة . اما من الجانب الآخر فان فشل الشيعة في الوصول الى الخلافة الاسلامية في الحجاز جعلهم يهاجرون الى اطراف الدولة الاسلامية في المشرق والمغرب واليمن وأن ينشروا فيها افكارهم ، وكان من أثر ذلك ان اصطبغت افكار المسلمين في هذه الاصقاع بأراء الشيعة وافكارهم وكان من ضمن ما

(٦) فان فلوطن : السيادة العربية والشيعة ، والاسرائيليات في عهد بني امية ترجمة دكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم (القاهرة ١٩٣٤) ص ١٢٥

نشروا فكرة المهديّة على الوجه الذي رأوه . وكان من أثر ذلك ان قويت دعاية الشيعة في المغرب حتى افضت الى قيام الدولة الفاطمية والتي انتقلت الى مصر وبقيت بها دهرا طويلا مما ترك اثرا بعيدا في تاريخ مصر وتاريخ الاسلام .

وكان من أثر ذلك ايضا ان تسربت افكار الشيعة الى بلاد كانت بعيدة عن دائرة نشاطهم ودخلت الى معتقدات العامة في مصر والسودان، ونحن نلاحظ اثر ذلك في بعض اتجاهات الصوفية ، كما نجد آثارها في فكرة المهدي عند مهدي السودان ، محمد المهدي بن عبدالله .

ثم جاء المتصوفة وتلقفوا فكرة المهدي واعادوها الى افكارهم ومعتقداتهم وتصوروها في صورة القطب أو العوثل كما تصوروا اتباعه في صورة الاولياء وكان محي الدين بن عربي اكثر من تكلم عنه وافاض الحديث فيه ، حتى وضع امره في صورة حكومة الاولياء ثم اخذ عنه آخرون والثابت من منشورات مهدي السودان ، ومناقشات اصحابه ومخالفهم انهم وقفوا على كثير مما كتبه هؤلاء المتصوفة حتى عهدناهم يرجعون اليهم ويحتجون بما ذكروا فيه . يذكرون ما قاله ابن عربي وأحمد بن ادريس والقطب الدرديري وابن حجر العقلائي وغيرهم (٧) .

وهكذا تعهد المتصوفة يلعبون دورا مهما في تطور فكرة المهديّة وفي تلوين هذه الفكرة بمشربهم الصوفي ، كما تعهدهم يساهمون في تلوين الفكرة في السودان بلونهم ، وهذا امر ننظر فيه بتفصيل في مكان آخر من هذا البحث .

(٧) ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديّة (الخرطوم . ١٩٧٠) ص ٣

ان عوامل الضعف والانحلال التي اقتابت الدولة الاسلامية جعلت المسلمين يرحبون بالقوة العثمانية التي ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي وباسم الاسلام والوحدة الاسلامية استطاع الاتراك العثمانيون السيطرة على اغلب العالم الاسلامي ، غير ان الاتراك العثمانيون لم يبذلوا جهدا يذكر ، في ترقية الحياة الاجتماعية والثقافية فانتشر الجهل والتخلف الفكري في البلاد الخاضعة لتركيا (٨) ولكن ظهرت حركات بعث ذات اتجاهات دينية وسياسية في اليمن ومصر وفلسطين ولبنان والعراق وليبيا والاراضي المقدسة ، كانت تواكبها حركات اصلاحية دينية كالحركة الوهابية وحركة جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومدرسة احمد بن ادريس وحركات صوفية بشمال افريقيا كالحركة السنوية والحركات الدينية في السودان ومنها المهديّة .

بعض هذه الحركات ، حركات دينية صرقة تنحو نحو العودة الى ماضي الاسلام ورفض ما استجد من مدارس ونحل ومائل بعد عهد الخلفاء الراشدين ، وهي الحركات التي تعرف بالحركات السلفية ، مثل حركة محمد بن عبد الوهاب في نجد ، وبعضها حركات اصلاحية فيها بعض التدبّر بحال المسلمين وفيها الامل والطموح لجمع شمل المسلمين وتوحيدهم ، وبعضها رد فعل للضغط الاوروبي ، وهي رافضة له ومقاومة ، وبعضها رافض لهذا الضغط الاوروبي ولكنه ينزع الى الاصلاح الديني ووضعه في موضع عصري ، يأخذ من أوروبا بما يفيد ، ويلفظ ما لا يفيد ، ثم هو بكل ذلك يقاوم التغول الاوروبي ويقف بالاسلام موقف القوة .

كل ذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وكان العالم الاسلامي قد عرف الكثير عن هذه الحركات وتأثر بها .

(٨) الدكتور احمد شلبي ، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية (القاهرة ١٩٦٩) ص ٤٢٦

قامت الحركة الوهابية في قلب شبه الجزيرة العربية ، وهي حركة اصلاحية ، استلهمت أفكارها من مدرسة أحمد بن حنبل ، وكان زعيم هذه الحركة محمد بن عبد الوهاب ^(٩) يرغب العودة بالاسلام الى نقاوته الاولى وتجريده مما علق به من بدع وشرك ، ومحاربة الافكار الصوفية ، وقد سبق ابن تيمية ^(١٠) محمد بن عبد الوهاب في هذه الافكار ، وقد اتحد محمد بن عبد الوهاب مع آل سعود فانتصر مذهبه ، ونجح آل سعود في تأسيس دولة مستقلة تدار وفقا لتعاليم الشريعة كما فهمها وفسرها ابن عبد الوهاب وتلاميذه الذين يعرفون بالاخوان .

(٩) محمد عبد الوهاب (١١٠٦-١١٧٩هـ/١٧٠٣-١٧٨٧م) ولد في اقليم نجد وتلقى تعليمه الاولي على يد والده في المذهب الحنبلي ثم انتقل الى البصرة ودرس على علمائها واتصل بعلماء الحنابلة في دمشق واستفاد من الاطلاع على مؤلفاتهم وخاصة مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وعاد الى بلده الدرعية يجتذب الناس اليه من اهله وابناء الدرعية واحسن ابن سعود وفادته واذن له في نشر تعاليمه فاردادت انصاره واتسعت شهرته وذامت دعوته بمعاونة محمد بن سعود اذ استغل نفوذه وسلطانه وتكاثر الوهابيون وصاروا جندا كبيرا .

(١٠) ابن تيمية : هو تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبدالله بن محمد بن تيمية الحراني ، متكلم وفقه ، ولد عام ٦٦١هـ / ١٢٦٢م في قرية بالقرب من دمشق . درس العلوم الدينية بدمشق . واخذ بالمذهب الحنبلي . برع في علوم القرآن والحديث والفقه والكلام وكان متشددا في محاربة البدع وزيارة القبور مما جلب له عداوة علماء المذاهب الاخرى . وفي القاهرة تعرض للسجن اكثر من مرة لاتهامه بمشايعة مذهب التجسيم . ورغم انه كان على المذهب الحنبلي الا انه كان يعتبر نفسه مجتهدا في المذهب وهو يصرح بأنه يتبع القرآن والحديث في جل مؤلفاته والتي بلغت نحو خمسمائة مؤلف منها سبعة وثلاثين كتابا . هاجم ابن تيمية بقلمه ولسانه كل الفرق الاسلامية وحارب المتصوفة كما حارب في حماس بالغ الفلسفة اليونانية ومنتجها من المسلمين ولم يتفق علماء المسلمين في سنية ابن تيمية ولا زال الخلاف فيه الى يومنا هذا .

« قد هدفت الحركة الوهابية الى احياء السنة ومجاربة الشرك
والبدع وما اليها ، وهذا جعل من المتعذر أن تستقيم لهم الامور سنين
طويلة : حتى تم لهم الامر بحد السيف وغلب السياسة . وعلى خلاف
هذا كان موقف السنوسية من الخلافة العثمانية ومن الاصلاح الديني .
ومؤسس السنوسية هو السيد محمد بن علي السنوسي ، وهو عالم
جزائري ، ولد حوالي عام ١٧٨٧ م وتعلم على السيد أحمد بن ادريس
الفاصي في مكة ثم عاد الى شمال افريقيا سنة ١٨٤١ م وقد أسس عددا
من الزوايا أشهرها زاوية الجغبوب وانتشرت طريقته في واحات الصحراء
الكبرى وسلطنات افريقيا الوسطى . قالسيد محمد بن علي السنوسي ما
كان يريد غير العبادة واقتفاء أثر السلف الصالح ودعوة اخوانه ومريديه
الى الدين القويم الصحيح وارشاد عباد الله لما فيه سعادتهم في الدارين
ولا ينشر دعوته بحد السيف بسبل طريقه الى ذلك التعليم والهداية
والارشاد (١١) .

(١١) الدكتور محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة (القاهرة ١٩٤٨)

بحث فكرة المهديّة

في السودان

لم يكن لهذه الحركات أثر مباشر في المجتمع الاسلامي في السودان، والذي كان واقعا تحت سيطرة الافكار الصوفية ومفهومها للمهديّة الواردة في المصادر الاسلامية التي تكلمت عن المهدي المنتظر وعن الاتصال بغيرهم من المسلمين في البلاد الاخرى عن طريق الحج والتجارة كما اذ حركة الجهاد العقلائي والتي كانت تبشر بقرب ظهور المهدي المنتظر بالشرق، روجت فكرة المهديّة بالسودان وهاجر كثير من قبائل القلاته الى السودان لمقابلة المهدي المنتظر وبالفعل اشترك عدد كبير منهم في حركة المهديّة السودانيّة . هذا مما دفع بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن فكرة المهديّة جاءت الى السودان من غرب افريقيا وان الخليفة عبدالله لعب دورا كبيرا في اقناع محمد أحمد بن عبدالله لاعلان المهديّة وهذا الاعتقاد لا يقيم وزنا كبيرا لخلفية كل من المهدي وعثمان دان فوديو ولا يتعمق في الاختلافات بين قيام الحركتين، كما يجب أن نفرق بين استيراد الفكرة وبين المؤثرات التي مهدت الارضية لسرعة انتشار حركة المهديّة.

وقد كان أثر الجهاد العقلائي اقوى في دارفور وكردفان منه في اقاليم السودان الاخرى . اذ ان دارفور كانت متصلة بالسلطنات الاسلاميّة الممتدة على طول نطاق السافنا، بين الصحراء الكبرى في الشمال وبين الغابات الاستوائية في الجنوب . وفي شرق اقليم دارفور ساسلة عريضة

من التلال الرملية ، تعرف بالاقسوان اما من الناحية الغربية فلا توجد
خواجز جغرافية بينها وبين المساحات الممتدة غربا مثل واداي ، بحرص
ومنطقة تشاد (٢) .

بالرغم من ان سلسلة تلال الرمال الحاجزة بين دارفور وكردفان كانت
تحد من الاتصال فسانها لم تمنع تسدق الهجرات البشرية ففي خلال
القرن التاسع عشر زادت حركة الحجيج عبر السودان بشكل ملحوظ ،
بينما خفت الحركة في طريق الصحراء بين طرابلس ومصر وفي نفس الوقت
فان عملية البحث عن المهدي المنتظر ، زادت مع قرب نهاية القرن الهجري (١٣)
فالى أي مدى أثرت هذه الهجرات في تبلور وقيام حركة المهديّة فسي
السودان ؟ وهل كان قيام المهديّة في السودان نتيجة للاعتقاد الشائع في بلاد
السودان الكبير بظهور المهدي في السودان الشرقي ؟

ان بعض الباحثين يقولون بأن المهديّة السودانية نتاج للحركة التي
نشأت في نيجيريا بقيادة عثمان دان فوديو (١٤) وهم يستدلون على ذلك
بأن ما كتب عن المهديّة في بلاد السودان الغربي وجد طريقته الى السودان

(١٢) الدكتور مصطفى محمد مسعد : سلطنة دارفور ، المجلة التاريخية
المصرية ، المجلد الحادي عشر ١٩٦٣ ص ١٥
(١٣) Al-Hajj, M. A. : The Mahdist Tradition in Northern Nigeria (Un-
published) P. 101 .

(١٤) عثمان دان فودي (١٧٥٤ - ١٨١٧) من قبيلة الفلاني التي كانت
تتألف من عدة قبائل رعوية صغيرة متناثرة تحيا حياة رعوية في اقليم مملكة
الهوسا الوثنية ، واعتنقت الاسلام في وقت مبكر . وفي بداية القرن التاسع
عشر قام الشيخ عثمان بحركة اصلاح دينية كانت تهدف الى محاربة الشرك
والبدع والخرافات التي ترجع الى اصول وثنية وقاد حركة الجهاد الفلاني
ضد مملكة الهوسا وانشأ امبراطورية اسلامية في اقليم نيجيريا وما حولها
ولقب بأمير المؤمنين وفي اواخر حياته تفرغ للعلم وأسند شؤون الامبراطورية
لاخيه عبدالله وابنه محمد بيلو .

الشرقي وأسهم في خلق المناخ الثقافي الذي قامت فيه المهديّة السودانيّة وبأنّ محمد المهدي بن عبد الله لم يعلن دعوته إلا بعد مقابلته للخليفة عبد الله في المسلميّة والذي كان في المقام الأول متأثراً بأفكار بلاد السودان الكبير عن المهديّة (١٥) .

وليست لدينا وثائق توضح دور الخليفة عبد الله في تسيير حركة المهديّة في أطوارها الأولى ، وهذا لا يمنع تأثيره في التحركات الاستراتيجيّة، على خلاف النواحي الثقافيّة أو القلميّة ، ويلاحظ أنّ المهدي لم يشر في منشوراته إلى آراء علماء وفقهاء السودان الغربي عن المهديّة وإنما أشار إلى آراء وأفكار علماء آخرين من أمثال محيي الدين بن عربي وأحمد بن إدريس . ولم يسهم أهالي بلاد السودان الغربي في الحركة الفكرية في المهديّة السودانيّة فقد كان معظم الكتاب والمحررين من أبناء المناطق النيلية ، كما أنّ كل من كتبوا عن المهدي كانوا من السودان الشرقي .

إن فكرة المهديّة اذن لها جذور في السودان بحكم أنّ السودان جزء من العالم الإسلامي وباعتبار أنّه يتأثر كثيراً بالتيارات الفكرية التي تنتشر في العالم الإسلامي وقد ذكرنا كيف أنّ الفكر السوداني قد تلوّن ببعض أفكار الشيعة وكيف أنّ جهاد الفلاني كان يؤثّر في الأفكار الدينيّة وخاصة في دارفور وكردفان وإضافة إلى ذلك نقول أنّ ودضيف الله في طبقاته ذكر بأنّ الشيخ الترابي قد أعلن نفسه مهدياً ، ورغم أنّ حركته لم تنجح ورغم أنّه يمكن أنّ يقال أنّ مصدر الهام الترابي كان راجعاً إلى الحجاز أكثر من كونه راجعاً إلى السودان فإنّ الحادثة تعني وجود الفكرة بين علماء وفقهاء السودان . ويذكر السيد محمد عثمان الميرغني الأكبر، مؤسس الطريقة الختمية ذات التأثير البالغ في السودان المهدي المنتظر في

Al-Hajj, M. A. : The Mahdist Tradition in Northern Nigeria (Un- (١٥) published) P. 101 .

معرض كلامه عن الختم ويقول بأن مرتبة المهدي تقع بين الرسول ومرتبة الختم . وقد ذكر المهدي صراحة في خطابه الى محمد عثمان الميرغني الثاني بأن آباء السيد الحسن الميرغني كان يتكلم في معرض دروسه عن المهدي المنتظر وان زمانه قد قرب .

لقد اختلف بعض علماء السودان وأغلب علماء مصر مع المهدي لانهم كانوا يرون ان فكرة المهدي التي قرأوا عنها في الكتب من ناحية الاوصاف والعلامات الاجمالية للمهدي وقد كانت فكرة المهدي معروفة في السودان ، عن طريق الطرق الصوفية وعن طريق حركة الجهاد الفلاني، التي بشرت بظهور المهدي المنتظر ، والملاحظ ان حركة المهدي في السودان، تختلف اختلافا تاما عن الحركات السابقة . فهي ليست امتدادا لحركات الشيعة ، كما انها اختلفت في طريق الدعوة حسب مفهوم المهدي وحسب الاوضاع السياسية والاجتماعية في السودان . فدعوة المهدي التي أعلنها محمد المهدي بن عبدالله تختلف عن كل الدعوات السابقة ، فهي لا تستمد أصولها من الشيعة أو من المتصوفة ، وانما هي خليط من كل الدعوات السابقة والتي لا يشير اليها . فهو في المقام الاول يعتبر دعوته أمرا من الله ورسوله وهي عبارة عن رسالة كلف بها . فهو تارة يصفها بالامامة ومرة أخرى بالخلافة الكبرى وانه المهدي المنتظر ويشير الى نبيه الشريف (١٦) . ويلاحظ انه لم يناقش الاحاديث النبوية التي وردت عن المهدي واحتج بها العلماء في محاولاتهم لابطال دعوته . وأوضح ان الهدف من دعوته احياء السنة وليس الغرض منها التجديد ، وان حركته، حركة بعثية سلفية ، ترمي الى اعادة الاسلام الى أيامه الاولى وعدم الاهتمام بالاعمال الدنيوية ، مما جعله يهمل مطالب اتباعه ويلقي عاملا الزمن .

(١٦) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، منشورات المهديية (بيروت ١٩٦٩) ، ص ٢٤ .

وبعبارة أخرى استطاع محمد المهدي بن عبدالله أن يكون لنفسه مفهوما دينيا مميّنا ، تجاوز مفهوم العلماء والفقهاء المعاصرين له ولم يابه للحجج التي قدموها لمعارضة دعوته . المتصوفة اعتقدوا ان محمد المهدي ابن عبدالله لم يصل الى مرتبة المهديّة بعد ، والعلماء والفقهاء أفتوا بعدم مطابقة العلامات الاجمالية عليه ولكن محمد المهدي بن عبدالله لم يلتفت لهذه العلامات والشروط وانما أعلن دعوته على أساس انها أمر من الله ورسوله لاهياء الدين . وأضفى على نفسه لقب خليفة رسول الله ونقشها على خاتمه .

وفي بعض منشوراته ذكر بأنه المهدي المنتظر ، وانه تقلد الخلافة الكبرى ، وانه مؤيد بالملائكة المقربين وبالاولياء الاحياء والاموات من يوم آدم الى زمانه ذلك وكذلك الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر وأعطي سيف النصر من حضرة رسول الله وأعلم انه لا ينصر عليه أحد ولو كان من الثقلين الانس والجن (١٧) .

ومن الصعوبة بمكان تحديد المكانة الدينية التي وضع نفسه فيها . فهو خليفة رسول الله وفي نفس الوقت عين أكبر أعوانه في منصب خليفة الصديق . ومن المعلوم ان أبا بكر الصديق لم يدع لنفسه الالهام الالهي وانما انقطع الوحي بوفاة الرسول ولكن محمد المهدي ذهب الى الحد الذي ذكر فيه انه تلقى التحية من قبل الله ، أي ان التأييد الالهي الذي يلقاه في دعوته بصفة خاصة تجعل من الاتصال الالهي المباشر امرا طبيعيا في دعوته . تصور خلافته مسائلة للدور الذي من أجله أرسل الله رسوله ، وهو اظهار الدين الاسلامي ورسم لهذه الخلافة تشريعاتها الخاصة بها المستمدة من الالهام الالهي والتي لا يحق نقضها بل يجب الاقتداء

(١٧) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم : منشورات المهديّة ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .

بها من جميع المؤمنين ، وفي مقدمتهم رسول الله نفسه ما دام لا يملك غير تنفيذ الارادة الالهية التي قام بإبلاغها شخصيا (١٨) .

بمثل هذا المفهوم تصور محمد المهدي بن عبدالله مكاتته الدينية، وأوضح مكانة خليفته الاول في المنشور المشهور . أوضح ان خلافته أمر من الله ورسوله أي ان الرسول أورثه مكانة الصديق ، وان اعماله المخالفة للظاهر يجب أن تحمل على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن، أي انه مؤيد بعلم الباطن . وورد في الحديث النبوي ان لكل آية ظاهرا وباطنا ومطلعا الى أبطن سبعة والى سبعين . فالظاهر هو المعقول المقبول من العلوم النافعة التي تكون بها الاعمال الصالحة ، والباطن هو المعارف الالهية ، والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن والحد ، فيكون طريقا الى الشهود الكلي الذاتي وهكذا يقول ابن عربي (١٩) .

انتقلت حركة المهديية من مرتبة الدعوة الى مرتبة العمل ودخلت في معارك حربية مع الحكومة . فلم يعد محتاجا للدعاية الدينية الا في اطار الرد على رسائل العلماء والتي حررت لبطلان دعوته كما سنبين في جانب آخر من هذا البحث .

ان الانتصارات الحربية أثرت في تطور الدعوة الديني (٢٠) فانضم عدد من الشخصيات والقبائل لمنفعتها وأغراضها الخاصة ، فلما نجحت الحركة طفقت هذه العناصر تبحث عن المطالب التي كانت تسعى اليها فاتخذت موقفا معاديا من الحركة . ومن جهة أخرى انتقلت الدعوة من الاطار النظري الى الواقع المعاش الى أن وصلت الى مرحلة التناقض

(١٨) الدكتور ابراهيم حسن شحاته : مصر والسودان ووجه الثورة في بصيحة العوام (١٩٧١) ، ص ١٥٥ .

(١٩) احمد توفيق عياد : التصوف الاسلامي ، ص ١٨ .

(٢٠) د. مكي شبكة : السودان عبر القرون ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٧٠ .

فحدث رد فعل كان تبيجه سلسلة من الصراع والتنافس في حياة المهدي وانتقل في عهد الخليفة عبدالله الى المجاهرة بالعصيان ، مما كلف الخليفة عبدالله كثيرا من الجهد والمعاناة .

وبعبارة أخرى فان دخول جماعات وفئات أخرى في حركة المهدي أدى الى نوع من الخروج على الدعوة وتعطيلها ، ساهمت هذه الجماعات في تأييد الحركة في مراحلها الاولى ثم انقلبت عليها وانخرطت هذه الجماعات في سلك الحركة لدوافع سياسية واقتصادية واجتماعية . وحكمت العلاقة بين جموع السودانيين وسلطات الادارة التركية المصرية منذ عام ١٨٢٠ ، وتطلعت وسط أحداثها الى منقذ يقودها الى طريق النصر فسي الثورة فكان المهدي المنتظر ، التجسيد الذي علق بالاذهان (٢١) .

فالحركة المهدي ثورة دينية تختلف عن غيرها من حركات الشيعة وأهل السنة . والصلة ضعيفة بين مهدي محمد المهدي ابن عبدالله وبين الشيعة فالمهدي لم يطالب بالخلافة لانه من نسل علي أو فاطمة بنت الرسول كما انه لم يتعرض للخلافة الاسلامية على أساس الانقلاب عليها وانما اعتبر دعوته رسالة كلف بها من جانب الله ورسوله لاهياء الدين وازالة كل المعوقات التي تقف في طريق الاصلاح سواء ان كانت الخلافة العثمانية أو غيرها واعتبر العالم الاسلامي في حالة جاهلية .

وتفاوتت درجات الجانب الديني بين القيادة « المهدي » وبين القاعدة الجماهيرية فالثورة جائبان : أحدهما تمثله جموع السودانيين التي قامت على أكتافهم الثورة وتطلعت اليها قبل اعلان المهدي ، وثانيها يمثلها محمد المهدي وحواريره لقيامهم بالتصدي لقيادة الثورة وتفجيرها وقد تلاقى

(٢١) الدكتور ابراهيم حسن شحاته : مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام الاسكندرية (١٩٧١) ، ص ١٢٢ .

المفهوم ان عند هدف محاربة الترك والقضاء على الادارة المصرية كإطار لنفوذهم وحكمهم والتمرد على الولاء الروحي والسياسي لخليفتهم (٣٢) .

ومن الاهمية بمكان أن تفرق هنا بين الخلافة العثمانية والادارة التركية المصرية في السودان . فالواقع ان الصلة بين مقر الخلافة العثمانية والسودان كانت اسمية ولم يكن الحكم في السودان يجري على النظام الاسلامي وتمين عدد من الاوروبيين المسيحيين للعمل في ادارة السودان .

دعوة المهدي كانت مبنية على أساس ديني ، بينما جموع السودانيين انخرط بعضها في الحركة بدافع ديني وبعض آخر لمنافع شخصية ، وانضم آخرون بعد أن بدا لهم زوال الحكم التركي المصري في السودان بعد وقوع السودان في قبضة المهدي وبوفاة المهدي المبكرة انخفض الحساس الديني ، كما ان القبائل التي كانت تسعى في الحصول على مكاسبها والتي من أجلها تناصرت الدعوة ، وجدت ان آمالها ذهبت أدراج الرياح فعملت على مقاومة المهدي والوقوف ضدها .

أما صلة مهدي محمد المهدي بن عبدالله بالحركات السلفية في الاسلام فهي تتفق معها في حركة الاصلاح والعودة بالاسلام الى أيامه الاولى ، ولكنها تختلف عنها من ناحية الفكرة والاسلوب . والواضح من منشورات المهدي انه كان متأثراً بتعاليم السنة ولا صلة له بتعاليم الشيعة . وترد هذه العبارات ذات المشرب السني في كثير من منشوراته « ... فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ... » « وأتم أيها المؤمنون الذين بظن بكم المعاونة على تقويم السنة ... » « لا يخفى عزيز علمكم ان المؤمن لا عناية له الا فيما يرضي الله من كمال الايمان والاتباع على

(٢٢) الدكتور ابراهيم حسن شحاته : مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام الاسكندرية (١٩٧١) ، ص ١٢٢ .

السنة والكتاب ...» (٢٣) *

وثمة ملاحظة أخرى وهي ان العلامات التي أوردها المهدي استطرادا في منشوراته ، تتطابق مع الأحاديث التي وردت في كتب الأحاديث لائمة أهل السنة بخلاف الصحيحين مثال ذلك ما جاء في حديث أبي داوود« لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوئتم الله ذلك اليوم حتى يبعث الله تعالى فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم ابيه اسم أبي » . فقد ذكر المهدي انه من نسل الرسول وغير اسمه من محمد أحمد عبدالله الى محمد المهدي بن عبدالله * وفي جانب آخر تأثر بتعاليم الصوفية وتعمق في التبيان واستند على علم الباطن السني لا يقبل المناقشة ولكنه يصطدم مع واقع الحال * واستعان بالحضرات النبوية في تبرير أفعاله التي كانت في معظمها ناجحة بسبب الظروف المحيطة به ، على خلاف فترة الخليفة عبدالله الذي حاول أن يستدل على معرفته بعلم الباطن في كثير من الاجراءات التي كان يتخذها في ادارة جهاز دولته كما حاول أن يستغل الحضرات النبوية في تقوية مركزه الديني *

ومن جهة أخرى كانت فترة المهدي قصيرة ومزدحمة بالانتصارات المتتالية والتي حدثت بصفة متسلسلة ، ورد فعل للاحداث * أما فترة الخليفة عبدالله فكانت أطول من فترة المهدي بالاضافة الى انها كانت مليئة بالمشاكل والمصاعب وقد وصلت حركة المهدي الى قمة انتصاراتها في نصف هذه الفترة ولم يعد هناك مجال لانتصارات حربية تحافظ على ديناميكية الثورة وتشغل الناس عن التفكير في المسائل الفكرية والعقائدية للحركة *

(٢٣) الدكتور ابراهيم حسن شحاته : مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام الاسكندرية (١٩٧١) ، ص ١٢٢ .

تمثل فكرة المهديّة الاطار النظري للدعوة ، بعد أن تحدثنا عن
تطور هذه الفكرة وتبلورها على النحو الذي بشر به محمد المهدي بن
عبدالله ، ستتحدث عن التربة التي غرست فيها هذه الدعوة وهذا
يستدعي الكلام عن أسباب قيام حركة المهديّة وانتشارها ورد الفعل الذي
أحدثته في المجتمع السوداني *

اسباب قيام الثورة المهديّة وانتشارها

وسقوطها ومصاعبها الموضوعية

يرجع بعض المؤرخين قيام حركة المهديّة ونجاحها وانتشارها لسببين أساسيين ، أولهما عدم رضا السودانين عن الأوضاع التي كانت سائدة من قبل ، والسبب الثاني مقدرة المهدي كقائد للاستفادة من ذلك السخط العام (٢٤) . ويضيف بعضهم سببا ثالثا ألا وهو ضعف السلطة الحاكمة في السودان ، وهي المسؤولة عن السخط العام وتفاقم أمره ، السبب أن ظهر المهدي ووظف هذا السخط العام لالتفاف الجماهير حوله تحت شعار دعوة دينية ، وعندما آلت إليه الأمور لم يلتفت إلى مسببات السخط العام ولم يضع لها حسابا في برامج دعوته فعاد السخط العام بصورة أخرى ، متمثلا في المعارضة التي شنتها القبائل التي ناصرت الدعوة المهديّة في أيامها الأولى .

فالمهدي وحواريره يمثلون الجانب الديني والقيادة ، وجماهير السودانين تمثل الجانب الدنيوي والذي ساعد كثيرا في نجاح الحركة . وبعد نجاح الحركة أصبح الصراع حتميا . والتناقض قد نسي أمره في حلبة الصراع ضد الحكم التركي المصري ولكنه عاد إلى الظهور بعد

John Obert Voll : A History of the Khatmiyya in the Sudan , (٢٤)
(Unpublished) P. 266 .

نجاح الثورة • وعدد الحواريين قليل اذا ما قيس بأعداد الجماهير الهائلة التي انضمت للحركة بعد واقعة ابا • فهذه الجموع كانت لها أسباب أخرى دفعتها للانضمام للحركة ، عندما بدأت تبشير نجاحها تبرز للعيان •

درج المؤرخون على التعميم عند ذكرهم لاسباب الحركة المهديّة والشاهد ان قوة هذه الاسباب وضعفها تتفاوت من اقليم الى اقليم فسي السودان حسب ظروفه • وهذا يدل على عبقرية المهدي القيادية في اختيار جنوب كردفان مقرا لدعوته • ومن المحتمل ان المهدي لو اتقل بحركته الى أي مكان آخر غير منطقة جنوب كردفان لكان مصيرها الفشل •

وهذا السخط العام نتج من عدة أسباب ، عزاها بعضهم الى القهر وسوء الادارة الذي لازم القيادة التركية المصرية في السودان منذ حملات الدفتردار الانتقامية لمقتل اسماعيل باشا في شندي وفداحة الضرائب والفظاظة الي تصحب جمعها مما اضطر الاهالي للهجرة لاطراف البلاد (٢٥) • في السنوات الاخيرة من الحكم التركي المصري ازداد سخط السودانيين بسبب جباية الضرائب • ففي عام ١٨٧٩م كتب محمد رؤوف باشا الى القاهرة يطلب منها تخفيض الضرائب ، الا ان طلبه رفض من جانب سلطات القاهرة • وفي الجانب الاجتماعي لم يكن السلوك الخاص للحكام •• يرضي العامة ، حيث انهم كانوا لا يتقيدون بالتعاليم الاسلامية، يشربون الخمر جهارا ويرتادون الاماكن المشبوهة وأصبح الحكام الذين يعرفون بالترك في عداد الكفار وأصبحت كلمتا الكفر والترك مترادفتين في المعنى ، واستعان الحكام ببعض القبائل الكبيرة والطوائف الدينية، مما جعل الجانب الآخر من القبائل والطوائف تسخط على الحكم التركي المصري وأصبحت لها مظالم جعلتها مستعدة للوقوف ضد الحكومة ،

(٢٥) علي عبدالله ابراهيم : الصراع بين المهدي والعلماء ، ص ١٥ •

فالقبايل التي تعمل بتحالف مع الحكومة استغلت نفوذها في التضييق على القبائل المنافسة لها . فقد ساء الشكرية مثلا البطاحين العذاب مما دفع البطاحين الى الاسراع لتلبية دعوة المهدي وبالإضافة الى ذلك فان عدم النظام والتسلط الذي كان يفرضه الجند على القبائل كان سببا قويا ليجعل بعض القبائل تنضم للمهدي كمسألة الهدندوة (٢٦) .

وقد أدى تعيين السودانيين في الحكم الى وجود أعداء للحكومة بسبب عزلهم وتولية غيرهم ومثال ذلك المنافسة بين عائلة مادبو وعائلة عجيل الجنقاوي على زعامة الرزيقات . ومثال آخر المنافسة بين الياس باشا أم برير وأحمد بك دفع الله في الابيض . وقد أسهم كل من مادبو علي والياس باشا أم برير في اشعال وانجاح حركة المهدي في غرب السودان . أسهم مادبو بنصيب وافر في محاربة حاميات الحكومة بجنوب دارفور . ويعزى نجاح الثورة في دارفور الى الحملات الحربية التي قام بها مادبو وأعوته . أما الياس أم برير فقد لعب دورا كبيرا في سقوط الابيض .

ومن الاسباب التي أدت الى السخط العام ، تغافل الحكام لاهمية الرقيق في حياة المجتمع السوداني ، ومنعهم تجارته في قسوة ، فأثر ذلك على حياة الناس بدرجات متفاوتة ، وتأثر تجار الرقيق أكثر من غيرهم ، فقد كانت لهم جيوش خاصة وخاضوا بها معارك ومغامرات ضد الحكومة وأصبحت لديهم خبرة بالحروب . وكانوا يستعينون بقبائل البقارة في جنوب دارفور ، وأسهمت هذه المنطقة بنصيب وافر في اشعال الحركة والتضييق على حاميات الحكومة وارتبطت مسألة منع تجارة

John Obert Voll : A History of the Khatmiyya in the Sudan , (٢٦)
P. 273 .

الرقيق ، بتعيين الاوروبيين في مناصب كبيرة في ادارة السودان ولسم يكونوا صادقي النية نحو مصر وقد اتهموا فرصة أوامر الحكومة بمنع تجارة الرقيق ، فحاربوا هذه التجارة بكل عنف وقسوة مع علمهم بأن هذه الحرب تثير كراهية فريق كبير من الاهلين وتدفعهم الى مقاومة الحكومة (٢٧) *

وقد أدى ضعف السلطة الحاكمة في السودان الى نجاح الحركة وسرعة انتشارها ، استخفت بالحركة في بادىء أمرها حتى عظم شأنها . وهبّ عرابي بثورته في القاهرة فثقل الحكومة المصرية عن أمر السودان . وكانت الحاميات العسكرية بالسودان ضعيفة . وكان عدد العساكر يقل عن الخمسين ألف جندي موزعين على خمسة عشر حامية في مدن وأقاليم السودان المختلفة وظهر ضعف الحكومة في سياسة التردد ولم تتخذ سياسة ثابتة نافذة في اخماد الحركة بل أظهرت احيانا التردد والارتباك في مكان الحزم والعزم ، ففقدت جميع حامياتها الواحدة تلو الاخرى (٢٨) *

ومع ذلك يبدو ان ضعف الحكومة وسوء معالجتها للموقف يعتبر من الاسباب الاساسية لنجاح الحركة اذ ان ضعف الحكومة اعطى المهدي الفرصة للضربة الاولى وقد ساعدته على ذلك المكانة الدينية التي عرفها له الناس بالاضافة الى مقدرته القيادية في الاستفادة من الظروف التي كانت محيطة به فاستطاع أن يجمع الناس حوله وحسم موقف المترددين ، كما ان ضعف الحكومة أدى الى خذلان القبائل والطوائف الدينية الموالية لها . اذ ان السخط العام على الحكومة السابقة لم يكن بمستوى واحد في جميع أرجاء السودان واستطاع المهدي أن يختار منطقة مناسبة لاعلان

(٢٧) عبد الرحمن الراجحي : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، ص

(٢٨) نعم شقير : جغرافية تاريخ السودان ، ص ٦٣٥ .

حركته فيها . ولئن وجد الحكمدار رؤوف باشا عذرا في انه استأنس برأي بعض العلماء الذين رأوا بأن المهدي قد حصل له حزب سماوي من انعكافه على الزهد والعبادة وان هذا نفسه لا يعنيه من المسؤولية لان هؤلاء العلماء أشاروا جميعا بوجود القبض عليه (٢٩) .

فهذا يعني ان رؤوف باشا ، الذي كتب الى القاهرة في عام ١٨٧٩ م طالبا تخفيض الضرائب لم يستطع ان يربط بين الحالة الاقتصادية السيئة والتي عرضها وحاول حلها وبين حركة المهدي التي ستجد تجاوبا من قطاعات المجتمع المتأثرة بسوء الاحوال الاقتصادية .

اما حركات العصيان والثورة التي قام بها مندوبو وعمال المهدي في انحاء السودان الاخرى فتختلف أسباب قيامها في كل منطقة عن الاخرى . فمثلا منطقة الجزيرة هي اول منطقة ثبت فيها الثورة الا انه لم يحالفها الحظ في النصر كما حدث في الوقائع التي قام بها المهدي . ففي المقام الاول لم يكن لقادتها المكانة التي كانت للمهدي والحماس الذي ملأ قلوب اتباعه وثانيا البيئة الجغرافية . فمنطقة الجزيرة قريبة من الخرطوم وتتكون من مدن وقرى سهل التقل فيها ولم يقيم اهل الجزيرة قومية رجل واحد فبعثرت جهودهم .

فعندما سار أحمد المكاشفي للمهدي مهاجرا التقت السلطات في سنار القبض على اخيه عامر وزوجته في السجن وحصلته ما لا يطيق وقيل انه اقتدى نفسه بمسال وخرج الى قبائل رفاة الهوى واستنفرهم باسم المهدي فلبوا لداءه . وهجموا على سنار ودخلوا الا ان رصاصة اصابت عامرا في فخذه ، فأخذه أصحابه الى غابة الكبوش . واستنجدت سنار

(٢٩) . عبدالله علي ابراهيم : الصراع بين المهدي والعلماء ، ص ١٢ .

بالخرطوم وأصدر جيكلر (٣٠) أمرا إلى صالح الملك (٣١) فأتاه ورفع
الحصار عنها بعد كفاح شديد .

وفي شرق النيل الأزرق بين أبي حراز ورفاعة ، أعلن الشريف أحمد
ثله ، وهو من مشايخ السماية ، الثورة ، والثفت حوله الجموع من قبائل
البطاحين وبعض الشكرية والجعلين وغيرهم من سكان تلك المنطقة
ولقرب المنطقة من الخرطوم استطاع جيكلر أن يجهز جيشا وسير الشكرية
وراءهم إلى أن وصلوا حلة الشريف وأحرقوها وقتل الشريف وعددا كبيرا
من أعوانه . ومن سنار أيضا توجهت القوات وقضت على حركة محمد
زين وفرقت جموع عامر المكاشفي في واقعة تيقو واستطاع عبد القادر
خلمي باشا (٣٢) أن يهزم الثوار في عدة معارك في أرض الجزيرة .

(٣٠) جيكلر باشا Gicler الألماني الجنسية التحق بخدمة الحكومة المصرية
في وظيفة مهندس بلعراف وكان غردون باشا معجبا به : عينه نائبا
للحكمدار في عام ١٨٨٠ . قاد حملات ضد أنصار المهدي بالجزيرة
وأشرف على عمليات الانسحاب بكرسكو ولا يعرف عنه شيء بعد
مفادته السودان لمصر .

(٣١) صالح الملك (١٨٢٨ - ١٨٩٠) ولد بمدينة مروى . التحق بالجيش
المصري في فرقة الشايقية غير النظامية وتدرج في الجيش إلى أن وصل
إلى رتبة لواء . اشترك في إخماد حركة المهدي في الجزيرة ورفع
الحصار عن سنار في عام ١٨٨٢ . حاصر محمد الطيب التميمي قسي
المسلمية . سجنه غردون باشا في الخرطوم . أطلق سراحه المهدي
وعينه في مهمة جمع الشايقية ، توفي بالقطنه في عام ١٨٩٠ م .

(٣٢) عبد القادر خلمي باشا (١٨٢٧ - ١٩٠٨) ولد بمدينة حمص وتلقى
تعليمه بالقاهرة ودرس الطب في فينا إلا أنه لم يعمل بمهنة الطب .
التحق بسلاح المهندسين بالجيش السوروي وتدرج في الرتب العسكرية
التي ان وصل إلى رتبة فريق في عام ١٨٧٨ م . عين حكمدارا عاما للسودان في
عام ١٨٨٢ إثر فشل رؤوف باشا في إخماد حركة المهدي . بذل جهدا
في بناء استحكامات الخرطوم ومطاردة أنصار جيوش المهدي في
الجزيرة . استدعي إلى مصر في ظروف غامضة وعين بديلا عنه
علاء الدين باشا . تقاعد عن خدمة الحكومة المصرية في عام ١٨٨٧ .
انظر عبد الرحمن زكي - أعلام الجيش - القاهرة ، ١٩٤٧ وانظر أيضا:
رتشارد هل ، ص ٨١٤ .

وتختلف ظروف حركة المهدي في دارفور عن الجزيرة فدارفور لم يمض على انضمامها للحكومة التركية الا سبع سنوات ولم يزل انشاء سلاطين الفور يطاولون استعادة سلطنتهم وتسبب بعد دارفور عن الخرطوم في عدم وصول الامدادات والذخائر للسلطات في الفاشر كما ان نشوء الثورة الام في كردفان قطع الطريق بين دارفور والحكومة المركزيه في الخرطوم وادى سقوط الابيض ، وهزيمة هكس في شيكان الى سقوط دارفور . وفي جنوب دارفور حمل لواء الثورة مادبو علي ، زعيم الرزيقات بعد أن بايع المهدي في قدير وأبلى بلاء حسنا في واقعة الشلالى ، وكان مادبو علي ناقما على الإدارة التركية المصرية في السودان بسبب عزله من رئاسة الرزيقات واستجاب البقارة عموما والرزيقات خصوصا لدعوة مادبو بسبب الاضرار التي لحقتهم من منع تجارة الرقيق وطمعا في التخلص من دفع الضرائب . (٣٣)

اما في شمال وشرق السودان فقد شبت الثورة لاسباب تختلف عن بقية جهات السودان الاخرى . ففي شرق السودان انضمت قبائل الهدندوة لعثمان دقنه حبا في التخلص من دفع الضرائب واستفاد عثمان دقنه من التنافس الطائفي في المنطقة بين طريقتي الختمية والمجدوية ، اذ ايد مشائخ المجدوية عثمان دقنه بينما ناصبه زعماء الختمية العداء بقيادة شيخهم محمد عثمان الميرغني . كما ان بعض القبائل المتاخمة لسواكن كانت تجني فوائد اقتصادية بسبب تعاملها مع السلطات في سواكن وظلت على ولائها للحكومة التركية المصرية . (٣٤)

وقد استطاع عثمان دقنه الاستيلاء على سنسكات وقطع طريق المواصلات بين سواكن وبربر ولكن سواكن استعصت عليه . وفي جهات

(٣٣) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٤٥ .

(٣٤) مذكرات عثمان دقنه ، الدكتور ابو سليم ، ص ٧٣ .

ساند الختمية واتباعهم من قبائل الحنقة والبي عامر حامية كسلا
زحف المهدي وكانت حامية كسلا آخر حامية تسلم ، بعد حامية

في شمال السودان كانت القبائل الكبيرة كالجعليين والشايقية ،
قاة والسكوت والمحس ، تنسب الى طريقة الختمية وقد تعاون بعض
هذه القبائل مع الجيش الفاتح . وبالإضافة الى العامل السديني
لهم مصالح اقتصادية هددتها الثورة ولم تقدم لهم البديل . ولم
السكان في حركة المهدي ، الا بعد ان اعلنت سياسة الاخلاء بل
سقوط الخرطوم . أتى محمد الخير عبدالله خوجلي ، عاملا من
لهدي على بربر ودنقله ومن قبله اعطيت امانة دنقله لمصطفى ياور
، كان يخادع المهدي وقضى على الشيخ الهدي ومحمود ود الحاج في
كورتبي . والمهم ان اهالي تلك المنطقة لم يكونوا متحمسين للثورة
افة الا انهم كانوا في طريق الجيش المنسحب ولم يقطعوا عليه الطريق
نوا مع الجيش الفاتح فيما بعد وهاجرت اعداد كبيرة من سكان
الى مصر في أيام حكم الخليفة عبد الله .

نكتفي في هذا المقام بالقول بان اسباب قيام الثورة المهدي كانت
، من اقليم الى اقليم ومن المحتمل ان الثورة لو لم تتركز على
، كردفان بعد نشوبها في النيل الابيض ، لكان مصيرها الفشل .
وسط شمال وشرق السودان كانت الطرق الصوفية مسيطرة على
اتباعها كما كان يوجد بهذه المنطقة عدد من العلماء ممن لم يؤمن
ة المهدي بالإضافة الى ان السلطة الحاكمة كانت متركزة في هذه
ة وطرق المواصلات سهلة نسبيا كما وكان لقبائل هذه المنطقة مصالح
ادية تربطهم بمصر . وان النظرة الفاحصة والامعان الدقيق في تصور
، نفوذ العناصر المناوئة لحركة المهدي ، تجعلنا نميل الى الاعتقاد بان

المهدي اختار منطقة جنوب كردفان دارا لهجرته لخلوئها من هذه العناصر وذلك بالاضافة الى موقعها الجغرافي النائي . وصعوبة وسائل المواصلات بها نسبة لانها منطقة جبلية وعرة . ويبدو ان الاختيار على منطقة جبلن قدير تكون دارا للهجرة لم يتم الا بعد دراسة وافية قام بها المهدي بعد زيارته الميدانية الى بعض جهات السودان . وخاصة كردفان ، اذ كان يقوم بزيارات لبعض المناطق يعظ فيها الناس ، ويدعوهم الى اصلاح دينهم . قام في عام ١٢٩٧/١٨٨٠م بزيارة الى مدينة الابيض واتصل برجال الدين والاعيان . وفي طريق عودته من الابيض ؛ مر على قدير ووقع عليها الاختيار لتكون دارا لهجرته واخذ العهود والمواثيق من ملوك جبال التوبة وخاصة الملك ادم ام وبالو ، ووجد عندهم ترحيبا عظيما . (٣٥)

وهذا يعني ان المهدي كان يعد في خطته لتنفيذ الثورة وفق ما يتطلبه قيام الثورة من ايدولوجية وجو ملائم لقبول الدعوة وأرض حصينة للانطلاق بالثورة ، على خلاف الحكمدار محمد رؤوف الذي كان خالي الذهن عن خطورة الحركة ، فان الاجراءات التي اتخذها في القبض كانت غير سليمة من الناحية الادارية ، فعندما ارسل ابا السعود لاستدراج « المهدي » الى الخرطوم كان يمكنه اعطائه اوامر محددة ، واستعدادات كافية للقبض على « المهدي » في حالة عدم الانصياع للحضور الى الخرطوم بدلا من ان يعود اليه ابو السعود ويتلقى اوامر جديدة اذ في هذه الفترة استعد المهدي للمقاومة وانتصر على القوة التي ارسلت لاحضاره بالقوة للخرطوم . وبطريقة غير مباشرة اشعل محمد رؤوف فتيلة الثورة فلولا تدخل محمد رؤوف لقام المهدي بهجرة عادية مع حواريه فقط ، ولكن الانتصار الذي حققه على قوات الحكومة في ابا اعطت الحركة دفعة قوية ودعاية واسعة انتشرت في جميع ارجاء البلاد

(٣٥) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، الحركة الفكرية في المهدي ص ١٧ .

وصارت القبائل الفاطنة في منطقة مسيرة هجرة المهدي تنضم اليه . وفي
قدير انتصر في موقعتين فاكتسبت الحركة دعاية اكبر وصارت السوفود
تنجبه الى قدير لمبايعه المهدي ويعود الزعماء البارزون لاطانهم لاشغال
الثورة ونشطت قبائل دارفور وكردفان والجزيرة بصفة خاصة . ومهدت
مسيرة المهدي نحو الابيض وبسقوط الابيض وهزيمة جيش هكس عند
شيكاز ، سقطت كردفان باجمعها في يد المهدي وتبعثها دارفور واصبح
الطريق ممهدا نحو الخرطوم التي سقطت قبل وصول حملة الانقاذ التي
ارسلتها الحكومة البريطانية لانقاذ غردون وهكذا اصبح السودان في يد
حكومة المهدي ما عدا حاميته سنار وكسلا وسواكن . سلمت كسلا
وسقطت سنار ولكن سواكن استعصت على عثمان دقنه وظلت خارج
دائرة نفوذ المهدي .

وبعد هذا العرض السريع لاسباب نجاح حركة المهدي ونجاحها
واتشارها ، نستطيع تحليل هذه الاسباب من الجانب الآخر وبعبارة
اخرى ، الى اي مدى استطاعت حركة المهدي الاستفادة من هذه الاسباب
وعملت على ازالتها فلم يكن كافيا زوال الحكومة التركية - المصرية فان
الجماهير كانت تتوقع تحقيقا لمطالبها ، المتمثلة في الضرائب الباهظة
والقسوة في طريقة جبايتها ، كانت بعض القبائل تسعى الى نوع من
الاستغلال الذاتي والحرية المطلقة في ادارة شئون قبيلتها على النحو الذي
الفته ايام سلطنة سنار او سلطنة الفور والشاهد ان الزكاة حلت محل
الضرائب وحل اماناء بيت المال محل جباة الضرائب وحل الجهادية محل
الباشبوزق ، بالاضافة الى تكاليف اخرى جديدة مثل الهجرة والجهاد
ولجأت حكومة المهدي الى اساليب مركزية اقوى مما كانت عليه ايام
الاتراك . وهذا يعني ان السخط العام عاد مرة اخرى في صورة اخرى
ولكن في هذه المرة ضد سلطة جديدة قوية ، تستطيع القيام بمصادرة
الاموال وتنفيذ الهجرة الجماعية والاضعاع بالقوة المسلحة ولم يكن

للاتفاضات التي قامت ضد دولة المهدي قيادة موحدة تجمع شتات قوتها
وانما كانت اتفاضات فردية لم تستطع الصمود امام حزم وقسوة الخليفة
عبد الله .

وبوفاة المهدي فقدت حركة المهدي ، القيادة المهمة ، وفي نفس الوقت
كانت الحركة قد وصلت الى قمة اتضاراتها داخل السودان ولم يكن
باستطاعتها الخروج عن السياج الذي فرضته القوة الخارجية خارج حدود
السودان ويبدو ان المهدي كان يريد التوجه نحو مصر ولكن المرء ليحтар
كيف كان المهدي يستطيع اعاشة جيوشه الموجهة نحو مصر في تلك
الاماكن الفقيرة التي عجزت عن توفير القوت لجيش النجومي ؟

وبعبارة أخرى فقدت حركة المهدي قيادتها المهمة واستراتيجيتها
وزوال القيادة المهمة فتح باب الصراع بين القوى التي قامت على اكتافها
الثورة وحدد مسار سياسة القيادة الجديدة المتمثلة في الخليفة عبدالله
وشيعته من ابناء الراية الزرقاء ورغم ان الخليفة عبدالله كان امير جيش
المهدي في حياة المهدي الا انه لم يكتسب ولاء الرايات الاخرى بسبب
قيادته المباشرة للراية الزرقاء وبسبب وجود رايات ترأسها محمد شريف
من ابناء عمومة المهدي - الي جانب ان الرايات قسمت على نمط اقليمي
ذات صبغة قبلية وعندما آلت مقاليد الامور الي الخليفة عبدالله وتولى
قيادة الحركة المهدي ، لم يعين شخصا آخر في منصب امير جيش المهدي
كما لم يعين شخصا لقيادة الراية الزرقاء التي كان يتولاها بصفته مشوليا
مرتبة خلافة الصديق وكان اخوه يعقوب وكيلا له على الراية الزرقاء أي
نائبا له وظل يمارس قيادة الراية الزرقاء رغم انه لا يتمتع بمرتبة خليفة
كقادة الرايتين الاخرين وبقاء الخليفة عبدالله في أم درمان ، فقد قيادة
الرايات عملهم الاساسي وهو قيادة الجيوش التي تحت رايهم وتدرجيا
انتقلت اعباء وظيفة امارة الجيوش الي يعقوب بن محمد ، دون ان يكون

له مرتبة دينية تؤهله للقيام بهذا العمل ، واصبحت سلطات يعقوب ونفوذ
اقوى من الخليفين اللذين فقدوا نفوذهما ومكائنتهما وبطريقة عملية
اصبحت وظيفة امير جيش المهدي وظيفه ادارية اكثر منها وظيفه حربية .

ان عدم ثقة الخليفة عبدالله في الخليفين الآخرين جعله يركز كل
السلطات في يد يعقوب الذي اصبح شبيها برئيس الوزراء ويشرف على
تنفيذ السياسة التي يضعها الخليفة عبدالله بل كان يشارك في وضعها .
وكان يعقوب حلقة الوصل بين الخليفة والعمال في الاقاليم والسذين
اصبحوا جميعا من ابناء الغرب ما عدا عثمان دقنه في خلال سنة من حكم
الخليفة عبدالله وسنعود الى مناقشة هذه المسألة في جانب آخر من هذا
البحث .

والاسباب التي دفعت الخليفة عبدالله الى المبالغة في الاعتماد على
اخوته وابناء عشيرته ترجع الى تخوفه من طموح الاشراف وعدم ثقته في
ابناء النيل وكان الخليفة عبدالله مهتما بامر تأمين خلافته وفي الوقت ذاته
كان مهتما بالمحافظة على ديناميكية الحركة والمتمثلة في نشر الدعوة وما
يستلزم ذلك من عمليات الهجرة والجهاد . وبوصول حركة المهدي الى
أم درمان لم يعد الجهاد محببا لافراد القبائل المحاربة والتي كانت في
مراحل الجهاد الاولى تهاجم حاميات الحكومة وتتوقع الغنائم والاسلاب
أما بعد ذلك فليس أمامهم حامية يحاولون القضاء عليها وبعثوا عن
اوطانهم وبعيد عن تصورهم الوصول الى مصر والسفر الى خارج البلاد
لعمليات الجهاد والاماكن مجهولة لديهم . وقد كانت المعارك الاولى
متصلة بحيث ان المحاربين كانوا يجدون ما يكفيهم من بيت المال السذي
امتلا بالغنائم أما بعد انتهاء هذه المعارك فلم يعد هناك اسلاب توزع على
المحاربين وبسبب الهجرات الجماعية اقترنت القرى من اهلها ولم يعد
هنالك من يقوم بأمر الزراعة . والتجار تعرضوا الى كثير من المشاكل كما

ان التجارة الخارجية كانت تمارس في نطاق ضيق وفي كثير من الحالات كان الخليفة عبدالله يقلل طريق التجارة بحجة منع التجسس وتعرضت العملة الى التدهور وفقدت قيمتها *

وخلصة القول ان حركة المهدي اهتمت بالجانب الديني ولم تلتفت الى الجانب الدنيوي مما أدى الى مقاومتها من بعض فئات المجتمع السوداني وستحدث عن جذور وتطور هذه المقاومة في فترة كسل من المهدي والخليفة عبدالله في الفصول التالية *

الفصل الثاني

تاريخ المهديّة — فترة المهدي

حياته الأولى

بعثة أبي السعود

واقعة أبا

الهجرة

واقعة قدير الأولى

واقعة قدير الثانية

واقعة الجمعة وسقوط الأبيض

واقعة شيكان

التوجه إلى الخرطوم

الفصل الثاني : المهديّة - عرض تاريخي

أولا : فترة المهدي

حياته الأولى

تميزت فترة حكم المهديّة بنوع من الطراز الاوتوقراطي أي الحكم القائم على القيادة الفردية . ففي السنوات الأولى من حكم المهديّة كانت الكلمة الأولى للمهدي بصفته الامام وبصفته المنتظر والمنقذ لحركة المهديّة . وكان الخليفة عبدالله بشابة الساعد الايمن له . وكانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية مواتية لحركة المهديّة وساعدت في انتشارها ونجاحها . وعلى خلاف هذا كان موقف الخليفة عبدالله ، الذي تسلم القيادة في ظروف صعبة بالاضافة الى الاختلاف في مقومات شخصيته عن شخصية المهدي ، مما دفع الى الاعتقاد بان الخليفة عبدالله كان اسير زماته ولكي تتضح لنا هذه الصورة يجدر بنا ان نتناول بالدراسة خلفية كل منهما وأثرها في تطور حركة المهديّة .

ولد محمد أحمد بن عبدالله « المهدي » حوالي سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٣ م باحدى جزر الاشراف باقليم دنقلا ومن قديم عرفت العائلة التي ينتمي اليها المهدي بالاشراف لقولهم بانهم من ذرية رجل يدعى حاج شريف ، ولهم شجرة أنساب تصل بهم - على حد قولهم - الى الحسن

الفصل الثاني : المهديّة - عرض تاريخي

أولا : فترة المهدي

حياته الأولى

تميزت فترة حكم المهديّة بنوع من الطراز الاوتوقراطي أي الحكم القائم على القيادة الفردية . ففي السنوات الأولى من حكم المهديّة كانت الكلمة الأولى للمهدي بصفته الامام وبصفته المنتظر والمنقذ لحركة المهديّة . وكان الخليفة عبدالله بشابة الساعد الايمن له . وكانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية مواتية لحركة المهديّة وساعدت في انتشارها ونجاحها . وعلى خلاف هذا كان موقف الخليفة عبدالله ، الذي تسلم القيادة في ظروف صعبة بالاضافة الى الاختلاف في مقومات شخصيته عن شخصية المهدي ، مما دفع الى الاعتقاد بان الخليفة عبدالله كان اسير زماته ولكي تتضح لنا هذه الصورة يجدر بنا ان نتناول بالدراسة خلفية كل منهما وأثرها في تطور حركة المهديّة .

ولد محمد أحمد بن عبدالله « المهدي » حوالي سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٣ م باحدى جزر الاشراف باقليم دنقلا ومن قديم عرفت العائلة التي ينتمي اليها المهدي بالاشراف لقولهم بانهم من ذرية رجل يدعى حاج شريف ، ولهم شجرة أنساب تصل بهم - على حد قولهم - الى الحسن

ابن علي بن أبي طالب (١) . وبحكم نشأة هذه الاسرة في اقليم دنقلا ، فانهم تظاهروا مع سكان المنطقة واكتسبوا صفات وعادات اهلها ، وكان اهل دنقلا والمناطق الشمالية عموما قد اخذوا يهاجرون الى اواسط السودان منذ بداية العهد التركي تحت ضغط ظروف بلادهم الطاردة وتحت ضغط الضرائب التي فرضت عليهم ، فانتشروا في اغلب معدن واقاليم السودان خاصة حول النيل الابيض واعالي النيل حيث عمل عدد كبير منهم في تجارة الرقيق .

وقد كان والد محمد أحمد يعمل بصناعة المراكب ، وبعد ولادته بقليل ، اضطر الى الهجرة الى داخل السودان ، بحثا عن الاخشاب اللازمة لصناعة المراكب ، فوصل جهات كرري شمالي الخرطوم ولم تطل اقامته بتلك المنطقة اذ ادركه الموت اثم لحقت به زوجته بعد فترة قصيرة . لقد شب محمد أحمد يتيما ، وكانت نفسه تميل منذ صغره الى طلب العلم والتدين ، على خلاف اخوته الذين استمروا في ممارسة صناعة المراكب وبالفعل انصرف محمد أحمد الى تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في خلاوي كرري والخرطوم ، ثم درس علم الفقه على الشيخ الامين الصويلح . ولم يكتف بما نال من علم في تلك المنطقة ، وكان يرجو المزيد . وكان في نيته ان يذهب الى مصر للالتحاق بالازهر ولكنه عندما سمع عن خلوة الشيخ محمد الضكير بحلة العيش غرب بربر قرر ان يلتحق بها . وهنا اخذ العلوم النقلية على الشيخ محمد الضكير والذي اصبح فيما بعد احد اتباء الكبار وعامله على عموم بربر ودنقلا . (٢)

(١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديّة ، الخرطوم ، ١٩٧٠ ، ص ١٢ .
(٢) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديّة ، الخرطوم ، ١٩٧٠ ، ص ١٢ .

وقد اشتهر حتى في تلك الفترة بالزهد والتعمد والتعفف من أكل
الطعام الذي كان يقدمه الشيخ لطلابه لأعتقاده بأن ذلك الطعام كان يصنع
من الذرة الذي تقدمه الحكومة للمشايخ مساعدة لهم في نشر التعليم
وكان من رأيه أن مال الميري حرام لأنه يؤخذ عتوة من المواطنين وبوجه
غير الوجه الشرعي . وقيل أن محمد الضكير عندما علم بعزوف محمد
أحمد عن تناول هذا الطعام أمر بأن يقدم له الطعام من الذرة المجلوب من
مزارعه الخاصة (٣) . كما قيل بأن محمد أحمد كان يعتمد في غذائه على
الاسماك التي يصطادها من النيل .

وبعد أن أكمل محمد أحمد تعليمه في العلوم النقليّة ، مالت نفسه إلى
التصوف على عادة اترابه في ذلك الوقت وقد وقع اختياره على الطريقة
السمانية وكان ذلك في سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦١ م . وهنا تجدر الإشارة
إلى الانقسام الذي حدث في طائفة السمانية وتفرعها إلى ثلاثة أقسام ،
القسم الأول لزعامة الشيخ محمد شريف نور الدائم والقسم الثاني
لزعامة الشيخ القرشي ود الزين والقسم الثالث لزعامة الطيب البصير ،
وفيما بعد سنوضح كيف أن هذا الانقسام أفاد محمد أحمد في الخروج
من مآزق الولاء والبيعة لشيخ الطريقة ولكن المهم هنا هو أن محمد أحمد
التحق بفرع الشيخ محمد شريف . وقد واصل محمد أحمد تفانيه في
الزهد والتقوى والمجاهدة في العبادة والولاء لطريقة السمانية وبالسخ في
الولاء لشيخه حتى نزل عنده منزلة عظيمة فأعطاه اجازة الخلافة السمانية
في سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ / ١٨٧١ م ورفع له راية وأذن له بالتجول في
البلاد لأعطاء العمود وقبول المريدين (٤) .

انتقل محمد أحمد وأخوته إلى الجزيرة ابا في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٩ م

(٣) الدكتور مكى شيخة ، السودان عبر القرون ، بيروت ١٩٦٤ ص ٢٥٠

(٤) نعام شعير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ١٩٦٧ ص ٦٢٨ .

وقد انشأ بها خلوة للتدريس وغارا للتعمد ومسجدا للصلاة واصبح له اتباع كثيرون واكتسب شهرة عظيمة لا بسبب اتسمائه لطريقة السانية وإنما بسبب مكاتته الشخصية وشهرته في مجال الزهد والصلاح. ويبدو ان الشيخ محمد شريف غار من تلك المكائنه التي وصل اليها تلميذه فاراد ان يعد من تفرده فانشأ مركزا لطريقة السانية بجهة العروبي القريسة من الجزيرة ابا وولي عليها خليفة يدعى الشيخ رضوان ولربما خشي محمد شريف نور الدائم من تكرار تجربة الانقسام في طريقة السانية (٥) ويستقل محمد أحمد بقسم رابع فيها . ومما يكن من امر فان طموح محمد أحمد كان اكبر من مشيخة طريقة . وبطريقة غير مباشرة دفعه محمد شريف نور الدائم الى السير بخطواتا سريعة في اعلان دعوة المهديّة .

ويبدو بأن محمد أحمد تحدث مع شيخه في أمر المهديّة حسب الرواية التي اوردتها نعوم شقير عن محمد شريف نور الدائم ورغم ان الرواية ذكرت بعد سقوط المهديّة الا انها فيما يبدو محتملة الوقوع : ذكر محمد شريف بان محمد أحمد لما كثرت انصاره ومريدوه كثرت نفسه وسول له شيطان الغرور انه اعظم من في الارض وانه المهدي المنتظر قال محمد شريف فاسر الي بدعواه ورغب ان اكون له وزيرا ومستشارا فيجمل الامر كله في يدي وذلك في سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م فزجرته ونهته مرارا ولما لم ينته عقدت معه مجلسا في ابا جمعت اليه القضاة والنظار وبعض الاخيار كعبد الرحيم اللبيح ناظر اللحويين واحمد جفون ناظر الشانخاب ويوسف ابي جمعة ناظر الجزائر ومحمد حسن قاضي الجهة وغيرهم من اكابر ابا وامرته بالرجوع عن ضلاله واشهدت الله ورسوله والحاضرين

(٥) الدكتور أبو سليم ، الحركة الفكرية في المهديّة ، الخرطوم ، ١٩٧٠ ، ص ١٥ .

الى أن رجس شاطرته لنصف ما ملكت يدي من مال وعقار فخرج من المجلس لمشاهدة من معه من الاصحاب فلم يرجع ، ومن ذلك الوقت نقيت من الطريقة وقلت لاصحابي أن يضربوه اذا جاءهم ونصحت لقائهم الكوه بوجوب القبض عليه وزجه في السجن خوفا من تجسم الامر فلم يفعل وقال انه رجل صالح وصاحب الخضر فلا يسه بسوء (٦) .

ولم يشر محمد شريف الى الاسباب الاخرى التي دفعت محمد أحمد لانتقاده علنا .

ويبدو ان النزاع بين محمد أحمد ومحمد شريف قد اوضح له بان الوصول الى مرتبة المهدي لا يمكن ان يتحقق عن طريق شيخ الطريقة واصبح محمد أحمد في صراع نفسي بين الولاء لشيخه وبين الاستمرار في تنفيذ مخططه لاعلان دعوة المهدي .

هذه المعاناة دفعت الى نقد شيخه علنا رغم ما كان يتمتع به الشيخ من قداسة وهيبة وقد سعى محمد أحمد الى طلب العفو والنصح من شيخه ورجع اليه تائبا واضعا الشبهة على عنقه دليلا على الندم ومعاينة النفس ولكن الشيخ لم يقبل توبته وطرده من الطريقة وكان رد الفعل قاسيا على محمد أحمد مما اذكى نيران ثورته وتدمره . ولم يخرج عن نفوذ دائرة الطريقة في هذه المرحلة ، ووجد في الشيخ القرشي ولد الزين فرصة للانضمام الى فرع من فروع الطريقة السماوية . وهذا يدل على نفوذ الطرق الصوفية وأثرها في المجتمع السوداني . وتشاء الصدفة ان يكون شيخ المهدي الجديد كبيرا في السن ، وان يكون اكبر ابنائه صغيرا في السن ، وتوفي الشيخ القرشي في اواخر سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م وأتى محمد

(٦) نعم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٦٣٩ - ٦٤٠ .

أحمد وحواريره في أوائل سنة ١٢٩٨ / ١٨٨٠ الى ارض الحلاوين
وشرعوا يبنون قبة فوق قبره على عادة اهل الطرق الصوفية . وبسوت
الشيخ القرشي لم يعد لمحمد أحمد شيخ يأتمر بأمره ويدين له بالولاء ،
وليس هناك اي دليل يثبت بان القرشي اسند المشيخة الى محمد أحمد او
الى ابنه الصغير عبد الرحمن او الى اي شخص آخر (٧) . ومن المحتمل
ان محمد أحمد شعر في هذه المرحلة بأنه ليس في
حاجة الى شيخ وانه قد وصل الى المرتبة التي يأخذ فيها عن الرسول
مباشرة .

في هذه المرحلة حدثت مقابلة عبدالله بن محمد لمحمد أحمد والتي
حدثت في وقت اصبح فيه محمد أحمد حرا في تصرفاته ولم يعد يتلقى
الارشاد والتوجيه من شيخ واصبح مهينا لاعلان دعوته وبعبارة اخسرى
ان عبدالله بن محمد انضم الى محمد أحمد في فترة تبلور فكرة المهديّة
في ذهنه وقد كان محمد أحمد قبل هذه الفترة يقوم بحركات تبشير
لاصلاح العقيدة عن طريق الوعظ المباشر في الجولات التي كان يقوم بها
في البلاد .

ويبدو بانه قد تيقن بان هذه الاساليب في الوعظ لا تجدي وأخذ
يخطط لقيام مجتمع جديد في مكان منعزل وفي منتصف عام ١٢٩٧ هـ /
١٨٨٠ قام بزيارة موفقة الى كردفان ووثق صلاته ببعض الزعماء ورجال
الدين ، ويذكر أحمد الازهري في رسالته المشهورة بان « محمد أحمد
المذكور فانه حضر عندنا بكردفان في مدينة الابيض مركز المديرية وحضر
عندنا بجامعنا زائرا لنا وجلس مجلسنا ونحن نقرأ وقتئذ درس الحديث

(٧) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديّة، الخرطوم
١٩٧٠ ، ص ١٦ .

في المسائل الترمذية وهو بالمجلس الى ان فرغنا من الدرس وانه زارنا
وطلب منا الدعاء وتوجه الى منزله . ولم نر فيه شيئا من تلك الاوصاف
بل انما هو عند جلوسه بمجلسنا لم نر فيه الا الرزانة والخضوع والعتس
وكان اذ ذلك في الربيع الاول ثم رجع الى جزيرة ابا واقام فيها اشهرًا ثم
بلغنا انه تقوه بتلك الدعوة . « (٨) .

وفي طريق عودته من الابيض وثق صلاته بزعماء القبائل الذين قابلهم
ووجد عندهم ترحيبًا وقبولًا (٩) .

وفي ربيع الثاني ١٢٩٨ هـ / مارس ١٨٨١ م كتب المهدي الى كثير
من معارفه والى من يثق فيهم مبشرا اياهم بمهديته فردء عليه البعض
بالتأييد والبعض الآخر أنكر الدعوة . وقام محمد أحمد بزيارة ثانية الى
كردفان وجدد صلاته بالزعماء ورجال الدين وفي أثناء عودته من الابيض
مر على قدير ووقع عليها الاختيار لتكون مقرا لدار هجرته .

وفي اول شعبان ١٢٩٨ هـ أخطر محمد أحمد أصحابه بأن النبي قد
باشر تنصبيه مهديا وكاتب المؤيدين لدعوته بالحضور الى جزيرة ابا
للقيام في اول رمضان .

(٨) نعموم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٩٦٤ .
(٩) الدكتور بو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديّة ،
الخرطوم ١٩٧٠ ، ص ١٧ .

بعثة ابي السعود

لم يهتم الحكمدار محمد رؤوف باشا (١٠) بأمر الخطابات التي كان يرسلها المهدي الى بعض كبار الفقهاء والاعيان في بادىء الامر ، ولكن عندما تواترت الاخبار ، وانتشرت قصة المنشورات ، رأى الحكمدار ضرورة استدعاء المهدي الى الخرطوم فأرسل معاونه أبا السعود الى الجزيرة ابا المقيام بهذه المهمة وقد بلغ أبو السعود الجزيرة أبا في ١١ رمضان ١٢٩٨ هـ / ٧ أغسطس ١٨٨١ م وجرى بينه وبين المهدي حوار أدرك منه أبو السعود بأن المهدي مصمم على دعوته ، فعاد الى الخرطوم وأخبر الحكمدار بما جرى بينه وبين المهدي .

(١٠) محمد رؤوف باشا ولد في سنة ١٨٢١ وتوفي في ١٨٨٨ ، كان ضابطا بالجيش المصري . خدم في المديرية الاستوائية ويوغنده ويونيو رو . خلف غردون في عام ١٨٨٢ حكمدارا على السودان . فشل في التغلب على الثورة المهدية ورفع من منصبه .

واقعة أبا

وعندما لم تجد الطرق السليمة في استدراج المهدي بالحضور الى الخرطوم ، قرر الحكمدار احضاره بالقوة ، فأرسل بلوكين بقيادة أبي السعود والذي وصل الى الجزيرة ابا في ١٦ رمضان وتوقع المهدي ارسال تلك القوة فأمر أصحابه وحواريه بالخروج الى شرق الحلة حيث كمنوا للبلوكين وانقضوا عليهم بالسيوف والحراب والعصي ، ولم يتمكن الجنود من التصويت لأن الانصار دخلوا وسط صفوفهم وقتلوا منهم عددا كبيرا وفر الباقون الى الباخرة حيث كان ينتظرهم أبو السعود والذي عاد الى الخرطوم بعد فشل مهمته .

ثم أرسل المهدي الى قبائل دغيم وكنانة والعمارة فأتوه في اليوم التالي ، وأخذوا البيعة على المهدية ، وعبر المهدي وأصحابه النيل التي الغرب مهاجرين الى قدير عن طريق دار الاحامدة .

الهجرة

لقد سبق أن ذكرنا بأن المهدي كان قد أسرّ إلى المقربين له بدعوته وكاتب البعيدين عنه يطلب منهم الحضور للهجرة إلى مكان يكون فيه قوام الدين وعدل المهدي تاريخ الهجرة أكثر من مرة إلى أن حدثت واقعة ابا والتي عجلت بتنفيذ الهجرة إلى قدير . وأراحت المهدي من فترة القلق والحيرة والتردد والمعاناة وحسنت طريق الدعوة ، وجعلت له الاتباع وعندما وصل قدير كان عدد أتباعه قد بلغ ثمانية آلاف رجل .

والهجرة معروفة في تاريخ الحركات الدينية وهي في نظرهم حد فاصل بين عهد مضى وعهد قادم وتشبه عملية الخروج من الجاهلية إلى الإسلام وبين الظلام والنور والكفر والإيمان وهي عبارة عن هروب عملي من مواطن الكفر وتهيئة النفس للحياة الجديدة وبالنسبة للمهدي فإنه تقليد للرسول بل انه ذكر انها أمر منه « . . . » وقد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأشار إلي بمكاتبة المسلمين ودعوتهم إلى الهجرة معنا ، فهي مطلوبة جدا ومن الأمور التي لا يجوز مخالفتها ولا يلتفت في ذلك إلى أحد ، فإن اتبع الأهل بها ، والا فالصحابا تركوا أهلهم للهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . » (١١) .

وقد وضعت الهجرة إلى قدير على بعد من مراكز حاميات الحكومة

(١١) منشور الدعوة ، شعبان ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م .

وعن مناطق نفوذ الفقهاء ومشايخ الطرق الصوفية ووجد أرضاً جديدة ليست بها انتماءات عقائدية سابقة وكانت الهجرة معدّة ومرتبّة في ذهن المهدي ولم تكن حدثاً عرضياً بعد واقعة ابا (١٣) .

ومن الناحية النظرية تبدو الهجرة وكأنها نوع من الاختبار يوضح مدى استعداد التابع للانخراط في الحركة . قرر المهدي بأن الهجرة الى الله ، ومن يهاجر الى الله لا بد أن يتخلص من الخوف ويتصرف بالتوكل في رزقه على الله وأن يتخلص من عواطفه الوجدانية نحو أسرته . والشخص الذي يصل الى هذه المرحلة يتسم بالصفات التي تخرطه في سلك المجاهدين .

ومن الناحية العملية فإن الهجرة تبدو عملية استراتيجية تعطي المؤيدين للحركة فرصة للانضمام واختبار الميدان للاصطدام بالعدو .

(١٢) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، منشورات المهديّة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٢ .

واقعة قدير الاولى

استطاع المهدي الوصول الى جبل قدير ، وحاول محمد سعيد باشا، مدير كردفان ، قطع الطريق على المهدي ومنعه من الوصول الى قدير ولكنه فشل في مهمته وعاد دون أن يبلغ شيئا بعد أن منعه الملك آدم ام دبالوا من الدخول الى جبل قدير (١٣) .

وفي ذلك الوقت كان راشد أيمن بك مديرا على مديرية فاشورة وقد قرر أن يفاجيء المهدي ويقضي عليه ورغم ان الحكمدار محمد رؤوف لم يأذن له بذلك فانه توجه الى قدير على رأس قوة يبلغ عددها نحو ٣٥٠ جنديا نظاميا و ٧٠ من الخطرية ونحو الالف رجل من قبيلة الشلك تحت قيادة ملكهم كيكون . أجهد راشد جيشه بالسير المستمر أملا في مباغطة المهدي والذي علم بمجيئه واستعد للقائه ، ووصلت جنود راشد الى قدير ، منهوكة القوى ، وهجم عليهم المشاة من الانصار ، ودخلوا وسطهم ، ففرطوا عقد القلعة ، وتلقى الخيالة من الانصار القارين من جند راشد ، وأعملوا فيهم السيف ، وانتهت المعركة بنصر حاسم للمهدي ، وقتل معظم الجيش وعلى رأسهم راشد وكيكون ملك الشلك، وبوصول الانباء للخرطوم ، شعر رؤوف بالخطر واتصل بمصر طالبا المدد من القوات . وختمت سنة ١٨٨١ بهذه الموقعة وطار صيته المهدي وجاءته الوفود تأخذ البيعة وانضمت الي صفوف حركته (١٤) .

(١٣) الدكتور مكي شبكة ، السودان عبر القرون ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥٨ .

(١٤) الدكتور مكي شبكة ، السودان عبر القرون ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٦٤ .

واقعة قدير الثانية

لم تستجب الحكومة المصرية لطلبات رؤوف باشا بالامدادات التي طلبها بل قررت رفعه عن الحمدارية وعينت بدلا عنه عبد القادر حلبي باشا وتولى جيكلر باشا الحكمندارية وقرر ارسال حملة للقضاء على المهدي بقيادة يوسف حسن الشلاحي ، مكونة من ثلاثة عشر بلوكا من الجند النظامي وألف وخمسمائة رجل من الخطرية التقى الجيشان في معركة طاحنة انتهت بانقراض جيش الشلاحي . ولم يعد المهدي بعدها محتاجا الى التزام خطة دفاعية في قدير وانما قرر التوجه نحو الابيض وترك الاسلحة النارية التي غنمها من جيش راشد والشلاحي في قدير بدعوى انه ليس بحاجة اليها وولى على منطقة قدير ابن عمه محمود عبد القادر . وفي قدير وضع المهدي اللبنة الاولى في تأسيس دولته ، واعتبر يوم انهزام الشلاحي بدايعة لتطبيق احكامه (١٥) .

ومن هنا بدأ المهدي في مواجهة مشكلات التنظيم ، والسيطرة على النظام والامن بين صفوف اتباعه الذين اصبحوا يعدون بالالاف . ولم يكن للمهدي ، أو أحد من اتباعه خبرة سابقة بالامور الادارية والعسكرية ، ففي الجانب العسكري اتجه المهدي الى التصور الصوفي . فقسم الجيش

(١٥) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديية ، الخرطوم ١٩٧٠ ، ص ٢٢ .

الى أربع رايات ، الراية البيضاء وهي خاصة به أي راية القيادة وكان يحملها اخوه محمد بن عبد الله والراية الثانية هي الراية الزرقاء (السوداء) بقيادة الخليفة عبد الله وجل اتباعها من أهل الغرب اما الراية الخضراء فكانت تحت قيادة الخليفة علي ودخلو واتباعها من قبائل دغيم وكنانه والحسنات والعمارنة اما الراية الحمراء فكانت تحت قيادة الخليفة محمد شريف واتباعها من أهل النيل . ورغم أن هذا التقسيم أخذ طابعا اقليميا بصفة عامة ، الا ان كل راية كانت مقسمة الى رايات فرعية حسب القبائل وبالإضافة الى ذلك لم يكن عدد افراد كل راية متساويا واصبحت الراية الزرقاء اكبر الرايات عددا بسبب وجود الجيش الرئيسي في منطقة الغرب وهذا مما مكن الخليفة عبد الله من السيطرة على الجيش بصفة خاصة والسيطرة على دولة المهدي فيما بعد .

والمشكلة الثانية التي واجهت المهدي هي مشكلة السيطرة على المحاربين ومنعهم من السلب والنهب والقتول في الغنائم وقد انشأ المهدي جهازا للمالية اسماء بيت مال المسلمين وولى عليه احمد سليمان ، واصدر المنشورات المشددة في التحذير من القتل في الغنائم من جانب الافراد والقبائل التي لم تنضم للحركة بسبب دوافع دينية وانما كانت تسعى لمصالح دنيوية وعندما نجحت الحركة طفقت هذه العناصر تبحث عن المطامع التي كانت تسعى اليها فاتخذت موقفا معاديا من الحركة . ومن جهة اخرى انتقلت الدعوة من الاطار النظري الى الواقع المعاش الى ان وصلت الى مرحلة التناقض فحدث رد فعل كان نتيجته سلسلة من الصراع والتنافس في حياة المهدي وانتقل في عهد الخليفة الى المجاهرة بالعصيان ما كلف الخليفة عبد الله كثيرا من الجهد والمعاناة .

التوجه نحو الأبيض

اقام المهدي بقية شهر رجب وشعبان في جبل قدير ، حيث اجري بعض التنظيمات في جهاز دولته الجديد وفي رمضان ١٢٩٩ هـ زحف نحو الأبيض وكان الطريق امامه ممهدا ، بفضل الارتباطات والمواثيق التي كان قد عقدها مع الزعماء ورجال الدين بمدينة الأبيض بالاضافة الى ان دعائه قد اشعلوا الثورة في الاماكن التي بها حاميات حكومية ، مثل قرية اسحف والتياره ولما بلغ المهدي تخوم الأبيض ارسل انذارا الى اهليها وعلى اثره خرج الياس وحزبه ولحقوا بالمهدي بينما تحزب الباقون ودخلوا في المنطقه المحصنة من المدينة .

واقعة الجمعة ٢٤ شوال ١٢٩٩ هـ / ٨ سبتمبر ١٨٨٢ م.

ان اول حادثة اصطدمت فيها النظرية المثالية بالواقع العملي هي واقعة الجمعة (١٦) . اعتمد المهدي في حروبه السابقة ضد قوات الحكومة على الحراب والسيوف وجريا على ذلك ترك الاسلحة النارية التي غنمها في الكواليب بجبل قدير وذكر بانه ليس بحاجة لها . والشاهد ان المعارك التي خاضها المهدي ضد جيش الكومة كانت في العراء وقد استفاد المهدي فيها من مباغتة الجيش والدخول في وسطه مما يجعل استعمال الاسلحة النارية متعذرا . اما الابيض فمدينة محصنة . استطاع الحكام تحصينها بخندقين حول المدينة ونصبوا المدافع على أسطح المنازل وأصبح المهاجمون من الانصار فريسة لنيران المدافع ولم يتمكنوا من دخول المدينة والالتحام مع الجند كما كانوا يرغبون . وفي صباح الجمعة المشهورة قام الانصار بهجوم كبير على المدينة ولكنهم اصطدموا ولاول مرة بمناعة الاستحكامات وقد خسروا في ساعات قليلة نحو عشرة آلاف من الرجال وعلى الاثر انسحبوا من المعركة . وقد ظهر نتيجة للصدمة رأي يقول بالتفهم الى قدير ، ولكن الياس أم برير وقف ضده بشدة ونصح بمواصلة القتال ، لان مستقبله كان متوقفا على استيلاء المهدي على

-
- (١٦) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ، ١٩٦٧ ص ٦٩٤ .
(١٧) الدكتور ابراهيم شحاته حسن ، مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام ، الاسكندرية ، ص ١٦٣ .

الايض (٧١) . ونحن نستبعد حدوث ذلك لان محمد سعيد باشا ، مدير كردفان ، لم يطارده المهدي والذي لم يكن في حاجة الى التقهقر . والمهم ان المهدي التجأ الى اسلوب الحصار والذي استخدمه في القضاء على الخرطوم بعد ان اخذ الدرس في الايض . وهذه الحادثة اوضحت للمهدي ان الاسلحة النارية لا يمكن الاستغناء عنها رغم انها من موروثات الترك . ومن هذه الحادثة اهتم المهدي بأمر الجهادية وهم الجنود السود المدربين على استعمال الاسلحة النارية بواسطة الحكومة التركية المصرية . اقتنع المهدي باهمية الاسلحة النارية ، كما اهتم الخليفة عبدالله فيما بعد بأسر البواخر النيلية والمطبعة الحجرية ومصنع الصابون ومصنع البارود والترساة وصك النقود ، واستعان بالكتاب والمحاسبين في ادارة شئون دولته (١٨) . واكتفى المهدي بالغاء استعمال الرتب العسكرية وعدم استعمال الخط التركي في الكتابة واما الذين تشككوا في المهدي بعد واقعة الجمعة فقد اشار اليهم المهدي في احد منشوراته واعتبر هجرتهم مردودة وطالبهم بالتوبة وتصحيح ايمانهم (١٩) .

وقد ظلت جيوش المهدي محاصرة لمدينة الايض ، حتى ضاق الحال باهلها مما اضطر محمد سعيد باشا بالتسليم للمهدي وهكذا اسقطت مدينة الايض في ١٨ يناير ١٨٨٣ ودخلها المهدي منتصرا .

وبعد سقوط مدينة الايض ، شرع المهدي في اعادة تنظيم دولته الجديدة على النمط الاسلامي . وهنا برز الصراع والتناقض بين الجوانب النظرية والواقع المعاش . ظهر التكالب على الرئاسة وجمع الغنائم مما اضطر المهدي لاصدار المنشورات المشددة في التحذير من القلول في

(١٨) محمد محبوب مالك : النظام البيروقراطي في دولة المهدي ، مجلة الخرطوم ، ديسمبر ، ١٩٦٦ ، ص ٤٤-٤٨ .
(١٩) منشورات المهدي المطبوعة ، الجزء الثاني ، ص ٦٣ .

العنائم • وفي هذه المرحلة ظهرت بوادر المقاومة لسلطة المهدي والتسي على حسب اعتقاده لا تقبل المناقضة لانها صادرة بالهام إلهي • • اي ان الاتباع عليهم التزام الطاعة العمياء حسب بيعتهم له ومن الملاحظ ان عدم الاستجابة لاوامر المهدي جاء من جانب القبائل التي كانت تحارب تحت قيادة زعمائها وشتت الثورة على حاميات الحكومة بمفردها بعيدا عن الجيش الرئيسي الزاحف مع المهدي وقيل ان المنة اسماعيل ، زعيم الجوامعة ، كانت لديه الرغبة في لاستيلاء على مدينة الابيض ، قبل مجيء المهدي ونسب الى جماعة المنة اللجوء الى السلب والنهب • واستطاع المهدي القبض على المنة وكبار اعوانه ونفذ فيهم حكم القتل وقلمت اظافر جماعته •

لعب الجوامعة والحمر والجوازمة والفديات دورا بارزا في القضاء على حاميات كردفان في باره والتياره وقرية اسحق ومهدوا الطريق لجيش المهدي بالنقدم الى مدينة الابيض وكان هؤلاء العربان يتطلعون الى المكاسب من العنائم الا ان المهدي حذرهم من الفلول فيها وعهد بأمر العنائم الى امين بيت المال كما سبقت الاشارة •

ومن بين التعديلات والتنظيمات التي اجراها المهدي في جهاز دولته، نظام الخلافة ، مما اوجد نوعا من المنافسات بين كبار اتباعه ، كانت بمثابة بذور الفتنة والشقاق وصارت تنمو مع تطور الحركة ، بحيث صارت من اخطر العوامل التي عملت على هدم حركة المهدي وتطلع المهدي الى نشر دعوته خارج السودان فعرض احد مراتب الخلافة لمحمد المهدي السنوسي املا في اجتذاب اعوان السنوسي في مناطق غرب السودان ولم يستجب السنوسي لعرض المهدي وترتب على ذلك نوع من الحرج ، وظل كرسي خلافة عثمان شاعرا ، مما جعل بعض المناوئين لحركة المهدي يطالبون بهذا الكرسي الشاعري ويتخذونه مسوغا لمعارضة حركة المهدي •

بعد انتصارات المهدي في ابا وقدير ، صارت وفود القبائل تهاجر اليه والذي اعطى عددا كبيرا من زعماء القبائل ومشائخ الطرق البيعة والامارة لاشعال الثورة في مناطقهم كما اعطاهم الاذن باخذ البيعة نيابة عنه . واسرعت قبائل الجزيرة ، في اول الامر ، بالانضمام لحركة المهدي ، واسهم مشائخ الطرق الصوفية بنصيب وافر في استنفار القبائل ، السى جانب تطلع القبائل الى التخلص من جياة الضرائب ، التقى عدد كبير من البطاحين والشكرية والجعليين والدناقلة وغيرهم من سكان الجزيرة ، حول الشريف احمد طه ، وفي ابي شوكة التفت جموع كبيرة من عربان رفاة الهوى علي فقيه من التكارنة يدعى محمد زين ومن الفقهاء الذين انضم اليهم عربان رفاة الهوى ود الصليحاي وود يرجوب ويشير المهدي الي هؤلاء باحبابه ونوابه في اقامة الدين : الخليفة الشيخ عطا المنان الصليحاي والشيخ المركي والشيخ صالح الفوراوي والشيخ عبدالله يرجوب (٢٠) .

وكان اول من اشعل ثورة المهدي في الجزيرة ، عامر المكاشفي والذي قاد هجوما موقفا على مدينة سنار واوشك ان يحتلها لولا انه جرح واضرار الي الانسحاب وقد تبعها حركات اخرى الا انها لم تفلح في طرد قوات الحكومة من المنطقة (٢١) .

وفي هذه الفترة كانت القوات البريطانية ، قد دخلت مصر ، وانتهت حركة عرابي ، وفرضت بريطانيا على مصر سياسة الاخلاء عن السودان ، وبالرغم من ذلك وافقت على اختيار هكس باشا ، وهو ضابط بريطاني متقاعد ، رئيسا لاركان حرب القوات المصرية بالسودان . واعدت الخطة القضاء على المهدي في كردفان بحملة يقودها هكس باشا .

(٢٠) محفوظات درام : محفظة رقم ١٠٠ ملف ١/١ : رسالة من المهدي الي الشيخ عطا المنان الصليحاي بتاريخ ١٣٠٠ هـ .
(٢١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديسة ، انخرطوم ١٩٧٠ ص ٢٤ .

واقعة شيكان
٤ محرم ١٣٠١ هـ - ٥ نوفمبر ١٨٨٢ م

عندما علم المهدي بتحرك حملة هكس من الخرطوم ، أرسل المنشورات الى القبائل التي تفرقت بعد سقوط الابيض ، وخرج من مسكنه في الابيض الى خارج المدينة حيث تجتمع معسكر كبير حوله من القبائل ، وكان المهدي يشرف بنفسه على التدريبات وتأقلم الخيل على اصوات البنادق وأرسل الطلائع بقيادة محمد عثمان ابي قرجة وعبد الحليم مساعد وعمر الياس ام برير وصدرت التعليمات بمراقبة سير حملة هكس دون الدخول معها في معركة حربية على ان يقوموا بردم آبار الماء وافساد المرعى والى غير ذلك من الاعمال التي تعطل سير الحملة وتخلق لها المصاعب والمشاكل .

وعندما وصلت حملة هكس الى منطقة شيكان ، وهي منطقة تكثر فيها الشجيرات ، بدأت قوات ابي عنجة منذ اليوم الثالث من شهر نوفمبر تمطر قنات هكس بالنيران الكثيفة المتقطعة طوال الليل واعيدت المناوشات في اليوم التالي وفي اليوم الخامس من نوفمبر اصدر المهدي اوامره بالهجوم العام على جيش هكس والذي اسفر عن اباداة كاملة لجيش هكس وقتل هكس وعلاء الدين باشا ولم ينج الا عدد قليل يعد على أصابع اليد .

وترتب على هذه الهزيمة ان اصبح غرب السودان خاضعا لنفوذ المهدي وقد ارسل المهدي قوة بقيادة محمد خالد زقل لضم دارفور وأرسل كرم الله كركساوي لاحتلال بحر الغزال واصبح الطريق ممهدا امام المهدي المزحف نحو الخرطوم .

النوجه الى الخرطوم

وفي هذه الفترة ركزت بريطانيا على سياسة الاخلاء ، وعين غردون باشا حكامدارا للسودان للقيام بهذه المهمة ولكن الاحداث دفعت له لتعدي المهدي والعمل على القضاء عليه ، فانقلبت الدائرة عليه . وبعد مجيء غردون الى الخرطوم انتشرت الثورة في منطقة بربر ونواحيها بقيادة محمد الخير عبدالله خوجلي وفي شرق السودان ، اشعل ثورة المهدي عثمان دقنة بساونة فقهاء المجاذيب فاحتل طوكر في عام ١٨٨٣ وسنكات في عام ١٨٨٤ وقطع الطريق بين سواكن وبربر واضحى من المستحيل ان ترسل القوات المصرية عن هذا الطريق (٢٢) .

تولى العبيد ود بدر امر محاصرة الخرطوم ، وتعرضت قواته السي هزائم من جانب عساكر غردون ، فأرسل الى المهدي يطلب المدد ، فعين المهدي محمد عثمان ابا قرجة قائدا عاما للجيوش المحاصرة للخرطوم . وزحف المهدي بجيشه من الايض في بطاء وقد توقف في الرهد . اما محمد عثمان ابو قرجة فقد توجه الى الخرطوم عن طريق الجزيرة ، حيث انضم اليه عدد كبير من الانصار وكان جيشه يزداد ضخامة كلما توغل في الجزيرة السي ان وصل الجريف شرق الخرطوم وضرب حصارا حول

(٢٢) الدكتور ابو سليم ، الحرية الفكرية في المهدي ، الخرطوم ، ١٩٧٠ ، ص ١٧ .

الخرطوم • ثم أرسل المهدي عبد الرحمن النجومي وعبدالله النور بقوات فاحكموا الحصار ولما وصل الى جهات ابي سعد بالغرب من أم درمان أرسل بعض القوات لتدعيم الجيش المحاصر للخرطوم وأرسل فرقة لحصار نقطة أم درمان التي سلمت بعد مقاومة شديدة •

وفي هذه الاثناء سمع المهدي باخبار حملة الانتقاذ التي ارسلت الى غردون وقيل ان المهدي عقد مجلسا حريبا مع كبار أصحابه للتشاور في امر التوجه لقتال الحملة وتأجيل فتح الخرطوم ، فاستقر الرأي على الهجوم على الخرطوم وأرسل سرية من الجيش لمقاتلة حملة الانتقاذ وفي صبيحة يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥ صدرت الاوامر بالهجوم على الخرطوم وتم استلام المدينة وقتل غردون •

لم يشأ المهدي ان يتخذ الخرطوم عاصمة لدولته ، لانه كان ضد المدن والعواصم وقد استقر أمره على انشاء معسكر للهجرة في أم درمان لتوجه منه الجيوش الى الشمال نحو مصر وقد اختار فيها مكانا للمسجد واقامت حوله مدينة أم درمان وفي نفس الوقت بدأ المهدي يعيد النظر في تنظيم جهاز دولته وأرسل الجيش الى اخضاع جبال النوبة والى فتح مدينة سنار واستلام كسلا وامر محمد الخير عبدالله خوجلي بالزحف نحو دنقلا واستدعى النجومي بصفة مؤقتة للاشتراك في حصار سنار •

وفي بداية رمضان ١٣٠٢ هـ قرر المهدي اعتزال مباشرة اعمال الدولة وحذر اصحابه من شغله باعمال دنيوية والتي عين لها عددا من الامناء للنظر فيها • وبعد ايام قليلة اصابه المرض وتوفي في يوم ٨ رمضان ١٣٠٢ هـ ٢٢ يونيو ١٨٨٥ وبذلك انتهت مرحلة هامة من تاريخ حركة المهديية وهذه الوفاة المبكرة المفاجئة ترتبت عليها نتائج خطيرة في الحركة من ناحية فكرة المهديية ومن ناحية سير الاحداث في المرحلة الثانية من حركة المهديية •

اما من ناحية الفكرة فان وفاة المهدي المبكرة وقبل ان يتم الفتوحات التي أعلن انها سوف تتم على يديه حتى الكوفة ومكة والمدينة ، قد زعزت ثقة جمهرة من الناس في مهديته * وقد تنبه الخليفة عبدالله الى ذلك فلجأ الى القول بان عهده مكمل لعهد المهدي ومتدرج فيه وبأن الفتوحات سوف تتم على يديه كما تمت الفتوحات الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين *

الفصل الثالث

تاريخ المهديّة - فترة الخليفة عبد الله

تولي الخليفة عبدالله السلطة

تهجير البقارة

الجهادية

الخليفة عبدالله والجهاد

الثورات القبلية

ثانياً - فترة الخليفة عبد الله

الخليفة عبدالله ، هو عبدالله بن محمد بن آدم ، دخلت أسرته الى بلاد السودان عن طريق منطقة وادي ويرانو ، وليس لدينا مصادر عن خلفية هذه الاسرة ، التي تحتفظ بشجرة انساب تصل بها الى النسب الشريف ، ويذكرون بان جدهم الكبير هاجر من الجزيرة العربية الى بلاد تونس ومنها الى غرب افريقيا ثم دخلوا بلاد السودان في طريقهم الى الحجاز . ومن الثابت ان جد الخليفة عبدالله مدفون بجهة هجليجة (١) بجهات شكنا وان والد عبدالله تزوج من قبيلة التعايشة - فرع الجبارات من بطن يقال له أبو صرة ، وكان والد عبدالله فقيها عالما بالرمل ، قال حظوة كبيرة عند التعايشة واشتهر بعلم الغيب والتقوى (٢) .

ويقال بان عبدالله لم يكن يهتم بتعليم القراءة والكتابة كشأن اخوته ، الذين كانوا يلحون عليه بالمواظبة على الدراسة ، فمنعهم والدهم من ذلك وقال لهم دعوه فانه سيكون له شأن عظيم ولقد روى كل من الزبير باشا رحمه والشيخ محمد نور الدائم بأن عبدالله عرض عليهما المهديّة فنهياهم عن ذلك ، وفي ايام ثورة السلطان هارون بدارفور ، هاجر عبدالله ووالده واخوته وتلامذة ابيه قاصدين الحجاز ، ونزلوا في ضيافة الشيخ عاكر

(١) رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد شيخ محمد كرقساوي ، بتاريخ

٦ جماد الآخر ١٣٠٤ هـ ، دفتر صادر ١٠ ص ١٣٤ .

(٢) الدكتور مكّي شبكّة ، السودان عبر القرون ، ص ٢٨١ .

ابو كلام ، شيخ قبيلة الجمع ومات والد عبدالله في ابي ركة ودفن هذ
وتوجه عبدالله الى أرض الجزيرة فقابل (المهدي) في المسلمية وبايعه
المهدية ، وبذلك اصبح أول المصدقين بها .

ومن هذا السرد الموجز ، يتضح الاختلاف بين خليفة كل من المؤ
والخليفة عبدالله ، اختلاف في البيئة واختلاف في التربية الدينية والت
اثرى المهدي الدعوة بالفكرة والكتابة في الدعاية والعمل لها وأ
الخليفة عبدالله الحركة بالاخلاص في العمل وبتمنية القوى البشرية م
قبائل غرب السودان ، وكان كل منهما يكمل للآخر ، واستطاع الخليا
عبدالله ان يجد لنفسه مكانة سامية عند المهدي واصبح الرجل الثاني
الحركة ، وتغلب على كل خصومه ومنافسيه ، بفضل حنكته ، اذ ن
مرتبة خلافة الصديق ، وامارة جيش المهدي ، وسيطر على أكبر راي
المهدية ، وهي الراية الزرقاء وجل اتباعها من اهل الغرب ، واستطاع
يتولى خلافة المهدي بعد وفاته من دون اراقة دماء .

تولي الخليفة عبد الله السلطة

توفرت عدة اسباب لتولي الخليفة عبدالله خلافة المهدي ففي المقام الاول استطاع ان ينال مكانة مرموقة في حركة المهديّة ، فهو من أول المصدقين بالمهدي ، ولازمه منذ اللحظة الاولى التي اعلن فيها مهديته وشهد كل المعارك ضد جند الحكومة واستطاع ان ينال لقب خليفة الصديق ، وأمير جيش المهديّة . كما كان داهية ومراوغا في عملية التخلص من المنافسين له ولم يكن يسمح لاي قائد أو زعيم محاولة الخروج عن قبضته فقد تولى قيادة الجيش بعين ساهرة .

ويوم وفاة المهدي كان الموقف الحربي في أم درمان ، لصالح «الخليفة عبدالله» فقد كانت جميع قوات الراية الزرقاء ، بأم درمان ما عدا راية حمدان ابي عنجه ، الذي كان قد ارسله المهدي الى جبال النوبة لاختضاع اهله الذين ارتدوا عن المهديّة . وكان يوجد بأم درمان فرقة من الجهادية ، تحت قيادة فضل المولى صابون . وهذا يعني ان الراية الزرقاء كانت أقوى الرايات الموجودة بأم درمان ، وكان الخليفة عبدالله قد أوكل قيادتها الى اخيه يعقوب بن محمد - اما راية الخليفة علي ودخلو فقد كانت عبارة عن فرق رمزية والراية التي كان الخليفة عبدالله يخشى بأسها هي راية الخليفة شريف . ولكن كان معظم قادتها بجيوشهم خارج أم درمان . كان محمد عبد الكريم محاصرا لمدينة سنار كما ان عبد الرحمن النجمي وعدد من قادة الراية الحمراء توجهوا الى سنار لمساعدة محمد

عبد الكريم وكان محمد خالد يعيدا في دارفور وكرم السله كركساوي
واخوته في بحر الغزال ومحمد الخير عبدالله خوجلي في عمالة دنقلا .

ويوم وفاة المهدي كان الامر في يد ، الخليفة عبدالله ، ولكنه لم
يتسلم السلطة عن طريق القوة ، وانما لجأ الى اساليب الشورى ، واستفاد
كثيرا من تأييد جماعة المتدينين والتقاء من المؤمنين بدعوة المهدي الملتزمين
بيعتها وهم الخليفة علي ود حلو واحمد شرقي ، جد الاشراف ، والسيد
المكي وروي يوسف ميخايل قصة بيعة الخلافة على النحو التالي : -

« بعد دفن المهدي اجتمعت الاشراف لاجل الخلافة السيد محمد
شريف خليفة الكرار وباقي الجموع عارضتهم فبذلك قالوا لهم الخلافة
الى خليفة الصديق عبدالله بن السيد محمد علي حسب ترتيب الخلقاء
واختار القوم وظل الخليفة صامتا . ثم قام الفكي الداداري واخذ الخليفة
عبدالله التعايشي بيده وقال له بايعنا يا خليفة المهدي . وقام بعده أحمد
شرقي ، جد الاشراف ، أخذ سيف المهدي والعمامة سلمها الخليفة عبدالله
وقال له اعطينا البيعة وبعدهم تقدم خليفة الفاروق والسيد المكي واخذوا
البيعة مثل السيد عبد القادر ساتي علي والسيد عبد الكريم حتى تقدم
خليفة الكرار واخذ البيعة وبعد المغرب نصبو منبر عال له ثلاثة سلالم
وحضر الخليفة وعلا الكرسي واجتمع كافة الانصار امام الكرسي واعطاهم
البيعة وواقف الفكي الداداري امامه مع الخليفة علي ود حلو واخيه الامير
يعقوب ، بعد أخذ البيعة ، مستعد بالسلاح والرجال^(٣) » وتبين هذه الوقائع
ان تولى عبدالله السلطة كان بمساندة مشايخ الصوفية ، علي بن محمد
حلو ومحمد المكي ، وأحمد شرقي ضد رغبة الاشراف بالرغم من ان أحمد
شرقي كان منهم^(٤) .

(٣) مذكرات يوسف ميخايل ، ص ٦٨

(٤) Holt, P. M. The Mahdist state in the Sudan, P. 120—121.

ويبدو بان الحركة التي قام بها الاشراف ، كان الغرض منها ، تأمين مركزهم والامتيازات التي تحصلوا عليها وذلك لان المهدي قبل عشرة أيام من وفاته ، هاجم الاشراف وهاجم تكالبهم على الدنيا في خطبة الجمعة ، التي قدر لها ان تكون آخر خطبة يلقيها المهدي على اصحابه في المسجد وقد هاجم في هذه الخطبة الاشراف صراحة بقوله « ... قد ورد لنا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : اصحاب المهدي كاصحابي ، لكن اصحابي اذا حصل عليهم جوع يجوعون سوريا واذا حصلت عليهم ايام الشدة فعامة عليهم واما اصحابك فمنهم قحطان ومنهم شعبان ، خصوصا الاشراف فقد اهلكهم احمد سليمان بالدنيا - اعادنا الله من ذلك وسلك بنا وبكم مسلك النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الكرام » (٥) .

ويبدو ان المهدي لم يكن راضيا عن سلوك الاشراف وانه بلسخ به الغضب الحد الذي وصل فيه الى مهاجمة الاشراف علنا واخراجهم من دائرة اصحابه الخالص واسناد ذلك الى خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهاجمته لاحمد سليمان، امين بيت المال ، لافساده الاشراف، تدل على ان احمد سليمان كان منحازا الى جانب الاشراف وسهل عليهم عمليات الصرف من بيت المال سواء ان كانت نقودا او ذرة او غير ذلك من الاشياء التي كانت تحت عهده وهذا على حساب القبائل الاخرى وخاصة قبائل اولاد العرب والتي كانت ترفع شكواها الى الخليفة عبدالله ويبدو ان يعقوب بن محمد وكيل الراية الزرقاء لم يكن قادرا على تحقيق مطالبة افراد رايته من امين بيت المال وسنفسر في جانب آخر من هذا البحث ، اثر هذه المعاملات في تكييف سياسة الخليفة عبدالله وكيف خطط لابعاد الاشراف واولاد البلد من مراكز السلطة .

(٥) دكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مخطوط توشكى ، ص ١٢٨ .

بعد ان تمت البيعة للخليفة عبدالله ، في أم درمان ، أرسل منشورا عاما الى جميع العمال في الاقاليم ، يعني فيه خبر وفاة المهدي ومبايعة الانصار له بالخلافة . كما ارسل الخليفتان علي بن محمد حلو والخليفة محمد شريف منشورا في نفس المعنى (٦) .

ومن هذا العرض الموجز ، تتضح الصورة التي تم فيها انتقال سلطة المهدي الى الخليفة عبدالله والذي لم يكتف بذلك وانما لجأ الى الاعمال الغيبية ، ليجد فيها سندا لخلافته وزعم بان خلافته مستمدة من حضرة نبوية رآها المهدي قبل وفاته . اعلم المهدي في تلك الحضرة بالانتقال من الدنيا وطلب منه الرسول (ص) ان يعين له وكيلًا يقوم بالامر من بعده . فأوكل الخليفة عبد الله ووردت قصة هذه الحضرة في المنشور السني أرسله الخلفاء الى العمال يخبرونهم فيه بوفاة المهدي وثمة وثيقة اخرى كتبت في وقت مبكر من حكم الخليفة عبدالله تسمى بمنشور الشعرة . فحوار سلسلة من الحضرات والممارسات الصوفية للخليفة . ثلاث من هذه الحضرات لها ارتباط بادعائه الخلافة واردة في صورة حوار مع الخضر نصها كالاتي : « قال لك المهدي ان الله جعلك هدية في الارض من شرقها الى غربها ويقول الحباك وتبع قولك قبل منا الهدية والسني يقبل منا الهدية قبلناه وامن مكر الله والذي لم يحبك ولم يسمع قولك صار من الفاسقين والفاسق مأواه النار » . ثم يورد بعد ذلك قصة شعرة المهدي التي كان يحتفظ بها أحمد ود سليمان ، امين بيت المال وان نبي الله الخضر كان مخضرا عليها الا ان يلما الخليفة عبدالله . ويبدو ان استغلال الرؤى قد تناقص بعد الثلاث او الاربع سنوات الاولى من حكم الخليفة عبدالله ، أي الوقت الذي ابتكر فيه الخليفة عبدالله وسائل اخرى لتأكيد سلطته والذي أجبر فيه على التحقيق من ان معارضيه ممن بين الاشراف وأولاد البلد لا يكف التصالح معهم (٧) .

(٦) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، منشورات الهدية ، ص ٨١-٨٤ .
(٧) Holt, P. M. The Mahdist state in the Sudan, P. 125.

وهذا يعني اضافة اعباء جديدة للخليفة عبدالله ، الذي كان مطالباً بالاستمرار بدعوة المهديّة رغم الصعوبات التي ورثها بسبب وفاة المهدي المبكره ومن أهم هذه الصعوبات مسألة العزوف عن المهديّة ، ذلك لأن البعض كانوا يرون وفاة المهدي في تلك المرحلة المبكرة قبل دخوله الشام ومكة واخضاع العالم الاسلامي ، شرقه وغربه كما اعلن تعني ان مهديته ادعاء كاذب وبالتالي فان حركة المهديّة فقدت ركيزة هامة من ركائز الثورة وهي الاعتقاد في المهدي بانه « المهدي المنتظر » وهذا بدوره أثر في الجانب العقائدي من المهديّة . ثم ان الحركة المهديّة تركت ارضها الاصلية في غرب السودان ، وانتقلت الى أرض النيل ، أي نفس المنطقة التي لم يجد فيها المهدي أذناً صاغية لدعوته في أيامها الاولى . وفي الجانب العقائدي لجأ الخليفة عبدالله الى اصدار حضرات نبوية تثبت حقه في وراثة المهدي كقائد للدعوة والتنظيم وان خلافته استمراراً للمهديّة وان اعماله منسوبة للمهدي كما قام بعمل دعاية واسعة لراتب ومنشورات المهدي كما قام بطباعة بعض منشورات المهدي التي تدعم موقفه كالمشور الوارد في حقه واستنسخ منه نسخاً كثيرة بمطبعة الحجر وارسلها الى الاقاليم .

لم تكن مسألة الخلافة هي المشكلة الوحيدة التي واجهت الخليفة عبدالله في أول سني حكمه ، اذ ظهرت مشاكل اخرى من جانب القبائل التي كانت تنتظر جاية كمر جهادها بعد ان دانت جميع مناطق السودان للمهديّة ، كما عادت كثير من القبائل التي مواطنها وكان لا بد للخليفة عبدالله من ان يعتمد على عصبية من أولاد العرب فعمل على تهجيرهم الى أم درمان كرها .

تهجير البقارة

بعد انتقال مركز حركة المهديية الى أم درمان و وفاة المهدي بها ، لم يعد للعامل الديني نفس الحماس والتأثير في قوة الاندفاع الذي ايدت به الجموع حركة المهديية . رجع عدد كبير من افراد القبائل الى أوطانهم وخاصة قبائل البقارة الذين اعتمد عليهم الخليفة عبدالله في تقوية الراية الزرقاء ولذلك نجد ان الخليفة عبدالله كان مهتما بأمر تهجير قبائل البقارة بصفة خاصة وقبائل اولاد العرب بصفة عامة الى أم درمان وذلك لعدة اسباب . اولها انه لم يكن مطمئنا الى قبائل اولاد البلد وكان حريصا في أن يجعل كل اولاد العرب في موقف أقوى من حيث العدد والاسلحة والذخيرة وتعيين العمال عليهم من ابناء جنسهم للتأكد من حسن المعاملة وراحتهم في المأكل والملبس وثاني هذه الاسباب ان قبائل اولاد العرب اشتركت بنصيب كبير في وقائع المهديية الاولى ولم يكن لدى هذه القبائل ارتباطات سابقة بالطرق الصوفية مما يؤثر في عقيدتهم بعد وفاة المهدي . اي انه لم يكن لديهم التزام عقائدي سابق يجعلهم يهجرون دعوة المهديية وانما كان لديهم ولاء عقائدي وارتباط بالارض . حاول الخليفة عبدالله تكسير شوكة زعماء القبائل لكيلا يعوقوا مسيرة الهجرة .

والواقع ان اهتمام الخليفة عبدالله بأمر الهجرات الجماعية لقبائل اولاد العرب يرجع الى أيام المهدي ولكن الخليفة عبدالله استغل ذلك

لأغراض سياسية واضحة (٨) . ففي أيام المهدي كان الغرض من تهجير قبائل العرب هو تدعيم الجيش للاستمرار في عملية الجهاد ولا شك ان الخليفة عبدالله كان يخطط للاحتفاظ بميزان القوى في الجيش في يده ، حتى في أيام المهدي وبعد وفاته أصبح الاستمرار في عمليات تهجير اولاد العرب ضرورة سياسية ملحة أكثر من الهدف الاول من التهجير فقد كان الخليفة عبد الله يلح على محمد خالد زقل بالحضور بما معه من الجيوش للاشتراك في فتح الخرطوم ويحذره من التأخير بقوله « ... بسوصول هذا اليكم قوموا واحضروا بكامل الجيوش التي معكم توافقونا على عجل وتحضروا معنا فتح الخرطوم ، فانا نخشى اذا حصل لكم تأخير من الحضور بوجه العلة تنقطعوا عن المهدي عليه السلام فان الخرطوم اذا فتحت سريعا نخشى ان يحصل اذن بالتوجه الى جهة اخرى ... » (٩) وربما كان يقصد بالجهة الاخرى مصر . وطلب الخليفة عبدالله من محمد خالد ان يحضر معه رؤساء التماسشة والهبانية ، بعد القبض على الطاهر التحافي ، الذي كان يستعهم من الهجرة وان يكون احضارهم بالملاطفة والشفقة والرافة عليهم لتجنيدهم في المهدي (١٠) . وأمر الخليفة عبدالله محمد خالد بعقاب الذين اعترضوا طريق المهاجرين من قبيلة المسيرية وقبائل الغلاتة . وبعد وفاة المهدي واصل الخليفة عبدالله ارسال المنشورات المتلاحقة الى محمد خالد للحضور بالهجرة ومعه قبائل العرب وان وفاة المهدي يجب ان لا تنبهم عن الحضور كما طالبهم بالحضور لتجديد البيعة وزيارة ضريح المهدي .

(٨) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، الحركة الفكرية في المهدي ، ص ٣٦
 (٩) مهدي ١/١٠ م (ص ٤) ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد خالد بتاريخ الصفحة ١٣٠١ هـ .
 (١٠) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السيفي ، ص ٦٦ وانظر ايضا مهدي ١/١٠ م ١ ص ٥٦ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد خالد بتاريخ ربيع ١٣٠٢ هـ .

وهذا يدل على ان الخليفة عبد الله كان متهما بتدعيم حركة المهديية بالمحاربين من ابناء الغرب لادراكه بان ابناء النيل والجهات الاخرى لا يعول عليهم كثيرا في نصرته المهديية ، فاذا كان هذا شعور الخليفة عبد الله في حياة المهدي ، فبالتالي ان اهتمامه بهذا الامر - أي مسألة تهجير البقارة - تزداد أهمية بعد وفاة المهدي. ولكن الاتجاه بحركة المهديية الى هذا المنحى ، حول الحركة من حركة قومية الى حركة عنصرية ولا يلام الخليفة عبد الله على أخذه بهذه السياسة، نسبة لان الاشراف واولاد البلد دفعوه دفعا للسير في هذا الخط والعداوة والتنافس بين الخليفة عبد الله والاشراف لها جذور عميقة ترجع الى ما قبل سقوط الابطح واستمرت الى وفاة المهدي وستعرض الى هذه المسألة في جانب آخر من هذا البحث.

ونكتفي في هذا المقام بان نذكر ان الخليفة عبد الله نجح في عمليات تهجير البقارة لتأمين مركزه ولكن هذا المركز، تعرض للخطر من جانب آخر بسبب تهجير البقارة، فقد اهتز مركز الخليفة عبد الله بالمجاعة الكبرى كما اهتز بعمليات التضييق على السكان في عمليات جمع الزكاة وفسى عمليات الاعتداء والنهب والتي كان يقوم بها بعض الانصار الجوعى على مناطق الالهين مما سبب الكراهية بين سكان المناطق النيلية والانصار وأصبحت كراهية تقليدية الى الوقت الحاضر ولا زالت كثير من القصص روى عن الاضرار التي كان يلحقها الانصار بالاهالي .

وكيفما كان الامر فان الخليفة عبد الله استطاع ان يسيطر على الموقف نسي نهائيا على تنافس الاشراف في عام ١٨٩١ ولكن اخذت حركة المهديية عنصريا واصبح البقارة هم الانصار واما عداهم فليس مهدويا وكان لهم لحكم المهديية بعامل القوة والبطش . واصبح البقارة هم الطبقة المتهمة ، ولو امتد العمر بالخليفة عبد الله لكان من المحتمل ان يحول به الى حكم وراثي داخل أسرته وبالفعل بدأ يخطط لذلك مما تدل

عليه قرائن الاحوال . فقد اسند الى ابنه شيخ الدين قيادة جيش الملازمة
الذين ارتفع عددهم الى تسعة الاف شخص في عام ١٨٩٥ . ان مرحلة
ما بعد عام ١٨٩١ م شهدت تركيزا كبيرا في السلطة وحلت التصنيفات
الداخلية ، محل صراع القوى القبلية أو المجموعات كالأشراف واولاد
البلد (١١) .

(١١) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، الحركة الفكرية في المهديّة ص ٢٧

الجهادية

وهناك قطاع آخر من المجتمع السوداني ، استطاع الخليفة عبد الله ان يضعه الى جانبه ، واعني بهذا القطاع ، الجهادية الذين اهتم المهدي عبدالله بامرهم بعد واقعة الجمعة لاجادتهم استعمال الاسلحة النارية وجعل لهم رايات خاصة بهم واوكل امر قيادتهم الى حمدان ابي عنجه وأخيه ابراهيم صابون وهم اشبه بالجنود المرتزقة ، ان اعتماد الخليفة عبد الله عليهم يدل على نوع من التنازل لمعتقدات المهدي التي لا تهتم بأي عمل موروث من الترك + كما ان هؤلاء الجند المحترفين لم تكن لديهم ميول صادقة نحو التعصب للدين أي ان دورهم من الناحية العقائدية كان ثانويا وكان عملهم في جيش المهدي اشبه بعملية الاحتراف المعروفة فسي الوقت الحاضر +

الخليفة عبد الله والجهاد

استطاع الخليفة عبد الله ، تولية الامر بعد المهدي وأمن موقعه الداخلي على النحو الذي ذكرناه سابقا ولكن التزامه بالسير على سياسة المهدي في الاسرار في الفتوحات جر عليه كثيرا من المصاعب ولم يكن في مقدوره الخروج عن الاطار النظري لدعوة المهدي والمتمثل في نشر الدعوة في جميع مشارق الارض ومضاربها . وأتفق المؤرخون في ان الخليفة عبد الله ورث تركة ثقلة بعد وفاة المهدي . فمن المعروف عن المهدي المنتظر انه يفتح الشام ويدخل مكة ويصلي بين الركن والمقام وان ادعاء الخليفة بان خلافته امتداد للسهدية مثل خلافة الخلفاء الراشدين للنبي الذين اتموا الفتوحات الاسلامية بعده ونسبت اليه لا يطابق الواقع فالرسول لم يعلن عن فتوحاته المسبقة ولم تذكر العلامات لنبوته . ويروي الدكتور مكي شببكه « بان هناك أخبار وردت عن ثقة عن المهدي يرى فيها ان المهدي وردت على نهج يختلف عما كان يراه لها فقد روي عن الشيخ محمد ود البصير انه قال ذات يوم بعد فتوح الخرطوم طلبني المهدي نصف النهار وقال لي ان امر المهدي كان طويلا ، ولكن الاخوان غيروا وبدلوا ، ونحن اخترنا الآخرة فقلت كيف وانك وعدتني بفتوحات كبيرة فاجاب بانها كلها نسخت لانه لا يخفى ان القرآن ينزل من عند الله بواسطة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه النسخ والمنسوخ » (١٢) .

(١٢) الدكتور مكي شببكه ، السودان عبر القرون ، ص ٣٨٥ .

وإشاهد أن المهدي أرسل منشورات إلى والي مصر وعلمائها وتجارها وعمدها بتاريخ ٣ رمضان ١٣٠٢ هـ أي قبل خمسة أيام من وفاته، يدعوهم فيها إلى التسليم بالمهدية، وقد جاء في المنشور الذي وجهه إلى والي مصر قوله « وقد حررت إليك هذا الكتاب وأنا بالخرطوم شفقة عليك وحرصاً على هدايتك فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله وبذلك على صلاحك ورشادك في الدارين وها أنا قادم على جهتك بجنود الله عن قريب إن شاء الله تعالى فإن أمر السودان قد انتهى فإن بادرتني بالتسليم لأمر المهدية والانتابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية وأمنت على نفسك ومالك وعرضك أنت وكافة من يجيب دعوتنا معك وإن آويت بعد هذا في الأعراس عن طريق الفلاح والرشاد فأنما عليك أتمك وأثم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة وهذا إنذار مني إليك وفيه الكفاية لمن أدركته العناية والسلام على من اتبع الهدى » (١٣) .

وقد أوضح المهدي نواياه في التوجه لفتح مصر في أكثر من رسالة وجهها إلى بعض الأعيان في مصر والمغرب . كل هذه الرسائل تدل بوضوح على أن المهدي كان يعد العدة للتوجه إلى مصر بعد أن يأخذ جيشه قسطاً من الراحة في أم درمان وإلى حيث أن تنضم إليه جيوش محمد خالد والذي كان يلح عليه الحاحاً شديداً في الحضور للحاق به . وربما يفسر لنا ذلك اهتمام المهدي بسرعة فتوح سنار إذ أرسل إليها مدداً بقيادة عبد الرحمن النجومي وربما يفسر لنا أيضاً أمر المهدي بتخريب سنار لئلا يتعطل بها جيش محمد عبد الكريم المطلوب بالحضور إلى أم درمان بعد فتح سنار مباشرة وربما كان الغرض من ذلك أن يتوجه المهدي بجيوشه الجرارة نحو مصر .

(١٣) الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ، المرشد إلى وثائق المهدي ، ص ٢٨٣ - منشورات المهدي ، الإصدارات (ب) ص ٢٧٧ .

قبل استكمال الخطة ، مرض المهدي وتوفى واصبح الخليفة عبدالله ملتزما بتنفيذ رغبات المهدي ولكن يلاحظ ان الخليفة عبد الله توقف عن قيادة الجيوش بنفسه وبقي في أم درمان . فهل يا ترى كان الخليفة عبدالله يدرك بان مهمة نشر دعوة المهدي انتهت بوفاة المهدي وبدأ يعمل على تأمين حدود السودان في جميع الجهات ويدير العمليات من أم درمان أم تراه كان ينتظر نجاح جيوشه في غزو مصر ويتحرك بعد ان تتوغل جيوشه في ريف مصر ؟ أم كان فقط يريد تأمين حدود دولته من الجهة الشمالية . وهي الجهة التي تم عن طريقها القضاء على دولة المهدي .

ويرى بعض المؤرخين ، انه لم يكن من الصواب ان يعلن الخليفة عبدالله الجهاد ضد مصر والحبشة ، في الوقت الذي كان يثبت فيه أركان حكومته ، رغم ان استمرار بقائه كحاكم يتطلب الابقاء على الدينايكية التي أورثها للحركة زعيمها ومؤسسها ، وترتب على الجهاد ضد مصر كارثة توشكى ، أما بالنسبة للحبشة فقد كان الانصار أوفر حظا (١٤) .

ويلاحظ ان الخليفة عبد الله ، وضع ثقلا كبيرا على جهات السودان الشرقي فقد زود المنطقة باعداد كبيرة من الجيوش وخصص لها كميات كبيرة من السلاح والذخيرة اكثر من الاستعدادات التي سخرها للجهة الشمالية وربما يعود ذلك الى طول الجبهة الشرقية ، مما استدعى قيام ثلاثة معسكرات للجيوش المحاربة في تلك المنطقة ، ففي الجزء الشمالي حول سواكن كان القتال فيه مبارزة مطولة بين عثمان دقنه والقوات الانجليزية المصرية . اما المعسكر الاوسط فكان حول كسلا ، التي صارت قلعة ضد الاحباش بعد سقوطها في ايدي انصار المهدي وكانت تحرس السودان من الهجمات التي تأتي عن جهات ارتريا . اما المعسكر الجنوبي بين اعالي نهر عطبرة واعالي النيل الازرق فهو يشمل ثلاثة مراكز رئيسية هي القصارف والقلايات والجيرة وكانت القلايات سوقا عظيما للتجارة

Holt, P. M. The Mahdist state in the Sudan, P. 132.

(١٤)

مع الحبشة ومركزا لمستعمرة التكاير في السودان (١٥) .
ويبدو ان اهتمام الخليفة عبد الله بالجهة الشرقية جاء نتيجة الى ان
هذه المنطقة هي مدخل للسودان من الدول المجاورة، وبالفعل فان الضربات
التي اصابت دولة المهدي عن طريق سواكن وعن طريق احتلال طوكر وكسلا
كان لها أثر عظيم ، في زوال سلطة المهدي من تلك الجهات .
اما في جهات غرب السودان فلم يكن الخليفة عبد الله مهددا بخطرس
اجنبي ، وانما كان مهددا باخطار داخلية زاد من قسوتها وحدتها انه لم
يكن يثق بالعمال الذين عينهم المهدي في تلك المناطق وهم من اقاربه أي
من طبقة الاشراف الذين ينافسون الخليفة عبد الله طوال مسيرة حركة
المهدي . ن ابا الى أم درمان وكان المهدي يقف الى جانبه مدعما موقفه
باعطائه مراتب دينية وقيادة الجيوش واصدر منشورا عن مكاتته ، وعندما
تولى خلافة المهدي لم يعاملوه كما كانوا يعاملون المهدي وينصاعون لاوامره
وانما كانوا يسعون جاهدين ليعوضوا المكانة التي فقدوها بوفاة المهدي
وليحافظوا على الامتيازات التي نالوها في حياة المهدي . والخليفة بدوره
لم يكن يثق في الاشراف بل كان يتشكك في ولائهم لعقيدة المهدي فعمل
على تصفية نفوذهم دون الالتفات الى المخاطر التي تمخضت عن التصفية .
ورغم ان الاوامر بتحريك عمال الاشراف من الغرب صدرت في أيام
المهدي بغرض الاشتراك في الجهاد ، الا انه وجدت اسباب اخرى ليسحبهم
من الغرب وهي مسألة الصراع بين الاشراف والخليفة عبد الله على السلطة
وفي كلا الحالتين لم يكن من الحكمة في شيء اخلاء منطقة الغرب من قيادة
قوية وسحب المحاربين منها ويبدو ان هذا العمل شجع الكبايش للاستمرار
في عصيانهم واعطى ابو حميرة الفرصة للتوغل في الغرب وتكوين حركة
معارضة قوية لسلطة الخليفة عبد الله وستحدث بشيء من التفصيل عن
هذه الحركات في جانب آخر من هذا البحث .

Holt, P. M. The Mahdist state in the Sudan, P. 147.

الثورات القبلية

بعد نجاح حركة المهديّة وزوال الإدارة التركيّة - المصريّة ووفاء المهديّ كأن لا بد للخليفة عبدالله من أن يصطدم بزعماء القبائل . ففي المقام الأول ان المهديّة دعوة دينية ، يعتقد قاداتها بانهم قد انتصروا على كل القوى القديمة سواء كانت سلطة حاكمة أو زعامة قبلية أو مشيخة طريقة صوفية ، كما اعتقدوا بان الولاء أصبح للمهديّة وحدها وأن كل الاوامر التي تصدر من الخليفة عبدالله واجبة التنفيذ من قبل المؤمنين بالمهديّة واما عداهم فهم في عداد الكفار الواجب قتالهم حتى يؤمنوا بالمهديّة .

اما الخليفة عبد الله فكان يعتقد بان زعماء العشائر جزء من النظام القديم ، يحبون الدنيا ويسعون الى الرئاسة ويطردون اتباعهم عن سواء السبيل وعلى حسب اعتقاده فان الزعامة والرئاسة في المهديّة لا يقصد بها الدنيا وانما يقصد بها خدمة الدين ولذلك كان الخليفة عبدالله يسعى الى استدعاء زعماء القبائل والشخصيات الكبيرة الى أم درمان مهاجرين مع قبائلهم وفي بعض الحالات يطالبهم بالحضور شخصيا قبل هجرة القبيلة باجمعها وقصده من ذلك ان يفصل بين الزعماء وقبائلهم لئلا يصدوهم عن الهجرة وليتمكن من تربيتهم حسب تعاليم المهديّة على حسب تعبيره وذلك باذلالهم وكسرة شوكة صلتهم وغرورهم . وقد لبي بعضهم امر الاستدعاء فبقي اسيرا في أم درمان اما الذين لم يلبوا نداءه وعصوا أمره فقد ارسل اليهم الحملات التأديبية التي قضت عليهم وشقت جموع قبائلهم وهجرت البقية الباقية منهم الى أم درمان .

وليس من أقليم من اقاليم السودان ما لم تقم فيه ثورة ضد حركة المهديّة ، ففي وسط دارفور تمرد الفور زعامة المطالبين بعرش الفور وحاولوا استعادة امجادهم السابقة . وفي جنوب دارفور حاول مادبو علي ، زعيم الرزيقات ، التخلص من قوة المهديّة .

وفي كردفان عصا الكبايش أمر المهدي والخليفة عبدالله بتنفيذ الهجرة وكان لهم موقف من المهديّة اذ قتل زعيمهم التوم فضل الله والمهدي لم يزل بالابيض . وتولى أمر المقاومة والعصيان فضل الله صالح الذي نشط بعد مغادرة زقل لدارفور ولكن الخليفة عبدالله شن عليه الحملات من ثلاث جهات وقضى على حركته . وفي أرض البطانة تعرض الشكرية للتنكيل من جانب الخليفة عبدالله . في سنة ١٨٨٦ م أمر الخليفة عبدالله عوض الكريم أبو سن ، شيخ الشكرية بالحضور ومعه رؤساء قومه الى أم درمان ولكنهم لم يحضروا بل خرجوا عليه ، فقبض الخليفة على عوض الكريم وسجنه وجرّد حملات التأديب على الشكرية ونكل بهم .

وفي جنوب شرق الجزيرة تعرضت قبائل الحميدة وبني حسان والقواسحة والعقلين والعلاطين وكذلك البطاحين بحملات للانصار نتيجة لعدم انصياعهم لاوامر الخليفة برفض الهجرة الجماعية والمجاهرة بالعصيان بحركة المهديّة .

والملاحظ ان هذه الثورات، كانت انتفاضات فردية ، تهدف الى التخلص من قبضة السلطة المركزية ولم يكن لها هدف للقضاء على حركة المهديّة ولم يكن بين هذه القبائل تنسيق للعمل المشترك ضد المهديّة اذ استثنينا حركة الكبايش التي كانت محصورة في مثلث عبشا حاولت الخروج منه ، الى أن قضى الخليفة على حركتهم . وحتى الفور والرزيقات لم يستطيعوا التحالف فيما بينهم ضد حركة المهديّة بسبب طمع الفور في التخلص من زعامة الرزيقات .

وخلاصة القول ان الخليفة عبدالله ، استطاع أن يقضي على المقاومة الداخلية لحكمه من جانب القبائل المعادية كما استطاع تنفيذ الهجرة الجماعية بالقوة واستمر في عمليات الجهاد التي لم تلق نجاحا الا في الجبهة الشرقية ، ضد الاحباش . وانشغلت اعداد كبيرة من جيوش المهدي في القضاء على الثورات الداخلية . ان هذه الحروب الداخلية والهجرات الجماعية ، قضت على الزراعة التي كان بها قوام الاقتصاد السوداني وأقمرت أماكن كثيرة في أهلها اما بسبب الهجرة أو بأسباب عدم الاستقرار واعتداءات جيوش الانصار التي كانت منتشرة في جميع أنحاء السودان . وتعرضت البلاد لمجاعة كبرى اشتهرت بمجاعة سنة ستة (١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ / ١٨٩٠ م) .

بعد أن قضى الخليفة عبدالله على الثورات الداخلية وعلى منافسيه من الاشراف وشيعتهم واستند على عصبية حاكمة من أهل البقارة ، صار يتبع سياسة لينة لارضاء الفئات الساخطة وعرض بعض المناصب على أهل البحر بقصد ارضائهم . وفي أم درمان أصبح البقارة هم السلطة الحاكمة وكل من يعمل ضد رغباتهم أو يقصر في تسهيل سبل الراحة عليهم يلقي مصرعه كما حدث لابراهيم عدلان ، امين بيت المال .

لم يكتف الخليفة بالاعتماد على وجود البقارة في أم درمان في تأمين مركزه وانما لجأ الى تقوية جيش الملازمين وهو حرسه الخاص - وفي عام ١٨٩٣ جعل ابنه شيخ الدين قائدا لهذا الجيش حرصا في تأمين موقفه . وهكذا نجد ان الخليفة عبدالله واجه صعوبات كثيرة في تسيير دفعة حركة المهدي والمحافظة على الثورة ، فقد فقد الثقة في الاشراف بسبب تطلعهم الى الرئاسة والحصول على المكاسب المادية وفقد ثقة كثير من كبار زعماء القبائل كما وأن بعض المدعين قد تطلعوا الى ملء كرسي خلافة عثمان وسعى بعضهم الى ادعاء نبوءة عيسى . وقد شغلته هذه المسائل

عن التفرغ للعمل في بناء دولة على النهج الاسلامي الطبيعي من ناحية ،
وأشغال روح الجهاد خارج حدود السودان من ناحية أخرى وحتى قبائل
البقارة التي استعان بها في تقوية مركزه ، لم تكن متفهمة لدورها واتخذت
كثيرا من جهده في تلبس قيادتها للعمل من اجل الاهداف التي كان يحلم
في تحقيقها ولم تعاونه قبائل البقارة في عمليات الموازنة في التقريب بين
القبائل بسل كان بعض قادة البقارة امثال مساعد قيسدوم وأحمد علي
ويونس الدكيم يخلقون له المشاكل ويعقدون له الامور .

وبالرغم من هذه المصاعب استطاع الخليفة عبدالله مواجهة هذا
الموقف وقد اعلان من شأن الجهاد ، وشغل الناس به وضرب اعداءه بقوة
وحاول ان يخلق نوعا من الموازنة بين القبائل والجماعات بحيث تكون
كلها خاضعة له . وقد نجح في ذلك وان كان ذلك قد كلفه وكلف البلاد
كثيرا من الضحايا .

الباب الثاني

معارضة الرأي

الفصل الرابع

معارضة الدولة

موقف الحكمدار محمد رؤوف

بعثة ابي السعود الى المهدي

الحوار بين المهدي والشلالي

الحوار بين المهدي وغردون

لم تكن معارضة الدولة المهديّة ترقى الى مستوى خطورة الدعوة ، ومستوى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمر بها البلاد ، اذ ان تصرفات الحكمدار والمسؤولين كانت دائماً رد فعل لما يجري من جانب المهدي وانصاره فعندما تواترت الاخبار الى حكمدار السودان ، محمد رؤوف باشا ، عن دعوة احمد السرية بالمهدية ، لم يهتم بهذه الاخبار في بادىء الامر ، خاصة وان البلاغ الاول وصله من محمد شريف نور السدائيم ، خديم المهدي ، وظنها الحكمدار وشاية ووقية ، فلم يعر البلاغ اهتماما ، ولكن تعددت المصادر عن عزم محمد أحمد لاعلان دعوة المهديّة . ولذلك ارسل الحكمدار خطابا الى محمد أحمد يستفسر فيه صحة ما نسب اليه وقد جاء الرد في برقية صدرت فيما يقول الدكتور ابو سليم ، في ١٠ شعبان ١٢٩٨ هـ ٧ أغسطس ١٨٨١ م (١) ونص البرقية كما يأتي : (٢)

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى الحكمدارية وبعد فعلى مقتضى المكاتبة فالامر المطلوب كشفه ان دعائي الخلق على تقديم السنة والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية أمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . والاعلام بانني المهدي المنتظر من سيد الوجود

(١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي الخرطوم ١٩٦٩ ص ١٢٠ .

(٢) اسماعيل عبد القادر الكردفاني : سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي تحقيق الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم (بيروت ١٩٧٢) ص ١٢٠-١٢١

صلى الله عليه وسلم مرارا عديدة مع الهواتف الالهية وعلامات اخبر بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذاه الله في الدارين وصدده بقدرته التي يعجز عن معارضتها جميع العالمين . وأما المواعظ للمؤمنين فهي مينة فمن لم يصدق طهره السيف .

ولسكن المعلوم انه اتاني من الحضرتين - النبوية وحضرة الاقطاب - سيف واعلمت انه لا ينصر علي معه احد . واعلم صلى الله عليه وسلم ان من اتانا بالعداوة يأخذه الله اما بالخسف أو العرق . وذلك اعلام منه صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لم افعل فيه شيء من نفسي ولا لغرضي وانما هو من الله والى الله . ومعلوم قوله تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم » وقوله صلى الله عليه وسلم : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك والى غير ذلك من الادلة الظاهرية والباطنية ، وفيما ذكرته كفاية يكتفي بها اوامر العناية والسلام (٣) .

ولما جاء هذا الاخطار بانه المهدي المنتظر فعلا وبان الامر بينه وبين النظام هو الاحتكام الى السيف جمع الحكمदार عددا من العلماء وعقد مجلسا للتداول ، وكان اتجاه الحكمदार ان امر المهدي امر ديني وانّه يمكن حسمه عن طريق العلماء ، ولم يدر بخلده ان هذا الامر سيتحول الى ثورة عارمة تقضي على الادارة التركية - المصرية بالسودان . أما العلماء فلم ينصروا ان هذا الفقيه سيتحول الى ثائر يقضي على طبقتهم ويسفه آراءهم ، واعتقدوا بانه قد حصل له حزب سناوي من انكافه على الزهد والعبادة ولكنهم جميعا اشاروا بوجوب القبض عليه وتلافي الامر قبل اتساع الخرق (٤) .

(٣) منشورات المهدي المطبوعة ، الانذارات ب ص ١٣ ، انظر الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١٢ .
(٤) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٥٢ .

وهذا اجراء أمن عادي ، لم يتم الحكمدار بتنفيذه وانما ارسل معاونه محمد ابا السعود وبعضا من اقارب المهدي لاحضاره الى الخرطوم، واقناعه بالعدول عن هذه الدعوة ولكن المصادر تقفل دور هؤلاء الاقارب وتذكر الحوار الذي دار بين محمد ابي السعود والمهدي ، وقد اورد اسماعيل عبد القادر الكردفاني في كتابه سعادة المستهدي ما يمكن ان يعتبر اقدم نص الا انه كتب اثناء حكم الخليفة عبدالله ، مما يدفعنا الى الشك في بعض جوانبه وخصوصا حين يتحدث عن دور الخليفة عبدالله في هذه المرحلة بشكل ضخم . واليك نص ما يورده الكردفاني :

« هذا فوصل ابو السعود بالوابور لجزيرة ابا محل المهدي عليه السلام يوم الاحد الحادي عشر من شهر رمضان عام ثمانية وتسعين بعد المائتين والالف هجرية وادخل عليه السلام في خلوته ومحل عبادته بعد الاذن له بالدخول . فلما مثل بين يدي المهدي عليه السلام سلم عليه فرد عليه السلام وامره بالجلوس . فاستاذن المهدي عليه السلام بعد ما جلس في الكلام فقال له عليه السلام « تكلم » فقال له ان الباشا بلغه امر المهدي واستبشر بذلك والان يطلب حضورك معسي عنده بمدينة الخرطوم لتأييدك والقيام معك واتباعك . هذا الذي ارسلني اليك هو ولي الامر الذي تجب طاعته . فقال له عليه السلام اما ما طلبته من الوصول معك الى كبرائك فهذا مما لا سبيل اليه وانا ولي الامر الذي تجب طاعته على جميع الامة المحمدية والانقياد لما جئت به من الله تعالى . واقام له البراهين النيرة والحجج الباهرة الدالة على صدقه عليه السلام وانه المهدي المنتظر . ولين له القول ولاطفه على قدر ما يسعه عقله ويدله على طريق الرشاد . فانه عليه السلام يخاطب الناس على قدر عقولهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم .

ولما رأى المذكور حلم المهدي عليه السلام وصبره على الجفوة في

منطقة كما هي الاخلاق النبوية تمادى في الكلام واطهر ما كان في ضميره وقال له ارجع عن هذه الدعوى فانك لا تطيق حرب الحكومة ولسم لر معك من يحارب الحكومة ويقاثلها . فقال له عليه السلام وهو يتسم أنا اقاتلكم بهؤلاء وانشار (للخليفة الاكبر خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق وباقي الخلفاء ومن كان حاضرا معه في ذلك المجلس من اصحابه السابقين رضوان الله عليهم اجمعين) ثم ان المهدي عليه السلام قال مخاطبا لاصحابه الكرام اتمم راضون بالموت في سبيل الله فيادر (خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله) نحن راضون بالموت في سبيل الله وباذلون ارواحنا في رضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهديه عليه السلام وأجاب الباقر كذلك . فالتفت عليه السلام الى أبي السعود وقال له قد سمعت ما أجابوا به « (٥) .

ويدضي الكردفاني في التعليق على هذه الحادثة بقوله « ... ولم تؤثر البراهين في رسول الترك المذكور آنفا تركه عليه السلام ولم يتعرض له بمكروه لكونه رسولا والرسول لا يتعرض لهم بسوء كما هي عادة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والمهدي على ذلك المنهج المستقيم . (٦) ويلاحظ بان الكردفاني ركز على دور الخليفة عبدالله في المقابلة التي تمت بين المهدي وبين ابي السعود فافسد الرواية ، التي ترد على نسق آخر في كتاب جهاد في سبيل الله ونقتطف منه الفقرات التالية لاعطاء صورة للموقف . خاطب ابو السعود المهدي بقوله :

« ... لقد ورد جواب للحكمدار بانك زعمت انك المهدي المنتظر ولا يخفي ان المهدي لها دلائل وعلامات يعرفها العلماء . هذا والحكمدار

(٥) اسماعيل عبد القادر الكردفاني : سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، ص ١١٩ ، الخرطوم .
(٦) المصدر السابق ، ص ١١٩ .

يطلب منك ان تحضر لطرفه ليناقتشك العلماء ويقفوا على بينة من امرك ثم ترجع لموطنك» واجابه المهدي بقوله « اني انا عبد مأمور من الله ورسوله واتالي خبر باني المهدي المنتظر واني مؤيد من الله ورسوله ولا حاجة لي بتأييد العلماء وتأييد الحكمدار ولا حاجة لي في الذهاب للطرفين » (٧) فقال له ابو السعود « يا مولاي ان الحكمدار هو ولي الامر وطاعة ولي الامر واجبة » ورد عليه المهدي بقوله « انا ولي الامر في هذا الاوان على سائر الانس والجان » وطلب ابو السعود من المهدي ان يبرهن على مهديته بعلامات تؤكد صدق دعواه مثل جذب الوابور من النهر لموضع ليس فيه ماء أو أي علامات اخرى في نفسه . واجابه المهدي بأنه ليس مأمورا بمثل هذا وحثه على الذهاب للحكمدار وابلاغه ما سمع وينبئه ان اراد الحرب ان يأتي مستعدا لها » (٨) .

ومهما يكن من امر فان ابا السعود لم يسطع اقناع المهدي ، بالحيلة أو بالتهديد للعدول عن دعواه وابرق الحكمدار من الكوه مخبرا اياه بما دار بينه وبين المهدي ولجأ الحكمدار الى اسلوب القوة وفشل فيه كما سبق ان اوضحنا في الباب السابق وحاول راشد مدير فاشوده استعمال القوة ففشل ايضا وتلاه الشلاي فمني بهزيمة تكراه ويهمنما في هذه النقطة المناظرة الفكرية التي دارت بين المهدي والشلاي وكان المهدي فيها متفوقا . ولقد ضاع الخطاب الذي ارسله الشلاي للمهدي كما ضاع خطاب المهدي الاول المرسل الى الشلاي ولم يبق من مراسلاتهما الا خطاب المهدي الثاني والذي يكشف عن بعض المسائل التي اتارها الشلاي في انذاره للمهدي وهي اتهامه للمهدي بانه قتل العساكر غدرا في واقعتي ابا وقدير لان الحكومة ارسلتهم لمراجعتة والاطلاع على ما

(٧) علي المهدي . جهاد في سبيل الله . تحقيق عبدالله محمد احمد ص . ١ .
(٨) علي المهدي ، جهاد في سبيل الله ، تحقيق عبد الله محمد احمد ص . ٤

عنده من البراهين واتهامه بقتل المسلمين في قدير وأخذه عليه ارسال
الطلائع مع ان المهدي مفروض فيه العلم بالغيب ثم رمى اتباع المهدي
بانهم بتارة جهلاء مجوس وقد امر المهدي بالحضور اليه للتوجه الى محل
الهدى بمكة المشرفة وحذره الاغترار بمساندة نواي ضيف الله ، شيخ
الحوازمة واسماعيل الامين ، شيخ القديانته . وكان رد المهدي على كل
هذه المسائل قويا ومقنعا في المسألة الاولى اجاب المهدي بقوله : اما
قولكم انا قتلنا العسكر غدرا في الوقعتين قبل ان يحاربونا فهذا كذب
صريح لانهم في الوقعتين ابتدأونا بالمحاربة والضرب بالسلاح حتى
حاربناهم وقتلناهم . وقولكم ان الحكومة ارسلتهم ليقفوا على ما عندنا
من الادلة باطل ايضا ضرورة لان الحكومة لو أرادت المراجعة والاطلاع
على ما عندنا من البراهين لارسلت الصلحاء والعلماء أهل المذاكرة
والدراية بهذا الشأن ولم ترسل العساكر الاغبياء وتعطيهم الاسلحة .
ويرد المهدي على تهمة قتل المسلمين بجبل الجرادة لانهم كذبوا بالمهدية
وحاربوا الانصار واما قتل المسلمين العسكر فيدفعه بقول الدرديري في
باب المحاربة على ان امراء مصر وجميع عساكرهم واتباعهم محاربون لاخذ
اموال المسلمين كرها فيجوز قتلهم .

واما عن موضوع اذية الشلالي لطلائع المهدي فيرد عليه بقوله « انه
قد أوذى قبلهم اصحاب رسول الله بالسجن والضرب والقتل ويصف
قوله عن الطلائع بانها منافية للمهدية ، جهل بسيرة الرسول (ص) الذي
كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني والزبير بن العوام ويوضح له بأن
اتباع الرسل هم الضعفاء وأما الملوك والاعنياء وأهل القوة والترف فلم
يتبعوهم الا بعد ان يخرّبوا ديارهم ويقتلوا اشرافهم ويسلكوهم بالقهر .
ويبني المهدي في الرد على تساؤلات وتهكمات الشلالي بقوله :

« وقولكم : قم واحضر عندنا لتتوجه بنا الى محل الهدى مكة

المشرفة فاعلموا ان توجهننا انما يكون بامر رسول صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يريد الله ولسنا تحت امركم ، بل انتم ومن فوقكم تحت امرنا ، وانا ولي الامر في هذان الآن على سائر الانس والجان . وان خالفتم امرنا في هذه الايام فلا بد ان تقعوا في قبضتنا وتذوقوا سوء بما صدقتم عن سبيل الله ونحن تربيص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » . ويصف طلب الشلالي بارسال ملك من الملائكة بالجهل وكذلك قوله عن الاغترار بنوأي واسماعيل الامين جهل ايضا لانه اي المهدي لا يعتمد الا على الله ولا ينتصر بغير الله .

وفي نهاية الخطاب يوجه المهدي الانذار للشلالي ويتحداه بقوله «وقد ذكرتم بانكم كاتبتمونا لان الخديوي الاعظم قال لكم : لا تجاربوه حتى يتعدى الحدود . فاعلموا انه ما أخركم عنا الا الخوف الشديد والجزع الذي ليس عليه من مزيد ، لانا من حين كنا بجزيرة ابا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم فكيف تخاطبونا الآن بمثل هذا القول الذي لا ينشأ الا من ضعفاء العقول فسارعوا الى محاربتنا لتأخذوا مناصبكم التي نركم بها الشيطان ولا تجبنوا وتحرصوا وتحيلوا ان كنتم كما زعمتم رجالا ابطلا اهل دراية بالحرب ، فانه ليس بيننا وبينكم الا السيف ولسنا محتاجين الى مراجعتكم حتى نرسل لكم العلماء ليذاكروكم فممن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . والحذر ، الحذر من المجاورة ثاني مرة ، فانا لا نرد لكم جوابا ولو جاوبتمونا طوال السنين . وما دمتم منكرين فليس لكم الا الرمح الطعان والسيوف السنان (٩) . والتقى جيش الشلالي

(٩) رسالة من المهدي الى يوسف حسن الشلالي بتاريخ ١ رجب ١٢٩٩ الموافق ٢٢ مايو ١٨٨٢ : انظر الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١٦ وما يدل على اهمية هذه الرسالة ورودها في خمسة عشر مصدرا من مصنفات منشورات المهدي .

بجيش المهدي في واقعة قدير الثانية ومني بهزيمة ساحقة حسبما اوضحنا في فصل سابق .

وبعد هذه الانتصارات التي حققها المهدي على جيوش الحكومة انتشر امر دعوته في السودان وخارجه وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب بغرض زيارته والوقوف على حاله . (١٠) وخشي السلطان عبد الحميد من تأثير هذه الانتصارات في البلاد الاسلامية فاصدر منشورا رسميا كذب فيه دعوى المهدي . ونشره في جميع البلاد الاسلامية وكذلك استفتى علماء الازهر في شأنه فاقتوا بتكذيبه ونشر مجلس النظار منشورا بذلك . ولما أتى عبد القادر باشا واليا على السودان اوعز الى علماء الخرطوم بكتابة الرسائل في بطلان دعوة «محمد أحمد المهدي» وقام بطبعها بمطبعة الحجر في الخرطوم ووزعت في البلاد وستعرض الى هذه المسألة بالتفصيل في الباب التالي .

وبعد واقعة قدير الثانية اعد المهدي العدة للتوجه الى مدينة الابيض وكانت حاميات الحكومة في كل من بارة ونسحف والتيارة تعاني من مرارة حرب العصابات التي كانت تشنها القبائل والتي مهدت الطريق للسهمي لغزو الابيض وقام محمد سعيد باشا مدير كردفان بعمل التحصينات اللازمة للمدينة بغرض المقاومة لحين وصول حملة هكس التي سحقت عند شيكان بعد سقوط الابيض ومن قبلها قام عبد القادر حلبي لتشتيت الثوار في الجزيرة وقام بعمل استحكامات لمدينة الخرطوم وفي ظروف غامضة استدعي عبد القادر حلبي الى القاهرة (١١) .

ويعود اسلوب المقاومة عن طريق الدعاية في عهد حكمدارية غردون

(١٠) الدكتور مكي شيبة ، السودان عبر القرون ، ص ٢٨٨ .
(١١) نوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٦٢ .

باشا الذي ارسل حكمدارا للسودان ليتولى عملية الاخلاء ولكنه تورط في الامر ودخل في عملية تحدي مع المهدي كانت تتيجتها مصرعه بالخرطوم . وقد كان غردون اوربيا ومسيحيا ، فلم يكن من الحكمة في شيء ارساله حكمدارا للسودان ليتولى عملية انقاذ الحاميات المصرية من بين انياب ثورة دينية (١٢) . ولم يتصور غردون قوة الحماس الديني التي هلات قلوب المسلمين في السودان ولم يتدارك ان المجتمع السوداني تغير عن الحالة التي عرفها ايام حكمدارته الاولى .

وصل غردون القاهرة في ٢٥ يناير ١٨٨٤ وشرحت له المهمة التي من اجلها عين حكمدارا للسودان وأصدر الخديوي فرمانا بهذا التعيين جاء فيه « . ان الغرض من ارسالكم الى السودان ارجاع الجنود والموظفين المكيين والتجار الى مصر وذلك مع حفظ النظام في البلاد باعادتها الى سلالة الملوك الذين حكموها قبل الفتح المصري ولنا مزيد الثقة انكم تتخذون افضل الطرق لانعام هذه المهمة طبق رغبتنا والسلام » (١٣) .

ولما وصل غردون الى مدينة اسيوط بمصر ارسل رسالة برقية الى حسين باشا خليفة (١٤) مدير بربر يأمره بابلاغ عمد البلاد وأعيانها بأنه عين واليا مفوضا للسودان وأنه سيعزل جميع الموظفين الاتراك والمصريين ويولي حكاما من اهل البلاد ليعيد الحكم كما كان قبل الفتح وأنه

(١٢) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٦٢ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٧٣٢ .

(١٤) حسين باشا خليفة (١٨٢٠ - ١٨٨٦) من اعيان عربان العبادية صار مديرا لبربر ودنقله في عام ١٨٧١ - ١٨٧٢ . أعيد تعيينه مديرا في عام ١٨٣٣ . سلم مديرية بربر لمحمد الخير عبدالله خوجلي في يونيو ١٨٨٤ قابل المهدي في الرهد وعينه اميرا على العبادية . هرب الى كرسكوا . ومثل امام مجلس عسكري لتسليمه مديرية بربر . الفرج عنه وعين مفتشا بوزارة الداخلية المصرية وأسندت اليه مهمة عربان الحدود .

اعفاهم من الاموال الاميرية المتأخرة حتى عام ١٨٨٣ ومن دفع الاموال لمدة سنتين في المستقبل وانه خفض الضرائب الى نصف ما كانت عليه والقى الاوامر الصادرة بمنع الرقيق واذن لهم في المعاملة بالرقيق وامر حسين باشا بجمع الاعيان والعمد بالمديرية لحين وصوله بربر .

وعند وصوله كرسكو ارسل كتابا معنونا الى محمد أحمد «المهدي» مع رسول خاص مصحوبا بهدية وهي جبة جوخ حمراء وقمطان حرير احمر وطربوش احمر ومركوب احمر وقام حسين باشا بارسالها الى المهدي حسب تعليمات غردون . وعندما وصل غردون بربر عقد مجلسا من الاعيان والعمد وتلى عليهم خطاب تعيينه واختار اثني عشر عمدة ليشكلوا مجلسا يعقد اجتماعاته كل يوم اثنين وخميس ليحكموا بالشورى وان لا يقوم مدير بربر باي امر الا بعد موافقة المجلس ثم عزل الحكام الاثراك وعين عبد الماجد ايا ليكيلك ومحمد خشم الموس في وظيفة مأمور احداها على الوجه القبلي والاخر على الوجه البحري . وفي بربر اصدر منشورا شرح فيه بتسميته محمد أحمد «المهدي» سلطنا على كردفان وفتح الطريق بينه وبين بربر فصار الناس يهاجرون افواجا الى المهدي خاصة بعد علمهم بسياسة اخلاء السودان .

ووصل غردون الخرطوم في ١٨ فبراير ١٨٨٤ حيث استقبله جميع الجند وقناصل الدول ورؤساء الاديان والعلماء على الشاطئ وفي ديوان المديرية تلى على المجتمعين فرمان تعيين غردون باشا واليا مفوضا على السودان وبعده تحدث غردون عن مهمته وهي النظر في مشاكل البلاد وطمأن الاهالي من عدم اعتداءات الباشبوزق وانه سيعمل على راحتهم وانشاء ثروتهم وانجاح تجارتهم وزراعتهم واطمأنهم بان الستيوارت باشا والذي كان واقفا الى جانبه — هو وكيله ومعتمده . وامر غردون بجمع دفاتر الضرائب على الاطيان في ساحة عمومية ووضعت فوقها السياط

وآلات الضرب واضرم فيها النار ثم زار السجن فاخلي سبيل الجميع ما
عدا القلة (١٥) .

ووزع غردون منشورا على اهل الخرطوم وضواحيها جاء فيه
« ... ان السودان قد فصل عن مصر فصلا تاما وقد جئتكم حاكما
مفوضا عليه ، فجعلت محمدا أحمد سلطانا على كردفان والغيت الاوامر
الصادرة في منسح الرقيق وأغضيت عن المتأخر من الضرائب لغاية ١٨٨٣
وعن ضرائب سنتين في المستقبل وسأجعل حكومة وطنية من اهل البلاد
ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد ثبت الشيخ عوض الكريم ابنا سن
ليكون مديرا على الخرطوم (١٦) .

وفي هذا الاثناء وصل رسل المهدي يحملون ردا على خطاب غردون
الذي كان قد ارسله الى المهدي في الابيض يخبره فيه عن تعيينه واليسا
على السودان باتفاق الحكومتين المصرية والانجليزية للنظر في احوال
السودان وفتح طريق الحج ويطلب منه اطلاق سراح الاسرى المسيحيين
ويعرض عليه سلطنة كردفان وان يرسل معتمدا من جانبه للتشاور فسي
امر العلاقات فيما بينهما (١٧) .

اعاد المهدي هدية غردون ووصفها بزخرف الدنيا الذي لا يرجوه ولا يطمع
فيه وارسل بدلا عنها هدية عبارة عن لبس الانصار وهي الجبة المرقعة
وسراويل وكرابة وعمامة ومركوب وأوضح له بانه لن يجد صعوبة في
لبسها اذا أخاص في الانابة الى الله (١٨) .

(١٥) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٦٦ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ٧٦٨ .

(١٧) رسالة من غردون الى المهدي بتاريخ ١٢ ربيع الاخر ١٣٠١-١١ ابريل
١٨٨٤ م - انظر دكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، المرشد الى وثائق
المهدي ص ١٢٧ وانظر ايضا نص الرسالة دكتور ابو سليم ، مخطوط
توشكي ، ص ١٠٦ .

(١٨) دكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي، ص ١٢٩ .

وأوضح المهدي بأن مهديته من الله ورسوله وأنه ليس بتحليل ولا يريد ما كفا ولا جاها ولا مالا وإنما هو عبد أحب المسكنة والمساكين ويكره الفخر وتعزز السلاطين ويعيدهم عن الحق المبين ولما حيلوا عليه من حب الجاه والمال والبنين ، الذي صدهم عن سبيل الله ويمضي المهدي في ذم الدنيا وينصح لغردون بالرجوع إلى الله والخضوع بحلاله وطلب عز الآخرة ويتعجب من كيفية قيام من هو على خلاف سكة رسول الله بفتح الطريق لزيارته وينصحه بالشفقة على نفسه قبل اشفاقه على المسلمين ، وأن يخلصها من سخط خالقها .

ويكرر زهده في السلطنة بقوله « واعلم اني المهدي المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا حاجة لي بالسلطنة ولا بملك كردفان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا في زخرفها . ويستمر المنشور في وعظ وارشاد غردون ، للتسليم والايمان بالمهدية (١٩) .

وقيل ان غردون لما ترجم له خطاب المهدي استشاط غضبا ودفع الهدية برجله وامر ابراهيم بك رشدي فاحرقها ثم اوعز اليه فكتب ردا إلى المهدي وارسله مع رسولي المهدي في الابيض على النحو التالي :

« من غردون باشا والي السودان الى محمد أحمد المنهدي وصلني كتابك الركيك العبارة العاري عن المعنى الدال على سوء نيتك وخبيث طويتك وعن قريب ستبلى بجيوش لا طاقة لك بها وتكون امت المسئول امام الله عما يسفك من الدماء كما افك انت المسئول الآن عن اعميت قلوبهم وغشيت بصائرهم ويتمت اطفالهم وخربت ديارهم وكنت لا أرى حاجة إلى مخاطبة رجل مثلك جاحد النعمة عادم الذمة لكنني تعلقت بإذنيال

(١٩) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٧٨ - ٧٨٢ - رسالة من المهدي إلى غردون بتاريخ ٧ جماد الاول ١٣٠١ هـ ، مارس ١٨٨٤ م

الامل راجيا من الله عز وجل ان يتجلى على فكرتك الخامدة فتلقى
النصيحة بيد القبول وتعلو متن سلطنة مكتك منها وكان دون ذلك خرط
القتاد وها انا مستعد لقدمك ومعى رجال اقطع بهم انفاسك والعاقل
من تدبر والسلام» .

وكان غردون قد جمع العلماء في الخرطوم فكتبوا نصحا شرعيا بينوا
فيه بطلان دعوى محمد أحمد وحكموا بتكذيبه فسلم غردون هذا النص
والكتاب الى الرسولين واعادها الى المهدي في الابيض واخذ يستعد
للدفاع (٢٠) .

ولم ييأس المهدي من هداية غردون ودعوته الى الايمان بمهديته .
وكتب اليه رسالة مطولة يعظه فيها ويدعوه الى عدم الركون الى الدنيا
الفانية ويشير الى رسالته السابقة التي اوضح له فيها دعوته وانه قد
سمع عن حسناته واعماله الطيبة والتي لن تقبل عند الله الا بعد اسلامه .
يطالبه بتزيين عمله بالايمان وان يطهره من دنس الكفر ويشكره على
اهتمامه بقواه « وقد تطلعت لاختبارنا سابقا بحيث انك خاطبتنا وارسلت
الينا رسولا وطلبت رد الافادة فكان ذلك عندي دليلا على انك اعقل
اهل دولتك اذ لم يخاطبوني مثلك مع ان عليهم الاسلام دونك . وقد
كشف لي فيهم انهم اشد الناس كبرا وانهم سيهلكون على يدنا ثلة بعد
ثلة وقصدي لك النجاة من ذلك كي تموز مع الفائزين .» (٢١) وفي فقرة
من هذه الرسالة يشير المهدي الى الاجوبة التي ارسلها غردون الى
الانصار المحاصرين للخرطوم بقوله « ان اجوبتك التي حررتها للفقراء
المحاصرين وصلت الي والذي ذكرتموه بها مشعرا بانك اردت الاذعان

(٢٠) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٨٣ .

(٢١) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، مخطوط توشكى ، ص ١١٩ .

ولكن منعك توقف العلماء الذين معك وبهذا زادت شفقتي عليك وعليهم وعلى الضعفاء المحصورين عنا ورجبت لكم الهداية جميعا (٢٢) . ثم يطلب منه التسليم قبل مجيئه الى الخرطوم ويوضح بانه اعلم ابا قرجة بشروط التسليم (٢٣) .

ويبدو ان المهدي كان مهتما جدا بامر تسليم غردون من دون حرب وتقول بعض الروايات ان المهدي كان ينوي ان يفتدي به عرابي باشا أو لربما كان المهدي يعتقد بان غردون رجل صلاح واولو حسن اسلامه لكان فيه خير لنفسه ولغيره ، وما يدل على اهتمام المهدي بامر غردون الرسائل المتلاحقة التي ارسلها اليه يطلب منه التسليم . ويبصره بعاقبة امره والظروف المحيطة به وعندما هجم الانصار في ارض المناصير على الباخرة التي كانت مقلة لاستيوارت باشا وبعض القناصل ، قتلوا جميع من فيها وارسلوا الاوراق التي كانت معهم الى المهدي والذي كتب بدوره الى غردون يخبره بمصير الباخرة ويلوم غردون على اعتماده على غير الله ويخبره بحوادث سواكن وانه وصل الى اطراف أم درمان ويخبره بين الحرب والتسليم (٢٤) .

ويستمر المهدي في اسلوب مدارجته لغردون ويخطره بانه قد وصل الى أم درمان وان الجردة الانجليزية قد وصلت الى دنقلا وسوف يكون مصيرها مصير جردة الشلالى وهكس ويطلب منه التسليم (٢٥) .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(٢٣) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١١٨ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢١٣ - رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ

١ محرم ١٣٠١ هـ / ٢١ اكتوبر ١٨٨٤ م .

(٢٥) رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٢٩ محرم ١٣٠٢ هـ / ١٨ نوفمبر

١٨٨٤ م - انظر الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص

٢٢١ ونعوم شقير ص ٢٨٠ .

وبعد شهرين من هذه الرسالة يلحقه برسالة أخرى يطلب منه التسليم وعدم الاعتماد على حملة الانقاذ اذ ان الطرق المؤدية الى الخرطوم قد اغلقت ويعدده بالعفو ان يادر الى التسليم (٢٦) . وفي رسالة اخرى يفيد به بوصول خطابه الدال على عدم ادعائه وتسليمه ويكرر له الدعوة بالتسليم (٢٧) وبعد خمسة ايام يرسل له خطابا آخر يخيئه بين التسليم وبين توصياته للحملة الانجليزية وينذره بقرب سقوط الخرطوم وينفي الاشاعة التي تقول بان الانكليز على استعداد لقتل غردون بمبلغ كبير من المال وانه مستعد لتوصيله بدون مقابل (٢٨) .

وفي رسالة اخيرة من المهدي الى غردون ينذره باه لا بد من القضاء عليه حربا لا جوعا وان الانذارات لم تزده الا ضللا وان تضليله لاهل الخرطوم عن النجدة لن يفيدهم شيئا (٢٩) .

وفي يناير وصلت الاخبار الى معسكر المهدي بسوقة ابي طليح بين الانصار وفرقة الصحراء وتعرض الانصار الى خسائر كبيرة في الارواح ولم يفلحوا في صد طابور الصحراء والذي واصل سيره الى المتمة . عقد المهدي مجلسا من كبار قواده واستقر رأيهم على مهاجمة الخرطوم ودخلها الانصار في فجر يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥ وقتل غردون . وفي يوم ٢٨ يناير وصل ولسون قائد حملة الانقاذ مشارف الخرطوم ولكنه ما كاد

-
- (٢٦) رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٩ ربيع اول ١٣٠٢ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٨٨٤ - دكتور ابو سليم ، المرشد ، ص ٢٥٢ .
(٢٧) رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٢٠ ربيع اول ١٣٠٢ هـ / ٨ يناير ١٨٨٥ - دكتور ابو سليم ، المرشد ، ص ٢٥٢ .
(٢٨) رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٢٥ ربيع اول ١٣٠٢ هـ / ١٣ يناير ١٨٨٥ - دكتور ابو سليم ، المرشد ، ص ٢٥٤ .
(٢٩) رسالة من المهدي الى غردون قبل ٩ ربيع ثاني ١٣٠٢ هـ / قبل ٢٧ يناير ١٨٨٥ - الدكتور ابو سليم ، المرشد ، ص ٢٦٤ .

يتأكد من سقوط المدينة ومقتل غردون حتى عاد ادراجه منسجبا الى القبة وارسل الى قيادته في كورتي طالبا التعليمات فاتاه الرد غامضا ، فاستفهم مرة أخرى طالبا تعليمات صريحة هل مهمته هي القضاء على المهدي أم لا؟ وأوضح بأنه لا يسكن القيام بعمل حربي للزحف على الخرطوم الا في الخريف القادم وانه يمكن الاكتفاء باحتلال بربر وفتح طريق بربر - سواكن (٣٠) .

واخيرا استقر رأي الحكومة الانجليزية على الجلاء من السودان ، وفي ١١ مايو ١٨٨٥ اصدر ولسون اوامره للحملة بالجلاء وبدأت الجنود الانجليزية تغادر دنقلا . وقد عمل غردون ضد السياسة البريطانية التي كانت تهدف الى اخلاء السودان حتى لا يسبب انهيارا ماليا واستنزافا للخزينة المصرية اكثر مما اصابها (٣٣) . ورغم سياسة الاخلاء المعلنة فان الحكومة البريطانية لم تجد مناصا من التورط في اعمال حربية بشرق السودان لايقاف نشاط عثمان دقنه في تلك المنطقة ولحماية مدينة طوكر ومرفأ سواكن . اصدرت الحكومة البريطانية الاوامر بارسال اربعة آلاف جندي انكليزي بقيادة الجنرال جراهام ، اشتبكت في حروب مستمرة مع الانتصار في النيل وطماي وحرزوا انتصارات بعد تحمل الضحايا .

أما ولسون فقد عاد الى القبة بعد أن تيقن من سقوط الخرطوم وأبرق قائده العام في كورتي بالخبر والذي بدوره ابرق حكومته طالبا تعليمات صريحة فاتاه الرد بان الحكومة عاقدة العزم على سحق المهدي وانها تترك له التصرف التام في تنفيذ المهمة الجديدة (٣٢) .

(٣٠) د. مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، ص ٣٦٠ .
(٣١) د. مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، ص ٤١٩ .
(٣٢) المصدر السابق ، ص ٣٦١

ارسل المهدي قائده عبد الرحمن النجومي لمطاردة الحملة الانكليزية الموجودة بالقبة . والتي انسحبت الى كورتى بعد ان ادركت صعوبة الاستمساك بمواقعها في التمة وتعرضت لكثير من المصاعب والضحايا الى ان وصلت كورتى في ١٦ مارس ١٨٨٥ (٣٣) .

وكانت خطة ولسون عندما تلقى اوامر حكومته بسحق المهدي هي ان تعد بخريذة انجليزية من سواكن لبربر فقضى على قوة عثمان دقنة اولا وتحتل الجبال الشرقية لتمهد لمد خط حديدي من سواكن لبربر وبالفعل تعاقدت الحكومة الانجليزية مع شركة بريطانية وبدأت عملها . فذهب الجنرال جراهام الى سواكن مرة ثانية ونزلت قواته تباشر عملياتها وكاء اداة نجحت في زحزحت الانصار عن النطاق الذي ضربوه حول سواكن ولكنهم ابناء الصحراء والجبال تهاقروا في اوديتها وشعابها ولم تنجح الحملة في ابادتهم كما كان ينتظر منها (٣٤) .

وبينما كان ولسون ينظم خطته واستعداداته للعمليات المقبلة في مركز قيادته في القاهرة اخبرته حكومته في ٣ أبريل باحتمال اخلاء السودان وسرف النظر عن القيام بعمليات حربية في ٢١ منه أعلنت الحكومة عزمها في البرلمان على الجلاء والدافع الاول لذلك هو النزاع بين روسيا وبريطانيا في الافغان . فرأت الحكومة ان تنفرغ لمعالجة الموقف الافغاني وترك مسألة السودان بالرغم من احتجاج ولسون بأن مصر سوف تتعرض لخطر داهم ينبعث اليها من الجنوب ونزولا لاوامر الحكومة اصدر امره في ١١ مايو بالجلاء وبدأت الجنود الانجليزية تغادر دنقلا وتعرضت لتوبيخ الاهالي . وأيدت حكومة المحافظين سياسة الجلاء في أول يوليو ١٨٨٥ (٣٥) .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٢٦١

(٣٤) د. مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، ص ٣٦٢

(٣٥) نفس المصدر السابق ، ص ٣٦٢

رجع عبد الرحمن النجومي من القبة عندما رأى الانجليز يخلون بها ويتراجعون الى دنقلا فاستد المهدى امر تعقبهم في دنقلا لعامل بربر الاستاذ محمد الخيز الذي ارسل ابن اخيه عبد الماجد محمد خوجلي الذي احتلها بعد ان غادرها الانجليز .

وفي عام ١٨٨٩ انشئ قلم مخابرات الجيش المصري وكان من مهامه الحصول على الاخبار المختصة بالسودان وحدود مصر وفي ذات القطر المصري وكان مقر المكتب الرئيسي بوزارة الحربية المصرية بالقاهرة وله فرعان احدهما في سواكن والآخر في حلغا وكان هذا المكتب يقوم باعداد تقارير يومية ، واخرى شهرية فضلا عن التقارير السنوية التي تاخص الموقف العام .

وكان من الطبيعي ان يشمل الاهتمام الاحوال الداخلية في السودان ورسائل الخليفة عبدالله وعلاقته بالقبائل والامراء وتحركات السرايا والاسلحة التي في حوزتهم مع عمل الرسوم التخطيطية والخرايط الجغرافية (٣٦) . وقد لعب هذا المكتب دورا رئيسيا في عمليات استرجاع السودان .

وخلاصة القول ان الحكمدارين لم يستطيعوا القضاء على حركة المهدي لان تيار الحركة كان اقوى كما ان التدخل الانجليزي في شئون مصر زاد الموقف تعقيدا ، اذ فرضت الحكومة الانجليزية سياسة الاخلاء . وهناك قضايا تظل خافية علينا مهما حاولنا اما لان مؤلفيها ارادوها سرا واما لان اصحابها تحولوا تحولات شخصية غير محسوبة فنحن لا نعرف الاسباب الحقيقية وراء استدعاء عبد القادر حلمي باشا واقصائه من

(٣٦) الدكتور محمد رفعت رمضان ، محفوظات الخرطوم ، حوليات كليات الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد الثامن ، ١٩٦٣ ، ص ٣٠٢

حكمدارية السودان رغم انه كان يقوم بمقاومة ناجحة لدعوة المهدي في
الجزيرة . كما لم تعرف الاسباب الحقيقية التي دفعت غردون باشا
للانحراف من مهمة الاخلاء الى مقاومة المهدي والحاجة في توريث بريطانيا
بالتدخل في حرب المهدي بجيوش انكليزية . ويبدو ان عدم استجابة
المهدي لعرض غردون بقبول سلطنة كردفان واصراره في نشر الدعوة ،
أفسد خطة غردون التي كانت ترمي الى تعليق مسألة السودان واقامة
امارات صغيرة من أبناء الاسر الحاكمة لتسهل عمليات القضاء عليها في
الوقت المناسب . وليس مدروكا من واقع الوثائق فيما اذا كانت هذه
الخطة من مؤلفات غردون شخصيا او كانت خطة انجليزية لها اصول
سياسية ولها ما وراءها . واذا كانت الوثائق متوفرة تقول بأن الحكومة
البريطانية قد تركت لحكومة الخديوي ان تحدد مهمة غردون وتصدر في
ذلك فرمانا وقبلنا ذلك فائنا نطلب ايضا جانبا آخر وهو ما عسى ان يكون
موضع اتفاق بين غردون وبين حكومة بريطانيا ، والا فكيف قبل غردون
مهمة عرضتها بريطانيا وكيف ارسلت بريطانيا رجلا من رجالها المهمة في
مصر . وهل يمكن ان يكون ذلك بغير هدف وبغير تحديد ؟

الفصل الخامس

معارضة العلماء

رسائل العلماء

رسالة المفتي شاكر

رسالة أحمد الأزهري

رسالة الأمين الضرير

رسالة الحسن سعد العبادي

رسالة العوام

المضوي عبد الرحمن

اسماعيل عبد القادر الكردفاني

معارضة العلماء

الخلاف بين المهدي والعلماء امر طبيعي اذ ان المهدي ينتمي الى طبقة رجال الطرق الصوفية ذات العداة المتوارث مع العلماء وقد كانت الغلبة دائما لمشائخ الطرق الصوفية ، اذ انهم كانوا يؤثرون بطرق مباشرة على عقول الجاهير والحكام على السواء وكان الخاصة والعامة يعتقدون في صلاحهم وتقواهم ، والثقة الخارقة التي يملكونها بما يعتقد العامة ان فيها النفع والضرر للانسان كما يناؤون وبسبب ذلك علت منزلتهم وصار الحكام يتقربون اليهم باقتطاعهم الاراضي الزراعية ويعفونهم من الضرائب ويقدمون لهم الهدايا الفاخرة طمعا في كسب رضائهم . ولا تنتهي مكانة الرجل الصالح بوفاته وانما يزداد بعدها جاهها ورهبة وتنسب اليه الكرامات وتشيد لهم الاضرحة والقباب للاستمرار في عملية نيل الخيرات والبركات وبمثل هذه المفاهيم علت منزلة مشائخ الطرق والاولياء بينما انحصر نفوذ العلماء والفقهاء في محيط ضيق . وكان هؤلاء يعتمدون على الكتاب والسنة وعلى موروث العلم التقليدي وينكرون الباطن واسراره . وكان عددا من هؤلاء العلماء تلقى تعليمه بالازهر الشريف وعندما عادوا الى السودان صاروا يعلمون الناس في المساجد والخللوي . وعادة كان نفوذ هؤلاء العلماء ينتهي بوفاتهم فلا تشيد لهم قباب أو اضرحة او مساجد تنسب اليهم ويتبرك عندها الناس وهذا على خلاف ابناء مشائخ الطرق والاولياء الذين كانوا يتولون المشيخة عن طريق

الوراثة بدون حصيلة علمية . واغلبهم كانوا جهلاء لا يعرفون من العلم
الا القليل .

اهتمت الادارة التركية المصرية بالسودان بامر العلماء وعينهم في
مناصب القضاء والافناء وهي لم نهل جانب مشائخ الطرق الصوفية لما
لهم من مكانة وشعبية وسط الجماهير . واصبح عدد من العلماء من
موظفي الدولة ، وحين سبت الثورة المهديية لجأت الحكومة الى العلماء
نطالب منهم المعاونة في تكذيب دعوى المهدي لغرض انقراض الناس من
حواله . اما مشائخ الطرق الصوفية فقد انحاز عدد كبير منهم الى المهدي
بحسب مشربهم الديني واعتقادهم في ظهور المهدي المنتظر واندفع اتباع
الطرق الصوفية وراء مشائخهم اما العلماء فلم يكن لهم اتباع بالانصافه
الى ان الكتب لا تؤثر في الجماهير وانا تؤثر في الصفوة الذين لم تكن
طريقتهم ذات اثر فعال في حالات الثورة والانضطراب وحيثما اوعز
الحكمدار عبد القادر حلي للعلماء بكتابة الرسائل في تكذيب دعوة
المهدي كانت الثورة قد استولت على جميع مديرية كردفان وانتشرت
اخبارها في جميع انحاء السودان وانتقلت الى العالم العربي والاسلامي .

والرسائل التي كتبها علماء الخرطوم من موظفي الادارة التركية
المصرية لا تبدو انها كانت بذات اثر في حرب المهديية من الناحية العقائدية
وكان العلماء مع الكفة المنهزمة بالاضافة الى ان المجتمع السوداني كان
واقعا تحت تأثير المتصوفة ولا يهتم بالعلماء ذوي التأهيل الازهري السني .
وكان المهدي معتمدا في دعايته لمخاطبة الوجدان الشعبي في جذب افئدة
جسهور السودان الذين ربثهم الطرق الصوفية على نحو وتصميم ينتصر
لمنحى الكشف الصوفي في المعرفة على منحى العلماء القائم على الظاهر
والاحتجاج بالنصوص والشواهد . (١) هذه التربية الصوفية التي اعانت

(١) عبدالله علي ابراهيم ، الصراع بين المهدي والعلماء ، ص ٣٣ .

المهدي في الانتصار على الغلماء هسي أيضا أثرت في تفكير جمهور
السودانيين عندما رفع المهدي المذاهب والغي الطرق الصوفية وستعرض
الى هذه المسأله بشيء من التفصيل في الفصل التالي •

ان اعتماد المهدي على الكشف والالهام الالهي ، جعل العدواه بينه
وبين العلماء امرا طبيعيا فهم الذين يملكون المدرسه على مناظرته وهو لم
يكن اميا حتى يصبح العلم اللدني بمثابة الكرامة له وذكر بان خليفته
لديه معرفة بعلم الباطن ولم يعرف عن الخليفة عبدالله بانه نكلم في العلوم
الدينية او قام بمحاولة لنشر تعاليم دينية او حتى قدم شروحات لمنشورات
المهدي وانما اعتمد على الحضرات النبوية التي كان ينشرها كلما جد امر
من الامور واختصر العسل على الكتاب والسنة ومنشورات المهدي وقراءة
راتبه صباح مساء كل يوم •

والحوار الذي دار بين المهدي والعلماء حول صحة وعدم صحة
دعوته أخذ خطين متناقضين ، تقدم العلماء بعدد من الاحاديث النبوية
الواردة عن ظهور المهدي المنتظر وبينوا عدم تطابقها على محمد أحمد
المهدي ، كما انهم حاولوا توضيح عدم استيفاء شروط ظهور المهدي
كانتشار الظلم وقرب قيام الساعة وغير ذلك من الشروط التي وردت في
المصنفات التي تناولت موضوع موعد ظهور المهدي المنتظر •

اما المهدي فلم يتقدم بحديث مباشر لاثبات دعوته ، كما انه لم
يناقش الاحاديث التي اوردها العلماء في مجال محاولاتهم لابطال دعوته
ولكنه اشار الى امكانية التشكك في الاحاديث وفي مواضع اخرى اشار
الى علامات مهديته بالصيغة التي وردت في بعض الاحاديث • أشار الى
مسألة النسخ في الاحاديث النبوية بقوله « ... ومعلوم ان الامور
تجري على علم الله ، وان الله لينسخ ما يشاء ، وعلم العباد لا يزول في

علم الله نقطة بالنسبة الى بحار الدنيا ، ولله المثل الاعلى ، كما قال الخضر لموسى عليه السلام . ولا سببا وعلم المهدي ، كعلم الساعة ، والتبسي صلى الله عليه وسلم لم يوقت ولم يعين . وقال صلى الله عليه وسلم « كذب الوثاقون » وفيما ذكره محي الدين ابن العربي في تفسيره في هذا المعنى كفايه وقال الشيخ احمد بن ادريس « كذبت في المهدي اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله » وقال « يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حالة ينكرونها » . وفي منشور آخر يقول « ... ومعلوم ان الحديث الصحيح ينسخ الحديث الصحيح والآيات تنسخ الآيات ، والاحاديث منها المنطوع والموضوع والضعيف وغير ذلك كما لا يخفى ... » وتعرض في بعض المنشورات الى علامات مهديته والتي لم ترد في بعض الاحاديث مثل قوله : « ... وقد اعلمني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ان الله جعل لك على المهدي علامة وهي الخال على خدك الايسر وجعل علامة اخرى تخرج راية من نور فنكون امامي فيقول هذه راية النصر ، علامة اخرى لك على المهدي ، وتكون في يد عزرائيل عليه السلام بين يديك ... » وأشار في بعض منشوراته الى نسبة الشريف ولعله أراد بذلك الاشارة الى الاحاديث التي نقول بان المهدي المنتظر من اهل البيت (٢) .

والخلاف بين المهدي والعلماء قديم ، فقد انكر على شيخه محمد الضكير ، قبول اعانات الحكومة ، وروى عنه انه لم يتناول الطعام المصنوع من الذرة الذي كانت تقدمه الحكومة اعانة للفقهاء ومساعدة لهم في اطعام تلامذتهم وبالتالي كان يعتبر مرتبات العلماء الذين كانوا يتولون القضاء والافناء غير شرعية ، وعندما انكر العلماء مهديته هاجسهم

(٢) منشورات الدعوه ، بتاريخ ٥ شوال ١٢٩٨ هـ / ٢٨ اغسطس - ٢٥ سبتمبر ١٨٨٨ ، انظر الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، منشورات المهديّة ، ص ٣٥ وانظر ايضا الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ٣٢٨ .

بعنف في كثير من منشوراته وقد افرد لهم منشورا جاء فيه :

« يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون وتدرسون مسا لا تفعلون فما سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى . وما يعني عنكم ان تتفوا جلودكم وقلوبكم دنسة . بحق اقول لكم . لا تكونوا كالنحل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة . كذلك اتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم .

يا علماء السوء : كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم بصلاح دنياكم . فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة . فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ؟ ويلكم حين تصفون الطريق للسذجين وتقيمون في محلات المنجيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليركوها لكم . مهلا مهلا ماذا يعني البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه حشد معطل كذلك ما يعني عنكم ان يكون نور العلم في افواهكم واجوافكم منه وحنسة معطلة . يا عبيد الدنيا كعييد اتقياء ولا كاحرار كرام توتسك الدنيا ان تقلعكم من اسولكم فتكيبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم الى الملك الديان حفاة عراة فيجزئكم بسوء اعمالكم » (٣) .

وقد اورد المهدي كثيرا من الاحاديث النبوية التي تحظ من قدر العلماء الذين يتهاكون على الدنيا .

اما علماء الخرطوم فقد ركزوا في رسائلهم على بطلان دعوة محمد أحمد المهدي باعتباره خارجا على ولي الامر الذي تجب طاعته واوردوا الآية « واطيعوا الله ورسوله وولي الامر منكم » واستشهدوا ببعض الاحاديث النبوية الدالة على ذلك . وتكلموا عن مكان مولد المهدي

(٣) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى ورائق المهدي ، ص ٧٩

المنتظر ومكان خروجه ووقت خروجه ، واسباب خروجه الى غير ذلك من
العلامات الاجبالية التي ذكرت عن المهدي المنتظر . والرسائل التي وضعها
علماء الخرطوم ، وصل اليها منها ثلاث رسائل مفردة ومنشور باسم
العلماء . والثلاث رسائل أعدها ثلاثة من موظفي الحكومة التركية المصرية
كان احدهم مفتيا لمجلس استئناف السودان وهو المفتي شاعر العزبي
والرسالة الثانية وضعها السيد أحمد الازهري ، شيخ علماء عموم غرب
السودان والثالثة للشيخ الامين الضرير شيخ علماء عموم شرق السودان .

رسالة المفتي شاكراً في بطلان دعوى محمد أحمد

هذه الرسالة مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة . المقدمة في وجوب طاعة السلطان وولاية الامور . ويعتقد المفتي بأن الدين والسلطان أخوان متلازمان ، فالدين هو الاساس والسلطان هو حافظه ومشيدته وما لا حافظ له فضائع يعز تأييده . فلا دين الا بالسلطان . والسلطان ظل الله في أرضه وبه تقام شعائر سنته وفرضه وهو خليفته على خلقه . وأشار الى الآية الكريمة الموجبة بطاعته ولي الامر وحديث الرسول الوارد في هذا المعنى وتحدث عن ضرورة الاكتلاف ونيل الخلاف والمنازعة والعداوة وقرر ان من خرج عن الطاعة شبرا فقد عصى الله ومات مينة جاهلية .

وتحدث في الفصل الاول عن بطلان دعوى محمد أحمد ، فذكر ان بعض الامساء قال بظهور المهدي في آخر الزمان واحتجوا لذلك بأحاديث خرجها الائمة ، وبعض العلماء أنكرها وتكلسوا فيها وربما عارضوها ببعض الاخبار . أما المتصوفة فلهم طريقة أخرى ورمزوا الى خروجه في ج ف ج اشارة الى انه يخرج سنة ٦٨٣ ورمز بعضهم على خروجه في سنة ٧٠٠ وكسور وغير ذلك ولم يخرج . ويلاحظ بأن المفتي لم يعمق في أفكار المتصوفة عن عقيدة المهدي وانما ركز على زمان ظهوره ثم ناقش أوصاف المهدي ومكان ظهوره وغير ذلك من العلامات الواردة عن المهدي المنتظر ليدل ذلك على عدم مطابقتها على محمد أحمد المهدي . وفي الفصل الثاني تحدث في النهي عن اتباعه ونصيحة من اتبعه بإبتعاد عنه . وفي الخاتمة تحدث عن وجوب قتل الخوارج ونصر السلطان (٤) .

(٤) نعوم شكير ، جغرافيه وتاريخ السودان ، ص ٩٥٢ - ٩٦٠

رسالة أحمد الأزهري
النصيحة العامة لأهل الإسلام
عن مخالفة الحكام والخروج عن طاعة الإمام

يبدأ الأزهري رسالته بمقدمة موضعا فيها وجوب تقديم النصيحة من الناحية الدينية ، ويصف دعوة المهدي بالبلوى التي ضاعت بسببها آلاف من دماء المستلمين خصوصا في جهات سنار وكردفان ويورد بأن المهدي أرسل له خطايا قبل معادركه لكردفان ولكنه لم يقف عليه وتنى لو تحصل عليه لكي يبني عليه مخاطبة تشتمل ما لا بد منه من النصيحة وليوضح فيها ما يحتاج اليه من النصوص الصريحة ، على أمل اذا ما وصلت اليه وتليت بين يديه فانه لا يسعه الا الرجوع الى الحق ومقابلة أولي الامر بالسمع والطاعة .

ويوضح الأزهري بأن عبد القادر باشا ، هو الذي أشار على العلماء للقيام بالامر والنهي عن المنكر والاجتهاد في بذل النصيحة ، ويورد الأزهري في رسالته احد عشر دليلا تناقض دعوى المهدي من حيث مخالفة مكان المولد وعدم التطابق في الاوصاف الجسمانية وعدم خسوف القمر في أول رمضان وعدم كسوف الشمس في النصف منه ، وذكر قول الشعراني بأن رايات المهدي تخرج من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب . وأورد قول شهاب الدين أحمد بن حجر قد ذكر مما أخرجه ابن عسك عن علي كرم الله وجهه : « اذا قام قائم آل محمد (صلعم) جمع الله أهل المشرق وأهل المغرب فأما الرفقاء من أهل الكوفة

واما الابدال فسن أهل الشام » . ويورد أيضا قول الامام أحمد : « المهدي
ما أهل البيت يصلحه الله في ليلة » . والمعروف عن محمد أحمد بأنه
سلك الطريقة الخلوتية على يد الشيخ القرشي .

ويروي عن الحاكم في صحيحه : « يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء
شديد من سلاطينهم ، لم يسع بلاء أشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ
فيبعث الله رجلا من عترتي أهل بيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت
ظلما وجورا ، يحبه ساكن الارض وساكن السماء ... الخ » ويقرر بأن
حكومة الدواة العثمانية لم يحصل من حكامها البلاء وانما كل من وقع
في قبضة محمد أحمد يسخط عليه لانه يقتل رجاله وينهب ماله .

ثم يورد قول محيي الدين عربي عن وزراء المهدي : قد استوزر
طائفة خبا بهم في مكنون غيبه أطلعهم كسفا وشهودا على الحقائق وهم من
الاعاجم ليس فيهم عربي لكنهم لا يتكلمون الا العربية لهم حافظ من
جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء .

وأورد من الأدلة على ظهور المهدي ، ما جاء في روايات المحققين انه
ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه . وان
الكنوز تفتح في زمن المهدي وانه من أهل البيت ويملك سبع سنين ويسلأ
الارض عدلا ويخرج مع عيسى ويساعده على قتل الدجال بياب له بأرض
فلسطين وانه يؤم هذه الامة وبصلي عيسى خلفه .

ثم يناقش الازهري بعد ذلك أقوال المهدي بأنه تلقى الامر من
الرسول ويقرر الازهري بأن هذا الامر اذا أتى من الرسول في المنام، فلا
يصح العمل به ، لانه مخالف لظاهر الشرع ، واذا كان عن طريق الكشف
فلا يصح العمل به أيضا لانه مخالف لظاهر الشرع ويعلق على قول المهدي

بأن من شك في مهديته كفر ، بقوله : ان جميع الادلة الظاهرة التي أطبق عليها المحققون مناقضة لدعواه المذكورة . والمهدية ليست بنسوة ولا رسالة وغايتها خلافه ، فانكار أصل المهديّة والشك فيها لا يوجب كفرا بسعنى الخروج عن الاسلام ، لما مال اليه بعض العلماء في بعض طرق الحديث من قوله (ص): « لا يزداد الامر الا شدة ، ولا الدنيا الا ادبارا ، ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة ولا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم » . وان أول بعض العلماء بأن معناه لا مهدي معصوم الا عيسى أو لا مهدي على الاطلاق سوى أن يأتي عيسى فضلا عن مهديه انسان مخصوص ادعاها في زمن لم يتم دليل على حصولها فيه .

ويختتم الازهري رسالته بوصف سلطان الدولة العثمانية بأنه الامام وانه امير المؤمنين وانه خليفة رسول الله (ص) ويخطب باسمه في المنابر والخروج عن طاعته حرام على كل مسلم .

رسالة الامين الضير هدى المستهدي الى بيان المهدي والتمهدي

هذه الرسالة مكونة من مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة وطبعت
بسطبة الحجر في عام ١٣٩٩ هـ تحدث الكاتب في المقدمة عن الخلاف الواقع
في مفتشى دعوة المهدي ، وفي الباب الاول ناقش الاحاديث الواردة في
ظهور المهدي ووصفها بالضعف لكثرتها ثم تكلم عن القول بظهور المهدي
من حياة الخلفاء العاديين وفيها تبين خلافة الخليفة الذي يقوم بأمور
المسامين ثم تعرض الخلاف الواقع بين العلماء في ثبوت امامة المهدي
المنتظر . وفي البابين الثاني والثالث بقر الشيخ الامين بأن السلطان
عبد الحيد هو الامام الشرعي ثم ينتهي من ذلك الى ان الخروج عن
طاعته حرام . وفي الباب يسدح الخديوي محمد توفيق . وفي الباب
الخامس يتحدث عن الرؤيا الصحيحة . وفي الختام يناقش الالتباس الذي
وقع في سنة ظهور المهدي المنتظر (٥) .

وخلاصة رسائل العلماء انها اتفقت في شرعية امامة آل عثمان وان
الخروج على الامام حرام وقالوا ببطلان دعوة محمد أحمد المهدي، وقد
حاول غردون باشا الاستعانة بالعلماء في تكذيب المهدي واصدر منشورات

(٥) دار الكتب المصرية ، الحزانة التيمورية ، مطبوعات رقم ٢٥٦ ،
المستهدي الى بيان امامة المهدي للشيخ الامين الضير .

في هذا المعنى ، وكما سبقت الاشارة فلم تكن هذه الرسائل بذات جدوى
في حرب المهدي الذي دعم دعوته بالانتصارات الحربية على جند الحكومة
في أكثر من موقعة .

وقد قام العلماء ، من ذوي التأهيل الازهري ، الذين اشتركوا في
حركة المهديّة بالرد على اخوانهم في الجانب الآخر برسائل تقول بصحة
دعوة المهديّة وبطلان خلافة آل عثمان . ومن الملاحظ ان هذه الرسائل
كتبت في حياة المهدي وانه أجازها بنفسه . وقام الخليفة عبدالله بطبعها
بمطبعة الحجر بعد وفاة المهدي ، ولعله أراد أن يبرر موقفه ويحارب
حملات التشكك في صحة دعوة المهديّة .

رسالة الحسن سعيد العبادي
الانوار السننية الملاحية لظلام المنكرين على الحضرة المهديّة

تتكون هذه الرسالة من خطبة ومقدمة وسبعة أبواب وخاتمة ،
ومبهد العبادي لصحة دعوة المهديّة بالتحذير من انكارها وتحدث عن
حقيقة الولي وشروطه وثبوت الكرامة لاولياء الله كما تحدث في نبوت
رؤية النبي يقظة ولعله أراد بذلك ان يفند الآراء التي وردت في رسالة
الشيخ الامين الضرير وتحدث في الابواب الاخيرة عن فضائل المهدي
ونبذة عن كراماته . ويركز في الباب الاخير بالرد على الاعتراضات التي
ذكرها بعض العلماء في بطلان دعوة محمد المهدي . وفي الخاتمة أورد
الادلة التي تدل على صحة الدعوة . ونادى العبادي بضرورة قيام المهديّة
لمقاومة الغزو الاوروبي المهدد لديار الاسلام (٦) .

(٦) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديّة ،
ص ١٩٧ ، انظر المهديّة ٣/٨

رسالة الحسين زهراء
الآيات في ظهور مهدي الزمان وغاية الغايات

اختار الحسين زهراء تسعا من العلامات التي وردت في الكتب عن ظهور المهدي • واختار منها ما يناسب المهدي على حسب اعتقاده وهي تكامل الخلق ومطابقة الاسم والنسبة الى بيت رسول الله كما أشار الى وجود الخال على خد المهدي الايمن وطلوع النجم ذا الذئب وان آياته لا تهزم •

ويهاجم الزهراء العلماء المعادين للمهدي ويقرر بأنهم علماء غير عامين • وان الجاهل العادي أعلى مرتبة من عالم غير عامل •

وهاجم الزهراء فتاوى علماء مصر وأسقط ولاية آل عثمان وبطلان ولاية محمد علي وأولاده وهاجم محمد توفيق والي مصر لتفريطه واعطاء الانكليز الفرصة للاستيلاء على مصر التي هي باب طريقهم الى الهند ومحاولاتهم الاستيلاء على السودان لانه البلاد المتوسطة بين مصر وأملاكهم الجنوبية الافريقية (٧) •

(٧) مهدي ٣/٨ - ب ٢

احمد العوام
نصيحة العوام للخاص والعام
من اخواني اهل الايمان والاسلام

قرر فيها سقوط امامة آل عثمان وعدم شرعية ولاية الخديوي محمد توفيق في مصر ما يستوجب على المسلمين الخروج على سلطتهم ودعا الى الوحدة بين المسلمين ومناصرة المهدي في محاربتة للخديوي الذي استعان بغردون الاجنبي (٨) .

وأحمد العوام من خطباء الثورة العراقية ونهي الى الخرطوم وجاهر بعدائه للخديوي ومناصرة المهدي ما جعل غردون يلقي القبض عليه ثم أفرج عنه وعيَّنه معاونا في الحكمدارية ولكنه ظل على عدائه واتهم بتحريض امرأة للقيام بحرق مخزن الذخيرة وحوكم وأعدم في سنة ١٨٨٤ م (٩) .

(٨) مهدي ١٣/٨
(٩) الدكتور أبو سليم ، الحركة الفكرية في المهدي ، ص ٢٠٠

المضوي عبد الرحمن

وهناك طائفة من العلماء ، اخذت موقفا مترددا من دعوة المهديية ، بهرتهم انتصاراته المبكرة فأيدوا دعوته ولكنهم ما لبثوا أن غيَّروا رأيهم فيها مع تطور الاحداث . ومن امثلة هؤلاء المضوي عبد الرحمن وهو من ذرية الشيخ ادريس ود الارباب . عاش حياته الاولى في جو صوفي وذهب الى مصر حيث اتم تعليمه في الازهر وعاد الى السودان وأقسام حاقة التدريس واشتغل بالزراعة في جهة كركوج في أعالي النيل الازرق . وحسب الرواية التي ذكرها المضوي لنعوم شقير بعد هروبه من السودان فان موقفه المتردد يبدو واضحا رغم اننا ننظر بشيء من الحذر الى أقواله التي أدلى بها بعد أن ابتعد من مسرح الاحداث . يقول المضوي انه لم يحفل بدعوة المهديية في بادىء الامر ولكن انتصارات المهدي على أبي السعود وراشد وكثرة أقوال الناس عن عجائبه وكراماته ، دفعته بالهجرة الى قدير لمشاهدة المهدي والوقوف على حاله . ويذكر المضوي بأنه وجد عنده عددا كبيرا من العلماء ورجال الدين ، فريق منهم اعتقد أو تظاهر بالاعتقاد بأنه المهدي المنتظر وجميع العامة من رأي هؤلاء وفريق قالوا انه ساحر وانه انما فاز بالحرب بسحره لا بمهديته . وأورد المضوي أربعة أمور دفعته الى الارتياب في دعوة المهدي ، وهي إثارة المهدي لأقاربه وأصفيائه بالغيبة ، سكوته على جرائم انصاره ، تكفير من ينكر مهديته ، ولم ير فيه شيئا من العلامات الاجمالية التي يعرفها عن المهدي (١٠) ،

(١٠) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٧٧

وترتيب هذه الامور على هذا النحو يدل على عدم اهتمام المضوي بالجانب العقائدي من دعوة المهدي . وزعم المضوي بأنه تظاهر بالاعتقاد بفرض التخلص من المهدي وطلب منه الاذن بالعودة الى أهله لتحريضهم على اتباع المهدي والجهاد في سبيل الله ، وأجابه المهدي الى ذلك وعيَّنه عاملا على جزيرة سنار وأصبحه أميرين من أهل الجزيرة ليساعده على الجهاد ود الصليحابي وود برجوب . ولا يوجد في منشورات المهدي ما يؤيد هذا الزعم وانما تدل الرسائل الموجهة من المهدي الى كافة أهالي جبال الفونج عربها وعجبها الى ان العامل هو عطا المنان الصليحابي (١١) . وقد تمكن المضوي من الهروب من منطقة جبال الفونج الى بلدته بالعيلفون بالقرب من الخرطوم وأخطر ود الصليحابي المهدي بسوقف المضوي . ونستدل على ذلك من رسالة من المهدي الى عطا المنان الصليحابي جاءت فيها الاشارة الى ان المضوي نكث العهد وقام هو ومحمد مالك ابو روف بعصيات نهب وبيعه بأنه كتب اليها بالكف عن ذلك وارجاع ما اخذاه (١٢) . ويلاحظ ان المضوي لم يذكر لنعم شقير دوره في حروب سنار .

أخذ المضوي عائلته وذهب الى أهله بقرية العيلفون بالقرب من الخرطوم وقابل عبد القادر باشا حلبي . وانضم مرة اخرى الى جانب المهدي بعد واقعة شيكان واشترك في حصار الخرطوم مع الشيخ العبيد ود بدر ووجه انذارا الى غردون باشا جاء فيه « . . . فاعلم ان جميع أهل السودان خاصتهم وعامتهم قد اتبعوا محمد أحمد قلبا وقالبا ودليل

(١١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وناثق المهدي ص ١٤ ، رسالة من المهدي الى كافة جبال الفونج بتاريخ ٧ محرم ١٢٩٩ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨٨١ م .
(١٢) رسالة من المهدي الى عطا المنان الصليحابي وآخرين بتاريخ ١٣٠٠ هـ / اكتوبر / نوفمبر ١٨٨٢ م - المرشد ، ص ٨١

ذلك بألهم أرواحهم بين يديه في الحروب ... » (١٤) .

وبعد سقوط الخرطوم لا يوجد في الوثائق ما يوضح العلاقة بين المهدي والمضوي ، ومن المحتمل ان المهدي عفا عنه فيما نسب اليه من الارتداد عن المهديّة والنهب في سنار . وبعد وفاة المهدي هرب المضوي من السودان عن طريق بلاد الحبشة الى أن وصل الى مصر . ووجهة نظر الخليفة عبدالله في المضوي تتضح من الرسالة التالية التي وجهها الخليفة عبدالله الى عجيل عوض يستحنه الاجتهاد في القاء القبض على المضوي :

وبعد من عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى المكرم عجيل عوض نعلت ان الرجل المسى مضوي عبد الرحمن معلوم انه كان من اصحاب المهدي عليه السلام بجهات قدير وشهد عدة وقائع ومعاربات في المهديّة وما زال تابعا للمهديّة من مدة قدير الى أن حضر المهدي عليه السلام بجهات البحر وهو مستر في خدمة الدين الى ان توجه الى مدينة سنار من ضمن العمال وحاصر معهم الى ان فتحت وحضر عدة وقائع بها تم حضر معهم سويا للبقعة حسب طلبنا وفضل بالبقعة ملازما للصلوات خلقا ومباشر للخدمات الى ان امرنا الانصار بالاستنفار للجهاد في سبيل الله تعالى والنزول الى جهات الريف، ووجهنا الحبيب عبد الرحمن النجومي وما معه من الجيوش ولا زالت السرايا تمشي متسايمة شيء فشيء للحوق به حتى خرج بالبورق التي من ضمنها راية المذكور في البرازة تقصد السفر واستعدوا العملاء الذين معه وطلب الاذن بالتوجه الى جباة فما نشعر وقد بلغنا انه هرب فلما سألنا اهاليه واقاربه عن السبب الذي اوجب الهروب

(١٣) نعوم شعير ، جغرافية السودان وتاريخه ، ص ٧٧٧

عرفونا بأنه لما كان قد توجه لسنار وفتحت صادف منزل واحد من ابناء الدنيا الكبار وضبطه بواسطته ووجد فيه غنائم كثيرة جنيهاً وغيرها ولا زال يجسع في الغنائم حتى اجتمعت عنده مبالغ عديدة بالجنيهاً ولما امر بالسفر صعب عليه الامر في كيفية الجنيهاً المذكورة لانه اذا كان حملها معه يظهر عليه ويفتضح لانه كان مظهراً للمسكنة والتكشف وما امكنه تركها خافه فلا جل ذلك غرته الدنيا وفتنته واخذت بمجامع قلبه واضلته فهرب وحمل الجنيهاً وما معه من الدنيا على خرجين وتوجه لحال سبيله وقد باعنا انه بجهتكم الآن وحيثما ان امره كما ذكرنا لكم واتتم من اتباع المهدي فينبغي ان تجروا ضبطه وارساله بمخاض من طرفكم لغاية ما يوصلوه بطرفنا ويشاهدونا ويرجعوا لكم كما هو المظنون في اتباع المهدي امثالكم ولا يكن في امره اهسال ولا مهاونة وجسيع ما يطره من الدنيا استلوه منه واصرفوه على الانتصار الذين معكم فانكم مأذونين في ذلك وهو ارساله حكم ما اشرنا لكم فيذلك يعظم قدركم وتناالوا الرضاء من الله ورسوله ومهديه ورضانا والظن بكم جميل ونرجو الله ان يوففك لما يحبه ويرضاه ويجعلك من اهل الصدق والصفاء انه كريم مجيب والعامل تكفيه الاشارة والسلام (١٤) .

ولم يتمكن عمال الخليفة عبدالله من القبض على المضوي * ويعطي موقف المضوي عبد الرحمن من دعوة المهدي صورة لموقف بعض العلماء الذين لم يؤمنوا بالدعوة من الناحية العقائدية ولكنهم اضطروا الى المداراة نقيه ، ومثل هذا الموقف زاد من شك الخليفة عبدالله في العلماء ، ولم يستطع بعضهم الهروب ، فتعرضوا لبطشه مثل اسماعيل عبد القادر الكردفاني والحسين زهرا رغم اساهمهما بالكتابة في دعوة المهدي * .

(١٤) مهدي ، دفتر صادر ١١ رسالة من الخليفة عبدالله الى عجيل عوض بتاريخ ٣ الحجة ١٣٠٣ هـ / ٢ سبتمبر ١٨٨٧ م ، ص ٦٠

اسماعيل عبد القادر الكردفاني
(١٢٦٠ - ١٣١٦ هـ) (١٨٤٤ - ١٨٩٧ م)

تلقى اسماعيل عبد القادر تعليمة الاولي في خلوة جده اسماعيل الولي بالايض ثم أخذه خاله أحمد الازهري الى مصر حيث التحق بالازهر الشريف وقضى فيه بضع سنين واشتهر بالنجاة والذكاء وعاد الى السودان وعينته الادارة التركية المصرية مفتيا لديار كردفان وعندما وصل المهدي الى جهة كاجا بالقرب من الايض خرج اسماعيل عبد القادر وانضم اليه ، ويورد الدكتور أبو سليم ثلاثة احتمالات لتحويله ، الاحتمال الاول برمه من النظام السياسي السائد والاحتمال الثاني ايمانه واعتقاده في المهدي والاحتمال الثالث موقف الضرورة باعتبار ان النظام التركي آكل الى الزوال ويسيل الدكتور أبو سليم الى الاحتمال الاخير (١٥) . وكيف كان الامر فان اسماعيل عبد القادر وجد نفسه ملتزما لدعوة المهدي ، واسندت اليه وظيفة في جهاز القضاء المهدي وكان من المقربين الى الخليفة عبدالله والذي اشار عليه بتأليف سيرة في المهدي تكون جامعة لجميع حوادثها وتطوراتها من يوم نشأتها الى فتوح الخرطوم (١٦) . وقد فرغ اسماعيل من كتابة السيرة في ٢ ربيع اول ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م . وفي

(١٥) اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، سماعة المستهدي بسيرة الامام المهدي ، تحقيق الدكتور أبو سليم ، ص ١٨
(١٦) المصدر السابق ، ص ٤٢

نفس السنة وضع كتابا آخرًا اسماه الطراز المنقوش بيشري قتل يوحنا ملك الحبوش ويعتبر امتدادا للكتاب الاول ، ولم يأمر الخليفة عبدالله بطبع هذين الكتابين وربما كان مرد ذلك لاسباب فنية تتعلق بإمكانيات مطبعة الحجر ، والتي استفذت مواد الطباعة التي ورثتها عن الادارة السابقة . وقام بعض الناقلين بنسخ هذين الكتابين امر الخليفة عبدالله بحرقها وسلت نسخة واحدة من الاعداد وهي محفوظة بمكتبة بكلية الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة درام (١٧) .

اختلف المؤرخون في الاسباب التي أدت الى اسباب نقمة الخليفة عبدالله على المؤلف ، اهي الوشائيات التي وشها الحاسدون لمكانة المؤلف عند الخليفة ونسبوا اليه اقوالا تدل على احتقاره للخليفة ، ام هي زهده بالمكانة التي وصل اليها عند الخليفة بحيث يصف علاقتهما بعلاقة اسماعيل المقتس بن الخديوي ام هي المغامز التي زعموا بان اسماعيل وشها في الكتاب والتجأ الى اسلوب المدح بما يشبه الذم ولربما كان المؤلف متعاطفا مع الاشراف (١٨) . ان شك الخليفة عبدالله في ولاء العلماء لدعوة المهدي كان كافيا لئن يجعله بصدق اي معلومات او وشاية في حق اي منهم وبصرف النظر عن الوشائيات وتشكك الخليفة فان مهمة الكتابة عن سيرة المهدي في تلك الفترة الحرجة من تطورها كان امرا تحف به الخطورة من كل جوانبه ووفاة المهدي المبكرة كانت نقطة تحول كبيرة في تطور دعوة المهدي فالعلماء الذين كتبوا مؤيدين للدعوة في حياة المهدي لم يتعرضوا لهذا الاحراج ووقع فيه اسماعيل عبد القادر ، اذ كان لا بد له من ان يدافع عن صحة الدعوة بالرغم من ان وفاة المهدي قبل ان يكمل فتوحاته كما

(١٧) درام محفوظات السودان ، صندوق رقم ٩٩ القطع ٦ و ٧
(١٨) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مقدمة تحقيق سعادة المستهدي
بسيرة الامام المهدي ، ص ٢٧

بشر بها وتفاذى هذه النقطة باعتبار ان خلافة الخليفة عبدالله متسة لدعوة المهدي ومندرجة فيها حسب اعتقاد الخليفة عبدالله وحاول اسماعيل عبد القادر ان يبرز دور الخليفة عبدالله في حياة المهدي بصورة ضخمة وصلت الى حد المبالغة . كما تمادى في الاطراء والمديح للخليفة عبدالله في فترة توليه الخلافة ، والجانب المهم في كتابي الكردفاني هو التاريخ للوقائع والفتوحات التي تمت في عهد المهدي وان كان المؤلف يتفاذى المواقف التي تعرض فيها الانصار للهزيمة .

وقيل ان الخليفة عبدالله سر سرورا عظيما من كتاب سيرة المهدي وامر النساخ ان ينسخوا منها عدة نسخ وزعها على الامراء . وعندما غضب الخليفة عبدالله على الكردفاني امر بان تحرق كل النسخ من كتاب السيرة اينما وجدت وارسل الكردفاني الى الرجاف منفيا في عام ١٨٩٣ وبقي هناك في اشد العناء والضيق الى ان مات في اوائل سنة ١٨٩٧ . بالرغم من ان الخليفة عبدالله كان محتاجا لجهود العلماء والكتاب والنساخ في عمليات الدعاية لنشر الدعوة المهدي الا انه لم يكن يثق فيهم ولربما كان يعتقد بان ما تلقوه من العلم قبل المهدي لا يصلح بعدها ولا بد لهم من التربية على تعاليم المهدي المستمدة من الكشف والالهام . وكان يجمعهم بأم درمان لهذا الغرض . احضر الخليفة عبدالله علماء الجزيرة لام درمان للارشاد حسب تعبيره وارسل الى حمدان ابي عنجه يأمره بضبط علماء الابيض ومصادرة كتبهم وارسالهم الى ام درمان ويسى منهم أحمد ولد الفقه وعربي ولد أحمد عبد السلام ومحمد الشايقي ووالد الغزالي (١٩) وارسل خطابا مماثلا الى علي منير ، عامله بشأت ، يأمره بارسال الفقه امين الدين ومن معه من العلماء حيث انه قد

(١٩) مهدي ، دفتر صادر ١٠ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجة بتاريخ ١٦ محرم ١٣٠٤ هـ .

بلغه انهم « ما زالوا على حالهم الاول ومنبطين عن الهجرة ويأمره بارسال كتبهم » (٢٠) . وقد استلزم رفع المهدي للسذاهب حرق الكتب اذ ان المعلومات التي بها اصبحت غير ذات فائدة ونفع فإذا عساه ان يفعل مع العقول التي تحبل افكار هذه الكتب ؟ .

لم يكن الخليفة عبدالله في حاجة للرد على رسائل العلماء وافكارهم على النحو الذي فعله المهدي في منشوراته ولم تكن لديه وسيلة للقضاء على معارضتهم سوى القوة ، فعمل على حفظ أكبر عدد منهم بأمر درمان وتعرض عدد منهم للسجن والمسوت ولم يسلم من ذلك رجال الطرق الصوفية الذين كانوا يلتقون مع المهدي والخليفة عبدالله في الايمان بعلم الباطن واكنهم اختلفوا في تقييم الوصول الى المقامات التي بشر بها ائمة الصوفية وكانت كل طريقة تحاول ان تسبق اخنها في عمليات التدرج في هذه المقامات .

(٢٠) المصدر السابق ، رساله من الخليفة عبدالله الى علي منير بتاريخ ١٦ محرم ١٣٠٤ هـ .

الفصل السّاورس

معارضة رجال الطرق الصوفية

دخول الطرق الصوفية في السودان

طريقة القادرية

طريقة السمائية

طريقة التجانية

طريقة الختمية

ابطال العمل بالذاهب وترك الطرق الصوفية

دخول الطرق الصوفية في السودان

دخلت الطرق الصوفية ، السودان على مرحلتين متميزتين ، الاولى في ايام حكم سلاطين :فونج ، والثانية على عهد الادارة التركية المصرية . نيزت طرق المرحلة الاولى بالامركزية ، فلم يكن لطريقة القادرية أو الناذلية هيئة مركزية منظمة ، تسلسل من الشيخ الاكبر السى الخلفاء والمريدين ، بل كانت الطريقة تسار على يد شيوخ كثيرين ، منتشرين في انحاء البلاد . كل منهم شيخ وخليفة ومريد في الوقت نفسه . ولم يدخل النظام على الطرق الصوفية الا في العهد المصري حيث تجسع مريدو كل طريقة حول شيخ الطريق الاكبر ، الذي كانت له الكلمة العليا والذي كان له خلفاء مجازون يثلونه في جهات مختلفة ولهم الحق المتوض في تسليك المريدين (١) .

ان تاج الدين البهاري ، الذي ينسب اليه ادخال الطريقة القادرية في السودان مجهول الهوية ، فلم يعرف عنه شيء في طبقات مشايخ القادرية ولا يعرف شيء عن الهيئة التي كان ينتسب اليها ببغداد . كما ان الكيفية التي سلك بها الطريقة في سنار تدل على انه لم يكن تابعا لمنظمة معينة وانما كان عمله عملا فرديا بدليل انه لم يضع للطريقة نظاما وانما سلك الطريق لعدد من الشيوخ قبل انهم اثنان وقيل أربعة وقيل أربعين واستقل

(١) الدكتور عبد العزيز امين عبد المجيد ، التربية في السودان ، الجزء الاول ، ص ٢٤٥

كل منهم بمشيخته ولا رابطة بينهم والواقع أن كل أسرة دينية كانت مستقلة بمشيختها وبها عرفت كالصادق نسبة إلى محمد الهميم بن عبد الصادق واليعقوباب نسبة إلى يعقوب بن بيان النقا الضرير والعركيين نسبة إلى عبدالله العركي وإلى يومنا هذا ظلت بعض الاسر الدينية تحتفظ بأسم الاسره وتتوارث فيها المشيخة وقد لمع كثير من هذه الاسر بحيث لم يعد من السهل معرفة الطريقة الصوفية التي تنتمي اليها الاسرة . وهناك عدد من الماتخ لمعت اسمائهم في دنيا التصوف دون ان يكون لهم طريقة معينة من امثال ادريس ود الارباب وحسن ود حسونه كما تحول كثير من اضرحة الاولياء إلى مراكز صوفية مستقلة وقائمة بذاتها .

اما الطريقة الشاذلية والتي دخلت السودان في عهد الفونج فلم يعرف لها ايضا تنظيم معين ويبدو انها كانت عملا فرديا اذ اشتهرت بها اسرة المجاذيب في الدامر وبسبب عدم ارتباطها بهيئة مركزية ، سرعان ما تحولت إلى طريقة مستقلة ، عرفت بأسم الطريقة المجدوبية . وقد أسسها محمد المجدوب الكبير في اوائل القرن الثامن عشر وقد تطورت الطريقة على يد محمد المجدوب الصغير المولود في المتنة في عام ١٧٩٦ . وفي ايام حلات الدفتردار على الجعليين . ابان مقتل اسماعيل باشا هاجر محمد المجدوب إلى سواكن ثم إلى مكة حيث مكث عشر سنوات تتلمذ فيها على السيد أحمد بن ادريس الفاسي وكانت عودته إلى السودان في عام ١٨٣٠ وقد ركز نشاطه في سواكن ونواحيها بين قبائل السودان الشرقي وقد كان المجاذيب سندا قويا لحركة المهديّة في شرق السودان (٢) .

ومن الطرق الصوفية المشهورة في السودان ، الطريقة السانية والتي

(٢) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، مذكرات عثمان دقنة ص ٩ ، وانظر أيضا :

Willis, C. A. Religious Cenfraternities of the Sudan, SNR, Vol.4, P.P. 175—194.

هي في الاصل احد فروع الطريقة الخلوتية والتي أسسها في الحجاز الشيخ محمد السمان المدفون في المدينة ، وقد دخلت السودان على يد الشيخ أحمد الطيب البشير المتوفي في عام ١٨٣٣ م . وفي الايام الاخيرة المحكم المصري في السودان ، انقسمت هذه الطريقة الى ثلاث طوائف ، الطائفة الام في أم مرح بسال الخرطوم بزعامة محمد شريف نور الدائم استاذ المهدي الاول والطائفتان الثانية والثالثة بأرض الجزيرة ، احدهما بزعامة الفرشي ود الزين ، والذي جدد على يده المهدي الطريقة بعد شجاره مع محمد شريف نور الدائم اما الطائفة الثالثة فكان يتزعمها محمد الطيب البصير .

ومن الطرق التي اشتهرت في غرب السودان ، الطريقة التجانية والتي دخلت السودان في القرن التاسع عشر في اواخر الفتح المصري ، وجلب اتباعها من اولئك المهاجرين الذين وفدوا على السودان من الغرب كالملاحة والهوسا ولهم خلايا بمنطقة الجعليين وبربر ودار الشايقية ، وقد اشتهر منهم الشيخ الهدي الذي أيد الحركة المهدية وقتل في موقعة كورتبي .

وفي آخر سلطنة الفونج دخلت طريقة الختمية السودان على يد السيد محمد عثمان الميرغني الكبير ، المولود بقرية السلامة من ارض الطائف في عام ١٧٨٥ م . توفيت والدته وهو يافع ورباه والده الى ان بلغ سن العاشرة ثم توفي والده فكفله عمه ياسين وكان من أجل العلماء يومئذ بسكة مشهورا بالصالح والتقوى والزهد والورع وكان عقيما لا ولد له فاحتفل به وعلمه ما يحتاج اليه من العلوم كالفقهاء والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم ثم اتجه الى التصوف واخذ على عدد من مشايخ النقشبندية والقادرية والشاذلية بالإضافة الى الميرغنية طريقة جده عبدالله المحجوب واخيرا انضم الى مدرسة أحمد بن ادريس القاسمي بمكة ولا يعرف تاريخ انضمامه على درجة التحديد واستمرت العلاقة

بينهما الى وفاة أحمد بن ادريس في عام ١٨٣٧ م^(٣) . واشتهر أحمد بن ادريس بالدعوة الى التجديد والتبشير وكان يرسل تلامذته الى خارج بلاد الحجاز المقيم بهذا العمل . أرسل محمد عثمان الميرغني الى بلاد اليمن وصحب معه محمد الحينه ومحمد بن علي السنوسي الى بلاد اليمن وصحب معه محمد عثمان الميرغني في سياحة الى الريف المصري وفي عام ١٨١٧م امر محمد عثمان الميرغني بالتوجه الى السودان فقام بسياحة الى بلاد السودان عن طريق وادي حلما الى دنغلا ومنها بوجه غربا حتى وصل الابيض ومنها الى سنار ثم اتجه شمالا حتى وصل المتة وشندي فالداير . ولما كانت حملة اسماعيل باشا قد بلغت ابا حمد ، استبعد محمد عثمان الميرغني زيارة المناطق الشمالية واتجه الى الشرق وسار حتى استقر بالتاكا وانشأ بقربها مدينة جديدة سماها السنية^(٤) ثم سافر الى سواكن ومنها الى مكة . وفي حوالي عام ١٨٢٧ رحل مع استاذه أحمد بن ادريس الى بلدة العصير باليمن^(٥) .

ان زياره محمد عثمان الميرغني الى بلاد السودان ، مهدت الطريق لنشر طريفة الختمية في السودان وخاصة في المناطق النسالية والشرقية ولم تلق تعاليمه رواجاً في وسط السودان وغربه رغم ان ابنه الحسن ولد في مدينة باره من ام سودانية ، من عائلة بادي التي هاجرت من تسال السودان . تلقى الحسن تعليمه بالحجاز واقام مع والده بمدينة سواكن لفترة قصيرة وعهد اليه والده بنشر الطريفة في داخل السودان وقام بزيارات الى كل من بربر والخرطوم وسنار . وخلف والده في زعامة

(٣) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، مخطوط في تاريخ مؤسس الختمية بمجلة الدراسات السودانية (١) ١٩٦٨ ، الصفحات ٣٦-٤٤

(٤) John O. Voll, A History of the Khatmiyyah Tariqah in the Sudan, P. 110.

op. cit., P. 112.

(٥)

الطريقة في عام ١٨٥١ حيث توجه السيد محمد عسان الكبير الى الطائف ومات بها في عام ١٨٥٣ - اما الحسن الميرغني فقد اقام بقرية الختسية بكسلا وبوفي بها في عام ١٨٦٩م وخلفه في متيخة الطريقة محسد عسان الصغير ويعرف بالاعرب وهو الذي عاصر دعوة المهدي وقاومها .
اما القبائل الموالية لطريقة الختسية فقد تفاوت صراعها منذ المهديّة حسب الموقع الجغرافي لكل قبيلة وحسب تواجدها بالقرب من قيادة مشايخ الختسية . وقد ادى تفاوت الاسرة الميرغنية مع الحكومة التركية المصرية التي تعرضهم للنقد الموجه للحكومة نسبة لانهم كانوا يحصلون على امتيازات خاصة مما ادى الى حسد وكراهية زعماء بعض القبائل الاخرى (٦) .

هذا الوضع المميز للختسية واتباعهم خلف نوعا من الجفوة بين الختسية والمجسوعات الاخرى وخاصة طريقة المجذوبية في شرق السودان . ان نشوب حركة المهديّة بعيدا عن مناطق نفوذ الختسية جعلهم لا يحسون بخطر هاء الحركة الا بعد الانتصارات الاولى للسهدي وانتشار دعوته في مناطق نفوذ الختسية وخاصة شرق السودان ، قام محمد عسان الميرغني الثاني بسحاوات كبيرة في شرق السودان ما بين عامي ١٨٨٣ - ١٨٨٤ لاقناع رجال القبائل بأن محمد أحمد المهدي ليس المهدي المنتظر وان عليهم ان يتعاونوا مع الحكومة لمحاربة دعوته وقام بالدعاية ضد المهديّة في مسوع وسنكات وسواكن وكسلا .

هالك اشخاص آخرون من عائلة الميرغني قاموا بحركة نشطة ضد المهديّة . قامت نساء بيت محسد عثمان في شندي بتأليب الجعليين والشايقية ضد المهديّة وحتى بعد سقوط مدينة شندي قام عبدالله بن محسد سر الختم بزيارة الى سواكن وجاء محسد سر الختم الثاني من القاهرة الى سواكن في ديسمبر ١٨٨٣ بناء على طلب الخديوي .

(٦) نعوم نقيب ، تاريخ وجغرافية السودان ، ص ١٠٦

اما محمد عثمان الميرغني فانه خاف على نفسه من ان يقبضه الانصار اذا بقي في كسلا فغادرها وهو يشكو من المرض في يناير ١٨٨٤ واستمر السيد بكري في عملية المقاومة في كسلا وهدد بالرحيل الى الحجاز اذا لم يقدم له الحاكم العام في سواكن امدادات لقيادة حركة المقاومة ولم يستجب طلبه وبالرغم من ذلك بقي في كسلا الى ان جرح جرحا عيقا في احدى المعارك فاخذته اتباعه الى الساحل ورجع الى مكة حيث مات .

هذه الحوادث في كسلا نكس صورة للمشاكل في شرق السودان . كانت هناك قبائل وقادة كثيرون معارضون لدعوة المهدي ومع ذلك فلم تكن هذه القوات المعارضة كافية لصد قوات المهدي . فالبريطانيون لم يكونوا رافقين في المساعدة والمصريون لم يكونوا قادرين على الامداد بقوات اخرى لمساعدة خلفائهم المخلصين لهم . نتيجة لذلك بدأت القبائل تدريجيا في عملية التحول من مساندة الحكومة الى الحياد او الى مساندة قوات المهدي . اما محمد عثمان الميرغني وبكري وغيرهم من القادة فقد اجبروا على مغادرة مدينة كسلا او الموت بها . وبهذا انهارت المقاومة . استمر نشاط عائلة الميرغني في اثاره المعارضة وكسبها الى جانبهم . استمر عثمان تاج السر يدعو ضد المهدي في سواكن . وقد عمل علي الميرغني كوسيط بين قبيلة بني عامر والحكومة . وكتب السيد محمد عثمان الى حاكم بلوكر وساعد في تنظيم اجتماع جمع بين شيوخ القبائل وحاكم عام سواكن في عام ١٨٨٧ . وبالرغم من ان القبائل المحلية لم يكن في استطاعتها اتخاذ عمل جماعي ضد عثمان دقنة فاننا نجد بنهاية عام ١٨٨٩ ان قوات عثمان دقنة قد تضعفت وقد انتهى تهديد المهدي في شرق السودان باحتلال طوكر في عام ١٨٩١ من قبل قوات الحكومة . وعلى امتداد هذه الفترة التي ضعفت فيها المهدي بالشرق كان لعائلة الميرغني نشاط واسع وكانت القبائل التي لها علاقة وطيدة مع الختمية تعمل بنشاط في محاربة عثمان دقنة .

ابطال العمل بالمذاهب وترك الطرق الصوفية

أوضح المهدي بأن دعوته رسالة الهية وأنه يتلقى الإشارة من الرسول (ص) فأذن ليس في حاجة إلى الاقتداء بأئمة المذاهب ومشائخ الطرق الصوفية وفي غير حاجة إلى الرجوع إلى الكتب غير كتاب الله وسنة رسوله. وقد أضاف إلى ذلك منشوراته وراتبه، وبالرغم من أن المصنفات التي تحدثت عن علامات المهدي وأفعاله ذكرت بأنه يبطل العمل بالمذاهب ويلغي الطرق، فإن أتباع الطرق الصوفية في السودان الذين أيدوا المهدي لم يهن عابهم التخلي عن المذاهب والطرق الصوفية، مما جعل بعضهم يكتبون إليه مستفسرين عن صحة ابطال الطرق ومن الملاحظ ان المهدي لم يصدر منشورا مباشرا في النهي عن اتباع الطرق والمذاهب وإنما كانت ترد الإشارة في الرد على رسائل المستفسرين ويبدو بأنه كان يتوقع من الناس ان يعلسوا ان مجرد ظهوره يعني انتهاء دور المذاهب والطرق وبالإضافة إلى ذلك ان عددا من مشائخ الطرق الصوفية وأتباعهم انضموا لحركة المهدي واشعلوا الثورة في مناطقهم فلم يكن من حسن السياسة اتارتهم بنشور واضح في إلغاء الطرق فقد كان العيد ود بدر وأبنائهم محاصرين لمدينة الخرطوم من جهة الشرق وفي منطقة الجزيرة تولى مشائخ الطرق قيادة الثورة وفي دار الشايقية قاد الحركة الشيخ الهدي وهو من مشائخ التجانية ورغم هذا الاسهام فإن مشائخ الطرق لم يجدوا الفرصة لتولي مناصب هامة في دولة المهدي .

ومن العوامل النفسية التي جعلت المهدي يتجه إلى إلغاء الطرق

الصوفية ، ملته بطريفة السمانية وما شاهدته عند بعض السانية من عدم الالتزام بالشرع الصحيح في بعض التصرفات وربما يفسر لنا ذلك الاحداث التي أدت الى شجاره مع محمد شريف ، فقد ذكر بعض الرواة ان المهدي انكر على شيخه السباح بعمل الرفص والمباهاة في مناسبة ختان انجالة وروى بعضهم انه انكر عليه مقابلة النساء في مجلسه ويبدو ان المهدي اقتنع بان الطرق الصوفية ليست التنظيم الديني الصحيح فبدأ يعمل بطريقته في الوعظ وارشاد الناس في السياحات التي كان يقوم بها ثم ادرك مرة ثانية بان الوعظ لا يجدي ولا بد من ازالة المنكر بأيديهم . وبالإضافة الى ذلك كانت الطرق الصوفية مرتبطة بجهاز الحكومة التي كانت تقدم الهبات والهدايا للسلاخ وروى ان المهدي كان لا يقتات بالطعام الذي كان يقدم له في خلاوى الغبش نسبة لان الذرة من هبات الحكومة .

والعامل النفسي الآخر هو ان المهدي لم يلق تأييدا من مشائخ الطرق عندما كانت دعوة المهدي في مراحلها السرية والى هؤلاء يشير المهدي بقوله « ثم اني نهيت على بعض المشائخ وما ادركت من الامراء فلم يساعدني على ذلك احد حتى استعنت بالله وحده على اقامة الدين والسنن ووافقني على ذلك جمع من الفقراء الاتقياء الذين لا يعاب بهم ولا يبالون بما لقوه في الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتبه ولا زال بحمد الله يزدادون وتحصل البيعة على ما ذكر حتى هجمت على الخلافة الكبرى من الله ورسوله واعلني النبي صلى الله عليه وسلم بان المهدي المنتظر ... » (٧) .

ان احجام المشائخ عن المهدي في اطوارها الاولى ، جعل المهدي يتعد عنهم روحيا كما ان توغله في الغرب مهاجرا باعد بينه وبين مناطق

(٧) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، منشورات المهدي ، ص ٢٤

اهل الطرق جسمانيا وبذلك فقد اهل الطرق فضل المرتبة الاولى في المهديية فلم يكونوا من بين انصار ابا ولا قدير وانما جاء دورهم بعد الانتصارات الحربية وعندما بدا لهم عجز الحكومة في القضاء على المهدي وبعد وفاة المهدي زاد شكهم في المهديية ولم يكن في مقدورهم الخروج عن سلطة الخليفة عبدالله . فظلوا مهذوبين تقية وعاد الكثير منهم الى طرقهم السابقة ومن الطريف ان المدير ابراهيم ، كاتم سر الخليفة عبدالله - عاد الى ممارسة تعاليم طريقة التجانية بعد سقوط دولة المهديية .

لقد لقي مشايخ الطرق احتراماً كبيراً من سلاطين الفونج ، وفي عهد الادارة التركية المصرية هبطت اسهمهم قليلاً اذ ان الحكام كانوا يهتمون بطبقة العلماء ومنهم يعين القضاة والكتاب كما كانت الاعانات الكبيرة تقدم للمشايخ الذين يقومون بتعليم الصبيان ، وكان المشايخ يدرسون العرائض مطالبين بالاعانات. لمجرد انهم مشايخ وسخط بعضهم على الادارة التركية المصرية لانها اهلستهم اما المهديية فقد قضت على هيبتهم ولحسن حظهم كانت فترة حكم المهديية قصيرة ولم تتمكن من القضاء على جذور الدائنية بصفة قاضية . ان العداة بين المهديية والطائفة ، جعل رجال الطرق يعملون في الخفاء لهدم حركة المهديية من الداخل اذ ان صلتهم باتباعهم لم تنقطع كما ان السلطات الحاكمة في مصر اعتدت عليهم في تهينة جمهور السودانيين لنقل سلطة الحكم الثنائي .

وكما سبقت الاشارة فان المهدي لم يصدر منشورا خاصا بالقضاء والطرق وانما ترد بعض النصوص الدالة على ذلك في بعض خطاباتة . يقول المهدي في خطابه الى جماعة المنة اسماعيل بانه يأخذ عليهم احتجاجهم بسا في الكتب القديمة مع انها منسوخة ويقول في خطاب الى اهالي فاسي بانه يشترط العسل بالكتاب والسنة فقط وترك المذاهب وآراء الشيوخ وقد اكد في خطاب السى أحمد حمدان العركي ترك الكتب القديمة

والتصانيف . ولعل اصرح نص في عدم اتباع الطرق بعد ظهور المهدي ورد في خطاب من الخليفة عبدالله بن محسد خليفة الصديق وامير جيش المهدي الى كافة الاحباب وكما يقول الدكتور ابو سليم ان هذا الخطاب ورد في مصدر واحد بدون تاريخ ويرجح تاريخ صدوره في « اواسط ١٣٠١ هـ / اوائل ١٨٨٤ م » وفي هذه الحالة جاء رد الخليفة بصفته خليفة الصديق وامير جيش المهدي ويرد نيابة عن المهدي ونورد فيما يلي بعض الفقرات الهامة التي توضح موقف المهدي من احدى الطرق الصوفية:

« ... فالذي نعرفكم ايها الاحباب فد علمنا من جوابكم الى حضرة السيد الامام عليه السلام بان الاخوان الذين معكم امروكم بترك الطريقة التجانية واخبروكم بان الامام نفسه امركم بذلك فما أصغينم لقولهم وتوقفتم عن تركها وذكرتم انكم تتردوا في مقاتلتهم ورغبتهم رد الافادة اليكم في خصوص ما سعتوه منهم هل هو صحيح ام لا آخر ما توضح بجوابكم لهم ... » ويرد على تساؤلهم بقوله « ... ولو معتم نظرکم في اول وهلة لعلمتم انه ما كان ينبغي لكم ذلك . لان الامر واضح كالشمس لما ان الامام المهدي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم الاولياء على الاطلاق عند اهل الظاهر والباطن ومعلوم عندكم وعند جميع اهل البصائر انه على نور من الله وتأييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموعود انه يرفع المذاهب ويظهر الارض من الخلاف ويعمل بالسنة حتى لا يبقى الا الدين الخالص بحيث لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موجود لاقره على جميع افعاله لانه صلى الله عليه وسلم قال في حقه : من يقفو أثري لا يخطأ » لا يخطيء » .

ويختتم رده بالفقرة التالية :

« ... فيا اخوتنا نبهوا » تنبهوا » واقتحوا عيون قلوبكم وتوقفوا عن جميع الطرق ونبهوا اخوانكم بذلك وتوسلوا جميعا بهذا الامام

المهدي عليه السلام فقط واعملوا بالسنة النبوية وعضوا عليها بالتواجذ
وهي طريقة لا غيرها...» (٨) *

ولم يرد لفظ اسم طريقة صوفية في السودان الا في هذا الخطاب .
ويلاحظ ان المهدي لم يهاجم الطرق الصوفية ومشائخها على النحو الذي
هاجم به العلاء ، كما يلاحظ ان مشائخ الطرق الصوفية لم يكتبوا
رسائل في تكذيب دعوة المهدي ، ولم يصدر منهم شيء مكتوب في مهاجمة
المهدي سوى قصيدة محمد شريف ، التي نظمها بايعاز من عبد القادر
باشا حلبي ولم ينتقم المهدي من استاذه وانما تلقاه عندما جاءه بالاحترام
وظل محمد شريف على قيد الحياة طيلة فترة المهدي واستأنف رئاسة
مشيخة السمانية بعد الفتح . وباستثناء طريقة الختسية لم تقم اي طريقة
صرفية في السودان بمقاومة حركة المهدي حريبا وانما كانت المقاومة ذات
صيغة سلبية وظل بعض اتباع الطرق الصوفية يمارسون عباداتهم وقراءة
اوراد مشائخهم سرا ويلاحظ بأن زعماء ومشائخ الطرق الصوفية من
الذين آزروا حركة المهدي لم يجدوا اماكن قيادية في الحركة رغم اخلاصهم
لها امثال محمد الطيب البصير وابناء العبيد بدر والسيد المكبي السذي
رغم انه كان يحظى بسكينة سامية عند الخليفة عبدالله الا انه لم تسند له
احدى الوظائف الهامة بدولة المهدي .

وثمة ملاحظة أخرى وهي ان جماهير الطرق الصوفية التي ناصرت
دعوة المهدي وخاصة في مناطق الجزيرة ، لم تجد وضعاً مريحاً في دولة
المهدي فلقد تعرض هؤلاء لدفع الزكاة والهجرة الجماعية الجبرية ولم
تكن لهم قيادة قوية ينضون تحت لوأها مثل قيادة الراية الزرقاء التي
كانت تشرف على مصالح ابناء البقارة بصفة خاصة وابناء العرب بصفة

(٨) الدكتور ابو سليم ، منشورات المهدي ، ص ٤٨ .

عامة . وقد ظل مشائخ الطرق الصوفية واتباعهم يشايعون المهديّة نقيّة وما ان زالت دولة المهديّة عادوا الى طرقهم السابقة ولم يلتزموا ببيعة المهديّة وقد اهتمت سلطات الحكم الثنائي بامر الطرق الصوفية وقدمت لزعماؤها المساعدات واعطتهم وضعاً مميزاً وفي نفس الوقت كانت تسعى لعدم تقوية الطرق الصوفية حتى لا يظهر من بينها مهدي آخر ولذلك كانت الادارة البريطانية في السودان تسعى الى تشجيع العلماء السنيين بسيادة التعليم الديني على تطرف المتصوفة . وسحقت للطرق الصوفية بممارسة نشاطها الديني ما عدا انصار المهدي فقد منعوا من التجمع وحرّم عليهم قراءة الراتب وحددت اقامة عدد كبير منهم .

وبعبارة اخرى ظلت جماهير الطرق الصوفية محتفظة بولائها لمشائخ الطريقة ، بحيث انها عادت الى ممارسة نشاطها بعد زوال المهديّة ، اي ان المهديّة كعقيدة دينية لم تقض على الطرق الصوفية ، وان عدم اعتراف المهدي بالطرق الصوفية والغائها يعني بان الفرق الصوفية فقدت كينونتها في ايام المهديّة كما ان زعماء الطرق الصوفية اصبحوا اشخاصا عاديين ولم يسمح لاي منهم بتولي منصب كبير في المهديّة بحيث يصبح اتباعه في الطريق سندا له في حركة المهديّة . ومن الملاحظ ان الاشخاص البارزين في حركة المهديّة ، من اهل الطرق الصوفية ، ماتوا في معارك المهديّة الاولى وخاصة في الجزيرة ، مات ابناء المكاشفي والشريف أحمد طاه ومحمد زين وود الصليحابي وود برجوب وعبدالباسط الجسري وفضل الله ود كريف والحاج أحمد عبد القفار ولم يستطع ابناء الطرق الصوفية تكوين طبقة او حزب يتكلم باسمهم . وعندما اخذ المهدي بنظام الخلافة في دولته ام يجعل احدا من رجال الطرق الصوفية خليفة وانما حصر الخلافة في ثلاثة من ابناء المهديّة وجعلهم قادة لجيوش المهديّة حسب التقسيم الاقليمي ، ومن الطريف ان خلافة عثمان عرضت على

زعيم طائفة صوفية خارج السودان ، وحرم منها فقيه سوداني ومن
طريفة السانية ، التي كان ينسب اليها المهدي قبل اعلان دعوته . والفقه
السوداني هو المنة اساعيل ، من زعماء قبيلة الجوامعة وله مكاتنه
الدينية في تلك المنطقة بالاضافة الى الجهد الذي بذله في شن الثورة
المهدية في كردفان . وقد احدث نظام الخلافة حركات مقاومة لدعوة
المهدية .

وخلصه القول ان دعوة المهدي رغم انها خرجت من صلب طريفة
صوفية ، فانها لم نجد الأييد من كبار مشايخ تلك الطريفة من الناحية
العقائدية و اوضح المهدي صراحة في منشوراته بانه لم يلق قبولا من
المشايخ عندما أسر لهم بدعوته ويبدو بانهم استهانوا بأمر الدعوة وظنوا
ان الحكومة بما لديها من جند واسلحة ستقضي عليها وعندما اشتد ساعد
الحركة وهزمت قوات الحكومة في أكثر من موقعة انضم بعض المشايخ
للحركة واسهوا فيها ولسبب موقفهم المتأرجح من الدعوة لم يستطع اي
من مشايخهم ايجاد مكانة قيادية في الحركة أو الوقوف ضدها ومن الناحية
العقائدية ، ان المهدي يلغي الطرق ويرفع المذاهب والمهدية كحركة ثورية
لا تقبل الانقسام بين صفوفها كما انها تعترض ان يكون الولاء لها وحدها .
وقبول دعوة المهدي يعني التخلص من تعاليم وآداب الطرق السابقة وهذا
لم يفعل مشايخ الطرق واتباعهم اتسموا للدعوة خشية وتقية ثم ما لبثوا
ان عادوا الى طرقهم الصوفية السابقة بعد زوال سلطة المهدي .

الباب الثالث

المعارضة من الداخل

الفصل السابع

الخلافة ومشاكلها

حركة عصيان المنه اسماعيل

ابراهيم احمد مدعي خلافة عثمان

حركة ابي جميزة

ادعاء نبوءة عيسى

الخلافة ومشاكلها

شعر المهدي بخطورة التنافس بين كبار اصحابه والذي أصبح يزداد خطوره كلما كبرت الحركة ، فلجأ الى المجتمع الاسلامي يستلهم منه الحل الأمثل على هذا التنافس . وقاده تفكيره الى التفريق بين اصحابه ، واعطائهم مراتب محددة مكانة كل منهم في الحركة وليضع حدا للتنافس والتناحر حول الرئاسة . ومن الملاحظ ان الرسول لم يعين خلفاءه وانما تمت المبايعة لكل خليفة وفقا للظروف اثر وفاة كل خليفة وتعيين خلفه ، وقد كان لكل منهم منزلة رفيعة بين صحابة رسول الله ومن الملاحظ ايضا ان المهدي اعلن نفسه خليفة لرسول الله ، بأمر منه ، وهو في هذه الحالة في منزلة موازية لخلافة ابي بكر الصديق ولكن المهدي ذكر بان الرسول عين الخليفة عبد الله في كرسي خلافة الصديق وهذا يعني ان خلافة المهدي للرسول تأخذ خطا آخر موازيا لخلافة الخلفاء الراشدين ، دون التدخل في التسلسل المرتبي أو الزمني . ومن الجلي السواضح ان المهدي لم يقصد بالخلافة التابع الزمني أي ان يتولى اصحابه الامر من بعده على نسق ما تم في عهد الخلفاء الراشدين (١) . ودليلنا على ذلك ان التطور المسبق لرسالة المهدي ليس فيه أي تنبؤ لدور الخلفاء القيادي بعد وفاة المهدي وانما تروى القصة على أساس ان الدجال يظهر بعد المهدي ثم تأتي مرحلة ظهور نبي الله عيسى ويمكننا ان نضيف الى ذلك

(١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مفهوم الخلافة وولاية العهد في المهدي . ص ٧

ان المهدي في تلك المرحلة المبكرة من دعواته وهو في قمة انتصاراته لا يسكن ان يفكر في نهاية عهده ويخطط للخلفاء الذين سيأتون من بعده . ويلاحظ ايضا ان المهدي ، لم يشر ، في منشوراته ومجالسه ، الى ظهور الدجال وعيسى وخروج دابة الارض وغير ذلك من علامات الساعة .

ظهر نظام الخلافة في حركة المهديّة نتيجة لنموها وتطورها ، ووفق الظروف التي كانت محيطة بها في تلك الفترة التي اعلن فيها المهدي مراتب الخلفاء . وقبل ذلك كان المهدي يشير الى كبار اصحابه الوزراء والاعوان والنواب . وفي رسالة الى محمد الطيب البصير يقول المهدي « . . . وحيث انك النايب عنا وكنفسنا في جميع الامور لازم تشجع الاهل الى الهجرة الينا . وجميع من يصلنا فليايحك ، وقد جعلت مبايعتك مبايعتي ، وانت الامين على حقوق الله تعالى . . . » (٢) .

ويقول الدكتور ابو سليم ، ان وظيفة نائب المهدي هذه ، هي اقدم وظيفة في المهديّة والغرض منها الانابة في المبايعّة والتهجير والنظر في شؤون الخلق في الاقاليم وقد الغي الاصطلاح واستبدل بالامير ثم العامل ومنذ فتوح الابيض ، صار هذا اللقب أي النائب - خاصا بالخليفة عبدالله اذ كان يتولى كافة الامور المدنية والعسكرية والسياسية بصفته نائب المهدي وكان للمهدي نواب آخرون هم نواب حكام المهديّة أي القضاة (٣) .

وحاء في منشور المهدي الذي وجهه الى محمد المهدي ابن الولي

(٢) رسالة من المهدي الى محمد الطيب البصير بتاريخ غرة شعبان ١٢٩٨ هـ المواقي ٥ - ٣٠ يونيو ١٨٨١ م - انظر الدكتور ابو سليم ، منشورات المهديّة ص ١٢-١٨
(٣) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، مفهوم الخلافة وولاية العهد في المهديّة ، ص ٢ .

السوسني لفظ « الوزراء » وتدرجه الى الخلفاء حسب ما جاء في المنشور على النحو التالي • « ... وانت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبي صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لي ثم لا زلنا ننتظر حتى اعلمنا النبي الخضر عليه السلام باحوالكم وما اتهم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة عين فيها النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء خلفائه من اصحابي فجلس احد اصحابي على كرسي ابي بكر الصديق واحدهم على كرسي عمر واوقف كرسي عثمان وقال هذا الكرسي لابن السنوسي السى ان ياتبكم بقرب او طول واجلس احد اصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم اجسعين ... » (٤) .

وخلافة الصديق اعطيت للخليفة عبدالله وخلافة الفاروق اعطيت لعلي بن محمد حلو وخلافة الكرار اعطيت للخليفة محمد شريف ، والغرض السياسي من توزيع الخلافة على هذا النحو واضح فلقد اراد المهدي ارضاء قطاعات المجتمع السوداني المنضوية في حركته فجعل لاهل كل اقليم خليفة خاصا بهم كما عين لكل خليفة راية مميزة بلون معين فهذا التقسيم الذي قصد به القضاء على التنافس بتحديد مرتبة كل خليفة ساعد بطريقة غير مباشرة على خلق كتلات اقليمية طغت الكتلة القوية على الكتل الاخرى واستبدت بالامر .

ويرى الدكتور ابو سليم ، ان فكرة الامامة والخلافة ، ليست مجرد شرب من ضروب الحكم وانما هي اصل من اصول الدين وركن من اركان العقيدة الاساسية مثلها مثل البيعة والهجرة (٥) . وانه لمن الصعوبة بسكان التفريق بين الخلافة كركن من اركان العقيدة وكأداة من أدوات

(٤) رسالة من المهدي الى محمد المهدي بن السنوسي بتاريخ ٥ رجب ١٣٠٠ هـ .

(٥) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، منشورات الهدية ، المقدمة ، ص ٢٠ ز .

لحكم وبعبارة اخرى انه لا يد للخلافة - أي كان كنهها - ان تصطدم بالواقع المعاش ويصبح التنافس حولها معولا من معاول الهدم لحركة المهديّة ولا سيما ان خلافة المهديّة تعددت كراسيها وواحد من هذه الكراسي ظل شاغرا مما جعله هدفا لحركات المقاومة والعصيان لسلطة المهديّة .

ومها يكن من أمر فان نظام الخلافة ، اصبح من الدعائم الرئيسية في دعوه المهديّة والتي تأتي بسببها معارضة حكم الخليفة عبدالله . فما هي الاسباب التي دفعت المهدي لايجاد هذا النظام؟ ان المهدي عادة لا يفسر أعماله بالوضع المباشر وانما يسندها الى حضرة نبوية ، وربما أراد المهدي ان ينظم مكانة ومسؤوليات أعوانه بالنسبة اليه حتى يضع حدا للمنافسات والظوح بين كبار أعوانه وجاء نظام تقسيم الخلافة متمشيا مع نظام الرايات .

ويأتي نظام الخلافة طبيعيا مع تطورات حركة المهديّة ، فقبل واقعة ابا ، كان الانصار يحملون رايات الصوفية المختلفة دون تمييز فلما أحس المهدي بدنو المعركة مع جيش أبي السعود أمر باحضار الرايات الخمسة وكان مكتوبا عليها كلها عبارة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وكان على احدىها الشيخ الجيلاني ولي الله وهي الراية الخضراء وعلى الثانية الشيخ أحمد الرفاعي ولي الله وهي الراية السوداء ، وعلى الراية الثالثة الشيخ الدسوقي ، ، والرابعة أحمد البدوي ولي الله وهي الراية الحمراء والخامسة لم يكن عليها شيء سوى الشهادة وهي الراية البيضاء . وأضاف المهدي الى كل منها في أعلاها عبارة « يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاکرام » وفي أسفلها « محمد المهدي خليفة رسول الله » ورايات الاقطاب الاربعة معروفة . أما الراية الخامسة فالغالب انها كانت راية المهدي باعتبارها قطبا من الاقطاب (٦) .

(٦) الدكتور ابراهيم حسن شحاته ، الادارة المهديّة بالسودان ، ص ٦١

وبعد نجاح حركة المهديّة في المواقع الحربيّة الأولى ، قرر المهدي أن
عامّة أصحابه في درجة عبد القادر الجيلاني ، ولعل ذلك كان تسهيلاً لالغاء
الطرق الصوفيّة وإبطال العمل بالمذاهب الأربعة . وإذا كان عامه الانصار
في مرتبة الجيلاني فليس هناك حرج في أن يكون خلفاء المهدي في مرتبه
أعلى من الاقطاب الأربعة وأقرب مرتبه لهم هي مرتبة خلفاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

الخلفاء ، المؤرخون في تفسير معنى الخلافة التي كان يقصدها
المهدي ، هل كان يقصد بها التتابع الزمني لاعتلاء خلفائه امامة المهديّة من
بعده أم كان يقصد بها مراتب دينية للتسيير بين أصحابه ومكانتهم منه؟ (٧)
ويرى بعض المؤرخين أن الخلافة أمر مرتبي ديني وموضوعه على نمط
مراتب المتصوفة ، فالمهدي يضع أتباعه في مراتب متفاوتة . أما هو نفسه
فهو خليفة الرسول وأصحابه الأربعة الكبار هم خلفاء الخلفاء
الراشدين (٨) .

وفكره التتابع الزمني لم يظهر مدلولها إلا بعد وفاة المهدي والتي
لم تكن متوقعة قبل استكمال الفتوحات . ولذلك نجد أن المناقشات
حول الخلافة في أيام المهدي لم يكن الغرض منها التسهيد والعمل على
ولاية الأمر بعده بقدر ما كان الغرض منها الحصول على مرتبة مميزة مع
حركة المهديّة وخاصة أن كرسي خلافة عثمان قد عرض لشخص لم يسهم
في حركة المهديّة ، فضلاً عن أنه لم يصل إلى شيء يدل على إيمانه بالدعوة
أو حتى العطف عليها .

وبالرغم من أن الخليفة عبدالله قد حظي بمرتبة خلافة الصديق ،

(٧) Holt, P. M. The Mahdist in the Sudan, P. 103.

(٨) الدكتور أبو سليم ، محمد إبراهيم ، مفهوم الخلافة وولاية المهدي في
المهديّة ، ص ٤

فان ذلك لم يحمه من النقد والتشكك في الاجراءات التي كان يتخذها لادارة حركة المهديية . وبدأت المنافسات والصراعات الداخلية تندلع بعد تسليم حامية الابيض في ١٠ ربيع أول ١٣٠٠ هـ / ١٩ يناير ١٨٨٣ م اذ أجرى المهدي بعض التعديلات في جهاز نظامه وقد ركز كثيرا من السلطات في يد الخليفة عبدالله ، الامر الذي أثار حفيظة أتباع كثيرين ، وخلق خلافات كبيرة ، وقد تعمقت العداوة بين الخليفة عبدالله والاشراف اثر السلطات التي أعطيت له (٩) . هذه المنافسات دفعت المهدي الى اصدار منشور خاص بتاريخ ٧ ربيع أول ١٣٠٠ هـ / ١٦ يناير ١٨٨٣ م في فضل الخليفة عبدالله ومكانته في المهديية وان أفعاله بأمر من الله ورسوله أو باذن من المهدي وانه لا يعمل باجتهاد منه ، وانه خليفة الخلفاء وأمير جيش المهدي وانه خليفة المهدي في الدين بأمر من الرسول (ص) وانه مؤزر في الباطن بالخضر عليه السلام . وحذر المهدي أتباعه من التكلم في حقه لان ذلك يورث الوبال والخذلان وسلب الايمان كما أخبر بشأن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب ، لانه أوتي الحكمة وفصل الخطاب (١٠) .

لم يكن في مقدور الخليفة عبدالله تصفية المنافسين له من الاشراف في حياة المهدي فاستعمل الحكمة والعقل في كسب ثقة المهدي ، على خلاف الاشراف الذين تضايق منهم المهدي وشعر بالحرَج لتكالبهم على الدنيا ولم يتورع من ادانتهم علنا في المسجد . وسنعالج موضوع الصراع بين الاشراف والخليفة عبدالله في فصل لاحق .

أما كرسي خلافة عثمان الشاعر ، فقد تطلع بعض أصحاب المهدي

(٩) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديية ، ص

(١٠) منشور من المهدي الى كافة احبابه بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٣٠٠ هـ /

الى الوصول اليه ، ومن أول المدعين لخلافة عثمان شخص يدعى فخر الدين حسن الملاوي الذي كتب اليه المهدي رسالتين عن موضوع ادعائه للخلافة ، وجاء في إحدى هذه الرسائل « ان أمر الخلافة من الله ورسوله ... ان الله جعل كل أحد خليفة في ابائه وكل قرن خليفة عن القرن السابق . أما الحضرة النبوية اذا تحققت في كونك خليفة عبدالله فهو ان عبدالله دال لجميع الخلق الى الله وهو خليفتنا على ذلك وأنت خليفة على اهانت وذريتك ... » (١١) .

وليس المهدي بالسذاجة التي يوزع بها أعباء دولته على كل من يدعي حضرة نبوية ، ويلاحظ انه اشترط صحة الحضرة ، وتمكن الخليفة عبدالله من القاء القبض على فخر الدين المذكور وبعضاً من أتباعه (١٢) . أما حركات المطالبة بكرسي خلافة عثمان أو المطالبة بموقف متميز في المهديّة ، فقد ظهرت ثلاث مرات : الأولى في أيام المهدي ، والثانية والثالثة في أيام الخليفة عبدالله . كانت الحركة الأولى بقيادة الفكي المنه اساعبل ، زعيم الجوامع ، وكاد أن يقود الى انقسام كبير في حركة المهديّة لولا ان المهدي عالج الموقف بنوع من الحزم . وأما الحركة الثانية فكانت بأسباب دفع الزكاة ، تزعمها شخص يدعى ابراهيم أحمد وجمع حوله عربان رفاعة الهوى وقسمت حركته في مهدها (١٣) . أما الحركة الثالثة فهي الحركة التي كادت تعصف بهيبة حركة المهديّة في غرب السودان ، لولا أن توفي قائدها بمرض الجدري قبل أن يصل الفاشر ، وسنحلل فيما يلي أسباب قيام كل حركة ونتائجها بالنسبة لظهور فكرة دعوة المهديّة .

(١١) رسالة من المهدي الى فخر الدين حسن بتاريخ ٤ شوال ١٣٠١ هـ / ٢٨ يوليو ١٨٨١ م .

(١٢) مهديّة ١٠/١ م ١ ص ٣٩ ، رسالة بتاريخ شوال ١٣٠١ هـ .

(١٣) مهديّة ١٢/٢ م ٢ ، ص ٧ رسالة من أحمد الصوفي السى الخليفة عبدالله بتاريخ ٧ ربيع آخر ١٣٠٧

Boltan, A.R.C. SNR, Vol. 17 (1934) P. 237.

حركة عصيان المنه اسماعيل

ينتمي المنه اسماعيل الى عائلة فقهاء من قبيلة الجبع ، وفد هاجرت القبيلة الى دار الجوامعة في حوالي منتصف القرن الثالث عشر وكان المنه ينسب الى طريقة السمانية واكتسب شهرة عظيمة (١٤) . ويقال ان المهدي قاباه قبل اعلان المهدي في قريته (ياسين) في عام ١٨٨٠ وأخذ معه اليهود والمواثق لنصرته عند اعلان دعوة المهدي . وتنضح صلة المهدي بالمنه اسماعيل قبل اعلان المهدي من رسالة وجهها المهدي الى الشيخ سليمان ، بتاريخ ١٤ رجب ١٢٩٧ هـ / ٢٣ يونيو ١٨٨٠ م ويشير فيها المهدي الى وعد سليمان بالاجتماع معه في نصف شوال ويطلب منه أن يلحق به في جديد في نفس الميعاد أو أن يسبقه الى أبي دوم وأن يكتب موسى الاحمر والشيخ المنه وغيره ويفيده بحضور محمد الطيب البصير ومعه عدد من مشائخ وعمد الحلاوين ودخولهم في العهد المعلوم (١٥) .

ومن هذه الرسالة يتضح بأن المنه اسماعيل كان له ضلع أو علسى الاقل كان لديه علم بدعوة المهدي ، وهي في مراحلها السرية ، وانه كان مناصرا للدعوة ودخل في حلف مع المهدي ولكن يلاحظ انه لم يتوجه الى قدير لمبايعة المهدي واكتفى باعلان الثورة في شمال كردفان ونسبة

(١٤) رسالة من محمد أحمد بن عبدالله (المهدي) الى الشيخ سليمان بتاريخ ١٤ رجب ١٢٩٧ هـ / ٢٢ يونيو ١٨٨٠ م .
(١٥) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 48.

لمكائته الدينيه ونفوذه في تلك المنطقة . وقد استطاع أن يجمع حوله قوة قدر عددها بعشرين ألف رجل وزحف بهم نحو حامية النيارة وتمكن من الاسيلاء عليها عنوة في ٢١ رمضان ١٢٩٩ هـ / ٦ أغسطس ١٨٨٢ م ونقل الى المهدي أخبار انتصاراته كما قام بقطع خط التلغراف وطريق البوستة الحكومية بين الابيض والخرطوم (١٦) .

وكانت بعض القبائل قد أشعلت الثورة في هذه المنطقة تحت قيادة عبدالله النور ، وكانت هذه القبائل تتكون من قبائل حمر ورئيسها المكبي ود ابراهيم وقبيلة البديرية تحت قيادة عبد الصمد أبو صفيه وقبيلة الحوازمة بقيادة نواي . ويقال ان المهدي عندما وصل الى جبل الكواليب اتاه رسول من عامله عبدالله يستنخه على الجبل في السير للوصول الى كردفان (١٧) .

والعلاقة بين عمالة عبدالله النور والمته اسماعيل يكتنفها الغموض ، فقد كان كل منهم يحارب بسفرده وتجمع الاثنان مع المهدي في حصار الابيض . قابله عبدالله ود النور عند البركة ومعه نحو عشرة آلاف مقاتل ، وعندما وصل المهدي الى كابا ، كان قد كتب للمته اسماعيل ليوافيه اليها من النيارة ، فسكث في كابا في انتظاره وأرسل قسوات استكشافية للابيض (١٨) . ويذكر شقير بأن المته اسماعيل وصل الابيض بعد وصول المهدي وأمره بالنزول في خور طقت تجاه الزاوية الشمالية

(١٦) العوض عبد الهادي العطا ، تاريخ كردفان السياسي في المهديية ، ص ٣٣

(١٧) المخابرات المصرية ١٠/١/٢٣ ، بتاريخ ٢٦ رمضان ١٢٩٩ هـ / ١١ أغسطس ١٨٨٢ م . وانظر عوض عبد الهادي العطا ، تاريخ كردفان السياسي في المهديية ، ص ٣٣

(١٨) العوض عبد الهادي العطا ، تاريخ كردفان السياسي في المهديية ، ص ٣٤

الشرقية من الاستحكام . واذا صحت هذه الرواية فان القول بأن المنه اسماعيل كان يريد اسقاط الابيض قبل وصول المهدي بعيد عن الحقيقة . ويذكر شقير بأن المهدي نظم الهجوم على النحو التالي : المنه اسماعيل : الذي نزل في خور طقت والقاضي أحمد ود جبارة من الزاوية الشمالية الشرقية وفرسان البقارة من الزاوية الشمالية الغربية وهو أي المهدي مع خلفائه ومعظم جيوشه من الزاوية الجنوبية الشرقية (١٩) .

ومن هذا يتضح ان المنه اسماعيل كان يقود جيشا كبيرا ، بدليل انه كان مسؤولا عن جهة كاملة في الهجوم على الابيض وكان يتوقع ان ينال مكافأة عظيمة عند المهدي . ويقال بأنه كان موعودا بخلافة عثمان الا انها انتقلت الى السنوسي لاكتساب قطاعات أخرى للمهدية فلم يكن المنه اسماعيل ليقبل وضعاً هامشياً في الحركة وقد أسهم فيها بسيفه على خلاف ابن السنوسي الذي لم يحضر لمقابلة المهدي كما انه لم يرد على رسائله . ويبدو ان المنه لم يكن راضيا عن المكاة الاولى التي كان يتمتع بها الخليفة عبدالله ولم يكن يستجيب لاوامره كما ان أتباع المنه لم يكونوا خاضعين للسلطة وكانوا يتصرفون في حرية تامة . وقد كتب المهدي الى المنه اسماعيل خطابا قبل ٢٥ جماد أول ١٣٠٠ هـ / ٣ ابريل ١٨٨٣ م أي قبل عزل المنه من الامارة يخبره بشأنه يتلقى في كل يوم وليلة وباستمرار خطابات، يتضرر أصحابها من جماعته (أي جماعة المنه) وشاع انهم يهبون ويسلبون ويقتلون ، ويحمله مسؤولية هذه الاعمال بصفتهم راعيا لهم وينذره من مخالفة أمر إمام القرن (٢٠) .

وقصة عصبان المنه كما يرويها مؤلف كتاب « جهاد في سبيل الله »

(١٩) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٩٣
(٢٠) الدكتور أبو سليم ، محمد أبراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ٤٧ ، رسالة من المهدي الى المنه اسماعيل بتاريخ قبل ٢٥ جماد أول ١٣٠٠ هـ قبل ٣ ابريل ١٨٨٣ م .

هي ان جنود المنه نهبوا أغلب أموال الابيض واغتمروا بما وقع في ايديهم من مال ، وسار الفكي المنه بجيشه الى قرية ياسين بدار الجوامعة بدون اذن من المهدي او خليفته (٢١) . ولا شك ان أخذ الاموال ليس سببا كافيا في أن يجعل المنه يهجر المهدي ويتوجه الى قرية * ويبدو ان المنه اسماعيل لم يكن راضيا عن المكاة التي وصل اليها الخليفة ، وأنف من الخضوع لرئاسته ورأى انه أحق منه ، أو على الاقل كان يطمح في مرتبة تميزه عن غيره بفضل الجهد الذي بذله في نصرة الدعوة * وكما سبق ان ذكرنا . فقد قام المنه اسماعيل بدور كبير في اشعال الثورة في شمسان كردفان ، قضى على حاميتي باره والتيارة ، وحارب بعيدا عن الجيش الرئيسي ، واجمع حوله عدد كبير من الناس وحاول ان يجد لنفسه مكانا بارزا في الثورة الا ان المهدي لم يعطه تلك المكاة * ويشير الى ذلك مؤلف كتاب « سعادة المستهدي » بقوله « ان المنه هذا كان بعد فتوح مدينة الابيض وقبل ذلك حصنات منه مخالقات وجرت منه امور مخلة يناول شرحها حتى سار يخالف أوامر المهدي عليه السلام وغير ذلك من أوجه الموبقات التي أفضت به الى الهلاك والدمار » (٢٢) ، وليقم المهدي عليه الحجة أرسل اليه الشيخ عجيب الحسراوي ليرد الغنائم ويرجع عن دعواه في خلافة الصديق * اعترض المنه أمر المهدي وعاد الشيخ عجيب ليخبر المهدي بأمر المنه * أرسل المهدي جيشا بقيادة عبد الرحمن النجومي وعبدالله النور وحسدان ابي عنجة وفرق من الجهادية وراية حاج خالد وراية ولد أبو سفية * وهذا الجيش الكبير يدل على خطورة حركة المنه وحزم المهدي في القضاء عليها في المهدي * وعندما رأى الجوامعة هذا

(٢١) علي المهدي ، جهاد في سبيل الله ، تحقيق عبدالله محمد أحمد ،

ص ٢٥

(٢٢) اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي ، تحقيق الدكتور أبو سلم ، ص ١٩٧-١٩٩

الجيش الكبير تفرقوا عن المنه ودخل عليه رسل المهدي فرفض مقابلتهم بحجة أنه متمكن ومشغول بذكر الله . فدخلوا عليه وأوثقوه كثافا هو وابنه ووالده وأمين بيت ماله وساروا بهم نحو الابيض وفي الطريق تسلموا أمر المهدي بقتلهم ونفذ فيهم حكم الاعدام . ويقال ان الخليفة عبدالله هو الذي أصدر الامر بقتلهم دون استشارة المهدي ، وتهديته للخواتم فيل ان المهدي قال بأن الفكي المنه طهره القتل وعفا عنه (٢٣) .

ويذكر تقرير ان المهدي أصدر أمرا بعد فتح الابيض بقتل اثنين من اعظم أنصاره وهما المنه اسماعيل وعجيل ود الجنقاوي ، من كبار مشائخ الرزيقات ، لمنافسة حصلت بينهما وبين الخليفة عبدالله وكثر الطعن على الخليفة عبدالله وقومه سرا وجهرا، وخوفا من حدوث الفشل أصدر المهدي منشورا في حق الخليفة عبدالله ومكائنه في المهدي وأمر الناس بطاعته كنفسه وحذرهم من الطعن فيه سرا أو جهرا (٢٤) .

والشاهد ان اسباب قتل عجيل ود الجنقاوي تختلف عن الاسباب التي أدت الى مقتل المنه اسماعيل . فقد كان عجيل من زعماء الرزيقات وتولى نظارة الرزيقات لفترة في أيام الادارة التركية المصرية بدلا من مادبو علي ، الذي أصبح ناقما على الادارة التركية وانضم الى حركة المهدي في وقت مبكر . أما عجيل فقد كان متعاطفا مع الادارة التركية ورغم مبايعته للمهدي فلم يكن الخليفة مطمئنا الى ولائه للمهدي بالاضافة الى تفوذه وسط قبائل الرزيقات وعدم رغبته في الخضوع للخليفة عبدالله الذي لم يكن لاسرته مكانة رفيعة في القبيلة ، أما المنه اسماعيل فقد كانت المنافسة بينه وبين الخليفة عبدالله على الخلافة . فقد كان المنه اسماعيل

(٢٣) علي المهدي ، جهاد في سبيل الله ، ص ٤٩

(٢٤) نعم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٠٨

يرى انه أحق من الخليفة عبدالله لمكاته الدينية وسط قبائل كردفان وللجهد الذي بذاه في سبيل نشر دعوة المهديّة .

حسم المهدي حركة المنه اسماعيل بحزم وسرعة ولم يتركها تستفحل لتحدث انفساماً في الثورة ، خاصة من رجل له مكانة دينية في المنطقة حاول أن يثبت وجوده وتحدي أوامر المهدي وظن ان قربه من المهدي سيشفع له . وبسقتل المنه انحلت قيادة الجوامعة والجمع بالرغم من ان الامارة أسندت الى موسى الاحمر وتفرّق الجوامعة على أربع رايات بقيادة مزمل زروفي وعسر خوار النسيخ ورحمة محمد منوفل والشامي هبائي .

ان القضاء على حركة المنه أدى الى تجنب الانقسام في الثورة كما ان توجه المهدي الى شيكان لمقاومة جيش هكس غطى على حركة المنه وأوقف حركات المنافسين للخليفة عبدالله مؤقتاً . وبالإضافة الى ذلك فقد أدى تسرد المنه على الخليفة اعطاه مزيداً من السلطات وانفرد بالامر وأصبح صاحب الكلمة الاولى في دولة المهديّة بعد المهدي وقد أدى ذلك الى ازدياد سخط الاشراف وشيعتهم من أبناء البلد على الخليفة عبدالله وأتباعه .

وفي فترة حكم الخليفة عبدالله ، حدثت بعض الادعاءات لخلافة عثمان وهي في جوهرها عبارة عن تبرير للخروج على حكم الخليفة عبدالله وفي أرض رفاعة الهوى بمنطقة الجزيرة ، قامت حركة ضد عمال الخليفة عبدالله ، ادعى قائدها خلافة عثمان .

ابراهيم احمد مدعي خلافة عثمان

في السنة الاولى لحكم الخليفة عبدالله ، ادعى شخص ، يسمى ابراهيم احمد ، خلافة عثمان ، بجهة التبتة ، في أرض رفاة الهوى ، وعندما علم الخليفة عبدالله بأمر هذا الدعي ، من أحد مندوبيه في تلك الجهة أمره بترك سبيله ولكنه استدرك وأرسل خطابا لمندوبه المذكور وطلب منه أن يحضر المدعي معه الى أم درمان ولا يفرط فيه خوفا من أن يحدث منه افساد للدين (٢٥) .

ومن الطريف ، ان الخليفة عبدالله ، أرسل خطابا للمدعي نوره كاملا لالقاء الضوء على الطريقة التي كان يعالج بها المخالفين له « ... الى حبيبه في الله ابراهيم أحمد ... فعلم الحبيب قد بلغنا ادعائك لخلافة عثمان ، وحيث انك من ضمن المسلمين ونحب لك الخير ولا نرضى لك الا الجميل فينبغي يا حبيبتنا بوصول هذا عندك بادر للحضور بطرفنا على وجه الفور ولا يؤخرك غير مسافة الطريق لاجل النظر في هذا الامر وأجري ما يرضي الله تعالى ورسوله وان شاء الله بعد مقابلتنا لا ترى الا الخير هذا والسلام » (٢٦) .

(٢٥) مهددة ، دفتر صادر ٩ ص ٢٢٢ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى احمد ابو ام مفتاني بتاريخ ١٣ ربيع آخر ١٣٠٣ هـ .
(٢٦) المصدر السابق ص ٢٢٣ رسالة من الخليفة عبدالله الى ابراهيم احمد بتاريخ ١٣ ربيع آخر ١٣٠٣ هـ .

ووردت الاخبار على الخليفة بأن ابراهيم أحمد ، مدعي الخلافة بخور الدليب ، صار يعطي البيعة للعربان وتوجه اليه أحمد الصوفي وعلي ابي عفاه لصدّه عن الدعوة فتصدى لحربهما ، واستطاعا قتله مع عدد من أتباعه . وكانت خسارة الانصار سبعة قتلى وأحد عشر جريحا . وبعد مقتل مدعي الخلافة فان العربان ، التابعين له ، والذين فروا من المعركة لم يسلّموا وانما كانوا يناوشون الانصار ، ووصفهم أحمد الصوفي بقوله « انهم الجبيع مخادعين ويايعوه ونضروا من المهديّة وليست حاصلة منهم استقامة ومع مقتل صاحبهم لا زالوا مصممين على محاربة الفقراء» (٢٧) .

ورد عليه الخليفة عبدالله بعدم مطاردة العربان لحين زمن الخريف ، « وان الانصار مطلوب حضورهم لام درمان للاستعداد لقتال الكفرة الذين تحركوا من بلادهم . أما العربان يصرف النظر عنهم لانهم تحت اليد » (٢٨) .

وأمر الخليفة عبدالله علماً أبا عقله وأحمد الصوفي أن ينصرفا للسمة التي من أجلها أرسلوا الى عربان رفاة الهوى وهي جمع الزكاة ، وهذا يفسر سر التقاف العربان على مدعي الخلافة ، ليس لامر ديني وانما تخلّصاً من دفع الزكاة ، والتي أصبحت بالنسبة لهم مرهقة مثلها مثل الضرائب التي كانت تجنيها منهم الحكومة السابقة .

(٢٧) مهديّة ٢ مجلد ١٣/٢ ص ٧ ، رسالة من احمد الصوفي الى الخليفة عبدالله بتاريخ ١٧ ربيع آخر ١٣٠٣ هـ .
(٢٨) مهديّة ، دفتر صادر ٩ ص ٢٦ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى علي ابو عاولة بتاريخ ٢ جماد اول ١٣٠٣ هـ .

حركة ابي جميزة

أصبحت المناداة بملء كرسي خلافة عثمان الشاغر مسوغا دينيا يجسح حوله الناثرون الاتباع لمناهضة حكم الخليفة عبدالله ، بدعوى انهم من اتباع المهدي . ومن أشهر هؤلاء الدعاة ، شخص يسمى محمد الزين واشتهر بكنيته (أبو جميزة) . ونكس خطورة هذا الرجل في انه ظهر في بلاد تامة - من امارات السودان الغربي - وكانت فكرة أو عقيدة ظهور «المهدي المنتظر» منتشرة في تلك الجهات ، كما ان هذا الرجل ادعى بأنه مؤيد من محمد المهدي بن السنوسي ، زعيم طائفة السنوسية، ذات الانتشار الواسع في السودان الغربي ، وكما سبقت الاشارة فان المهدي قد عرض عليه كرسي خلافة عثمان . وأعلن ابو جميزة بأن من أهدائه فتح طريق الحج الى مكة الذي أقفل بعد نجاح ثورة المهدي في السودان . ووجد أبو جميزة تأييدا من سلاطين امارات السودان الغربي . وأيده أبو الخيرات من أبناء سلاطين الغور . وكان أهل السودان الغربي حائقين لسد طريق الحج فاجتمعوا على أبي جميزة من كل فج ، من برقو وبرنو ومساليت وتامة وترجم واسنقر وزغاوة وبني هلية والقرعان والبديات ورفقا . أصبح أبو جميزة في جموع كثيرة فزحف بها على القاهر وكتب الى الخليفة عبدالله يعلمه بظهوره وانه على الكتاب والسنة وسكة المهدي وانه مبايع للخليفة عبدالله على السمع والطاعة في الامر والنهي (٢٩) .

(٢٩) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١٠٥٢

قام أبو جميزة بحركته هذه في الوقت الذي كانت فيه الحالة مضطربة في اقليم دارفور وذلك بأسباب خروج محمد خالد من الفاشر وتعيينه ليوسف ابراهيم وكيلا عنه . ان الخليفة عبدالله عندما كان يكرر الاوامر لمحمد خالد بالحضور الى أم درمان كان يطلب منه دائما أن يعين بدلا عنه وكيلا في العمالة ويبدو انه كان يريد أن يشعره بأن طلبه الى أم درمان ليس بصفة مسنديمة . ولعل محمد خالد أدرك بأنه لن يعود الى الفاشر مرة أخرى فأراد أن يرد كيد الخليفة فعيّن يوسف ابراهيم - من سلالة سلاطين الفور - وكيلا ، وبذلك هيكأ له الطريق للتفكير في استعادة سلطنة الفور . ولم تكن العلاقات حسنة بين يوسف ابراهيم ومادبو علي وكرم الله كركساوي ، فاستغل الخليفة التناحر بينهم نسي التخلص منهم جميعا . ونكتفي في هذا المقام بالاشارة الى الفراغ الذي تركه محمد خالد بخروجه من الفاشر تحت الحاح الخليفة عبدالله، ونضيف الى ذلك ان محمد خالد كان ملتزما بسياسة ودية مع سلاطين السودان الغربي .

وجاءت حركة أبي جميزة لتزيد الموقف اضطرابا ، وكانت أصعب مشكلة تقابل عثمان آدم بعد أن أوكل اليه الخليفة عمالة الغروب التي تشمل كردفان ودارفور ، وقد اعترف عثمان آدم بأن دارفور جميعها أصبحت في حالة العصيان ، ويشير الى أبي جميزة بالرجل المدعي الخلافة السنوسية . وتفيد التقارير المرسلة من عثمان آدم الى الخليفة عبدالله بأن أبا جميزة رجل من قبيلة القرعان وكان مقيما مع عربان الماهرية يسارس عملية كتابة الورق للنساء والاطفال ، وعند وصول حركة المهديّة الى ديار الماهرية ، هرب الى دار تامة ، وعندما وصل الانتصار الى دار تامة وقبضوا على سلطانها ابراهيم سليمان ذهب أبو جميزة الى أولاد هذا

السلطان وادعى بأنه موافق من والد السنوسي لقتال الانتصار (٣٠) .

اهتم الخليفة عبدالله بأمر حركة أبي جسيمة ، لحدوثها في المنطقة التي لم يكن الخليفة عبدالله يتوقع فيها خطرا خارجيا . مثل الجهات الشمالية والشرقية . ويستدل على ذلك من اهتمام الخليفة بالرد على رسائل أبي جسيمة والاستعدادات التي اتخذها للقضاء على حركته، ولا شك ان هذه الحركة شغلت الخليفة من التفرغ الى الجهات الاخرى . وجاء في احدي ردود الخليفة على أبي جسيمة قوله « . . . وأما قوالك «أنك خائفة عثمان فهذا أيضا مع نابسات بما أنت عليه من محاربه الله ورسوله ومهديه ومحاربتنا واثاره الفتنة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفتنة نائسة لعن الله من أيقظها ، فسحس زور وافترء على الله وفجور فان من كان متصفا بخلافة عثمان رضي الله عنه على الحقيقة لا يكون بهذه المثابة بل يكون مقتنيا لأثره وسالكا لمنهجة» (٣١) .

هذا وان أبو جسيمة ماكر في دعائه لخلائه عثمان أراد أن يكسب ود المتسردين على حكم الخليفة عبدالله في دارفور ، وأوضح لهم بأنه لم يكن خارجا على المهدي وانما كان يريد تدعيم المهدي له لمطالبته بكرسي عثمان ولم تنطل هذه الحيلة على الانتصار كما ان عثمان آدم أشرف على عمليات محاربة أبي جسيمة وأرسل اليه سرايا بقيادة مشاهير القادة فسي عماله الغروب ، وكانت الحرب بينهم سجالا (٣٢) .

وقد أوتق أبو جسيمة ، هزيمة كراء على الانتصار ، أثناء تحركه من

(٣٠) مهديّة ١٢/١ ، مجلد ٤ ص ٣١ ، رسالة من عثمان آدم الى الخليفة

عبدالله بتاريخ ٢٩ محرم ٣٦ هـ ١٣٠٦ هـ وانظر أيضا : موسى

المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ١٤٧

(٣١) نعوم سفير ، جغرافة وماريخ السودان ، ص ١٠٥٣-١٠٥٨

(٣٢) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ١٤٧-١٦١

دار تامة في محرم ١٣٠٦ هـ / ديسمبر ١٨٨٨ م . وتقهقر الانصار الى
كبيكاييه وأمدهم عثمان آدم بفرق جديدة بقيادة محمد بشارة . وقدرت
قوة الانصار في كبيكاييه بما يربو على السبعة وعشرين ألف مقاتل . وعاد
جيش محمد بشارة منهزما فأرسل عثمان آدم جيشا آخر فانهزم كالاول .
واضطرب الخليفة لهذه الانباء فأرسل جيشا لتدعيم قوة عثمان آدم .
وتقدم أبو جسيمة بجيوشه الجزاره قاصدا الفاشر ، ولحسن حظ الخليفة
عبدالله بن أساب أبو جسيمة مرض الجدري فمات في الطريق . وخلفه
أخوه ساعة في قيادة الجيش ، والذي واصل السير حتى وصل محلا يدعى
مجدوب ، على مسيرة أربع ساعات جنوبي الفاشر فبرز عثمان آدم الى
لقاءه . في أرض مكنسوفة بظاهر الفاشر . وفي يوم الجمعة ٢٢ فبراير
١٨٨٩ م زحف عليه ساعة بجيوش كثيفة ، والتقى الجيشان في معركة
حامية أسفرت عن هزيمة جيش ساعة وقتله ، فجزّ عثمان رأسه ورأس
وكيل ابن سائان سلا وأرسلها الى الخليفة حيث علقتا في سوق ام درمان .
لما أبو الخيرات فاقد فر بن بقي من اتباعه الى المخبأ التقابدي بجبل
مرة فبقي فيه الى أن ثار عليه عبيده في أوائل سنة ١٨٩١ م فقتلوه وذهبوا
الى الفاشر مسلمين .

وبعد نهاية ساعة خرج عثمان آدم في طريقه الى عاصته وادي في
جيس ينوف على الستة وثلاثين ألف رجل أكثرهم مسلحون بالبنادق
وسار حتى أتى أم دخن من بلاد المساليت ، وفي هذه المنطقة تفشى في جيشه
مرض « ابودم » وقتك بجيشه فمكا ذريعا فاضطر الى الرجوع الى
الفاشر وما زال المرض يفتك بالجيش حتى هلك نحو ثلثيه وامسألت
الطرق بالجدث وأصيب عثمان آدم نفسه بالمرض في الطريق فحساوه على
عنقريب الى الفاشر ومات بعد وصوله بقليل .

وخلاصة القول أن حركة أبي جسيمة ، وادعاءه لخلافة عثمان أدت

الى اضطراب في المنطقة الغربية ، ايدها الفور بقيادة أبو الخيرات ابراهيم
وبنو هلبة بزعامة ابراهيم الوالي والزغاوة بمختلف أقسامهم ، وعاد
الزيقات والهباتية الذين نشتت شملهم غزوات البشاري ريذة الى ديارهم
واقاموا فيها . ولعله من الواضح ان صفة الدين عند ابي جسيمة وفرت
لمناومة أهل دارفور قيادة تبعها القوم على اختلاف مشاربهم وتباين
اعراضهم السياسية .

حقيقة أخرى عن هبة أبي جسيمة ، هي ان سلطان المهدي في دارفور
كاد ينهار من جراء الضربات التي أنزلتها جيوشه الجرارة بالانصار
واضطر عثمان آدم الى سحب عماله من شكا ودارة وكبكاية وكنم، فلم
يعد له نفوذ خارج الفاشر نفسها (٣٢) .

استطاع عثمان آدم استرداد مواقعه السياسية والعسكرية ، الا ان
التسارذ التي لحقت بجيوش الانصار لسبب الحرب ولسبب الوباء ،
الذي ام يسلم منه عثمان آدم نفسه وخسر الخليفة قائدا لم يخيب ظنه في
اختياره عاملا على عرب السودان .

ان التأييد الذي لقيه أبو جسيمة من جموع قبائل دارفور يعطي
فكرة عامة عن أثر الشعوذة والسحر والايان المطلق بالغيبات في حياة
المسلمين بالسودان الغربي الكبير ، وكانت دارفور متصلة بالسلطنات
الاسلامية الممتدة على طول نطاق السافانا ، بين الصحراء الكبرى ومصر
في الشمال وبين الغابات الاستوائية في الجنوب . ويلاحظ ان انصار
المهدي من قبائل هذه المنطقة والذين ساروا مع رايات جيوش المهدي الى
السودان الشرقي أيدوا حركة نبوءة عيسى والتي قام بادعائها رجل من
قبيلة البرقو .

(٣٣) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ١٤٩ وما
يليها .

ومن الناحية السياسية يلاحظ ان الخليفة عبدالله لم يستفد من تجربة اخلاء دارفور من قيادة قوية ، أدت الى نجاح حركة أبي جميزة ، فلقد تكررت مرة أخرى عندما استدعى الخليفة عبدالله عامله على الغروب محمود ود أحمد والذي خلف عثمان آدم في عمالة الغروب ، استدعاه الخليفة للاشتراك في عملية صد الجيش الفاتح مما سهل لعلي دينار العودة الى الفاشر واستعادة سلطنة الفور بعد أن فر من معركة أم درمان ، ولو اهتم الخليفة بوضع قيادة قوية في الفاشر لكان في مقدورها مواصلة الوقوف ضد ادارة الحكم التناهي ، وربما كانت منطقة الفاشر منطقة صالحة لتقهر جيوش المهديية بعد الهزائم المتلاحقة والتي امتدت من تونسكي الى ام درمان .

نم تكن ادعاءات خلافة كرسي عثمان هي السوق الديني الوحيد للخروج على حكم الخليفة عبدالله ، وانما ظهرت ادعاءات اخرى أكثر خطورة وأعني بها ادعاء نبوة عيسى وهي في جوهرها أشبه بدعوة المهديية نفسها .

ادعاء نبوة عيسى

ادعى بعض المعارضين لحكم الخليفة عبدالله نبوة عيسى ليجدوا لانفسهم مساقا دينيا يخرجون به عن طاعته وينهون بهتته في الارض بسبب الاعتقاد بأن رجعة عيسى تكون بعد ظهور المهدي المنتظر، وأغلب هؤلاء الدعاة من قبائل الفلاتة * وقد ترك نجاح حركة المهديّة المجال مفتوحا أمام المدعين أو من يتصورون أنفسهم أو الموهومون لكي يعلنوا أنفسهم عيسى الموعود بالعودة * وقد أرقّت هذه الحركات بال الخليفة عبدالله بل خلقت المتاعب للحكم الثنائي في أيامه الاولى (٣٤) *

وفكرة رجعة المسيح بعد ظهور الدجال معروفة في العالم الاسلامي بمعنى المنقذ أو المخلص * ومن المحتمل جدا ان النبوة برجعة عيسى بن مريم قد شاعت وانتشرت في نفس الوقت الذي انتشرت فيه فكرة التنبؤ بظهور الدجال ولو ان هذا لم يرد في السنة النبوية * ولو جاز لنا أن نعتد على القصص والملاحم التاريخية في التدليل على صحة هذه النظرية لاسطفا: أن نحكم بأن نفوس المسلمين في الصدر الاول للاسلام كانت أقل اعتقادا برجعة المسيح منها بظهور الدجال (٣٥) *

(٣٤) دكتور محمد ابراهيم بو سليم ، منشورات المهديّة المقدمة *
(٣٥) فان فلونت ، السيادة العربية والتسوية والاسرائليات في عهد بنى امية ، ترجمه الدكتور حسن ابراهيم حسن وأحمد ركي ابراهيم ، ص ٩١٦ وما يليها *

ولئن صح هذا الاستنتاج فإنه يرجع الى العقلية العربية التي استطاعت ان تصف من كان يطلق عليهم اسم المسيح صفة المسيح المخالف وسما اليهم «ا بفوم به المسيح نفسه من أعمال» .

وعلى مر العهود ، وبالأخص تلك العهود التي شغل فيها عصا الحكم ويسود الظلم أو يظل فيها شبح المبعثات والابوت كانت النفوس والعيون تتطلع الى الخلاص وتلوح بالمنظر . فقد انتظر اتباع بني امية السفيناني المخاض كما تنبأه اليرانيون بالخطابي المنتظر والمصريون بالسيسي المنتظر . أما المسيح المخلص عند الشيعة فهو المهدي المنتظر (٣٦) .

أما بني السودان فإن نجاح حركة المهديّة ووفاء المهدي بعهده بعض الدعاة يبشرون بدعوتهم والتجاؤا الى نفس الاستلّوب . بسعنى ان الرسالة وسامهم من الله سبحانه وانهم مؤيدون بعلم الباطن . ظهر مدعي العبسوية في القلابات في عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م . وظهر مدعي آخر بمرج السودان في عام ١٣١٢ هـ بجبال الحراز بكردفان .

أما حركة عيسى القلابات فتسكن حنطورها في ان صاحبها ظهر من بين المحاربين في الجيش المرابط بالقلابات وأسرّ بدعوته الى عدد من رؤساء الرايات وصدق به عشر من الامراء وخسنة من العامة وقد حفظوا الامر سرا ليعرضوه على يونس الدكيم عند سنوح الفرصة حتى اذا لم يسام به قتلوه .

وكان يونس قد تسلم عمالة القلابات بعد مقتل عاملها التكروري، محمد ولد ارباب والذي حكم القلابات لمدة سنتين بعد جلاء العاهلية المحترية منها بقيادة سعد رفعت . وهذا ما يدل على أهمية التقارير فسي

(٣٦) المصدر السابق ، ص ١١٨

هذه المنطقة وانتهى حكم محمد ود اربابه ببداية الحروب مع الحبشة والتي فادها الرأس عدار وأصاب الخليفة عبدالله الفلق من جراء الهزائم التي تعرض لها الانتصار هناك فأرسل قوات استكشافية بقيادة يونس الدكيم . وعندما استعاد يونس احتلال القلابات اتبع سياسة استفزازية اذ كلف عربي دفع الله للقيام بحملات ضد الاحباش وكان الخليفة عبدالله قد أرسل انى حيدان ابي عنجة للحضور الى أم درمان وأسند اليه عمالة القلابات وكان الخليفة لا يثق في قدرة يونس للقيام بحروب ضد الاحباش وكان يخشى أن يحدث النزاع والمنافسة بين القائدين ، فأصدر اليهما تعليمات مشددة بالتعاون مع بعضهما البعض ، وفي النهاية ذكر الخليفة بونسوح ان على يونس الدكيم أن يأتسر بأوامر أبي عنجة .

واقدم كفى مجيء حيدان ابي عنجة الى القلابات ، شر المؤامرة التي كانت ستؤدي الى فتنة كبيرة بين صفوف جيش يونس . وهناك اتهام بأن يونس كان يعلم بالمؤامرة أو انه على الاقل لم يستطع السيطرة عليها (٢٧) .

اطلع أبو عنجة على سر هذه المؤامرة بعد يومين من وصوله فقبض على صاحب الدعوة واستنطقه فأجاب بأنه النبي عيسى وأجاب الامراء التابعين له انه على حق فزج بهم أبو عنجة في السجن وأرسل هو ويونس خطابا للخليفة ينبأه بخبر هذه الحركة واليك نص الخطاب :

« ... ادعى آدم ولد محمد البرقاوي من راية الحاج عبدالله

(٢٧) ب. م. هولت ، دولة المهدي في السودان ، ترجمه هنري رياض وآخرون .

البرقاوي بأنه نبي الله عيسى بن مريم وقد قام بهذه الدعوة من أمد بعيد غير أنه لم يظهرها الا لبعض خواصه الذين يثق بهم سرا وأكد عليهم اعيان السرية الا عن يأتونونه وبذلك أضل كثيرين من أعيان السرية الذين اقروه على امره وحالفوه على كتاب الله تعالى وصل الينا خبره من بعض الاصدقاء وذلك يوم الاربعاء في ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٠٥ هـ فبعثنا في طلبه وقبل حضوره ، حضر بعض انصاره عبدالله البرقاوي ومحمد عمر المشهور بأبي القرشي ومهاجر اساعيل ، وعيسى احمد والطيب محمد بن البديري ومحمد احمد ابو ام فضالي الحصري . فسألناهم عن الامر فاقروا لدى المجلس المؤلف من جماعة من المسلمين وفيهم نواب الشرع الثلاثة وهم ادم ضو البيت وحامد بلوله وآدم علي وجميع العمال والنقباء وغيرهم تم حضر هو بذاته في المجلس فقلنا له ايها الاخ لقد بلغنا بأنك زعت انك نبي الله عيسى وروح الله فهل ما نسب اليك صحيح أم هي اشاعة كاذبة لا أصل لها ؟ فأجاب ايها الاخوان ان ما قد بلغكم حقيقي هو أنا نبي الله عيسى فأن لم تصدقوا بي الآن فلا تصديق لكم بعد هذا ثم قلنا له وما دليلك على ثبوت دعواك فأجابنا بأن الحق عز وجل اخبرني بأنني نبي الله عيسى وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فقلنا له أن كان ولا بد من ذلك فأعلمنا في أي زمن وبأي وقت اجتمعت بخليفة المهدي عليه السلام وفي أي محل صليت خلفه فأن عندنا منه رضى الله عنه اشارات تفهمك بها فأن انبأنا بشيء منها فورب المهدي عليه السلام وهذا الكتاب الشريف لنصدقك فيما ادعيت . فأجابنا بقوله يا هؤلاء انكم تلونون الكلام وأني عيسى ومالي بغير هذا لكم من جواب فأفعلوا ما اتم فاعلين او خاطبوا في امري خليفة المهدي عليه . السلام ليعلمكم بحقيقتي فأنكم اتم لا تعلمون . ووافقنا على ذلك وزيره ابو القرشي وغيرهم من تقدم ذكرهم وكذلك الطائف احمد وهنون النيل الهبائي ومحمد حسين بقاري ومحمد علي البرقاوي وعبدالله جاموش وعثمان

أحمد المقسوس وجميع هؤلاء أمراء رايات حينئذ أخذتنا عليهم غيرة الاسلام وامرنا بسجنهم جميعا ثم احضرناهم ثانية واعدنا لهم السؤال عليهم يرجعون عما هم فيه ، فما ازدادوا الا تصيحجا واصرارا عليه : فسالنا المتنبى عن أبيه وامه ومولده ومنشأه ، فقال اني من البشر مثلكم وانبي نبي الله عيسى بلا ريب ولكن ليس هذا اواني وليس لكم معي الآن من قول لاني للآن ما انذرتكم وعما قريب ترون صدق ذلك . ولشدت اعتقاد جماعته فيه وتصديقهم اياه كانوا لا ينكلمون في المجلس الا عن اذن منه فلو سألناهم صدوا عن الاجابة حتى يأذن لهم فاستأذنه احدهم مهاجر اساعيل في الكلام فأذن له فقال ان دعوى هذا الرجل صحيحه وأنه قبل هذا اخبرنا بأن هذا ليس اوانه . ثم سألنا المدعي عن شأنه في المهديّة فقال نحن واتم الآن فيها سواء تحت اشارة خليفة المهدي عليه السلام وتابموا اليه فعايكم الايسان واعلامه بظهوري ستاتيكم الحبشة على جردتين فتتقوت الاولى ويأتيكم الدجال في الثانية وهناك ترون العجب من امري وبحم لكم ظهوري فقلنا له ما شأنك مع خليفة المهدي عليه السلام فقال ان الخليفة عبدالله والخليفة علي عارفاً بأمري واما الخليفة شريف فلا علم له بي واني الآن تحت اشارة خليفة المهدي عليه السلام الى الوعد المعلوم ثم ان مهاجرا المذكور اجاب ثانيا بقوله للمجلس يا ايها الاخوان ان الانبياء والمرسلين والمهدي عليه الصلاة والسلام المؤيدين من الله بالملائكة والاولياء والجن والانس فأول تأييدهم لهم هل هو ظاهري ام باطني فأجبتاه بانه باطني فأجابنا هل لكم من علم في الباطن فقلنا له لا فقل هذا تأييده لعبده وقد طال الكلام وكثر المقال على هذا المنوال فأعدناه الى السجن فقال بعضهم عند القيام الى السجن لا اله الا الله محمد رسول الله ان هذا هو عيسى حقا لا غيره ولا نشارك شيئا . . ان ارباب هذه الدعوى امراء رايات ومن الضروري ان تكون عقيدة اتباعهم مثل عقيدتهم وربما اذا داموا على ذلك او امهلوا ودام لهم هذا المدعي ان

يوقدوا نار الفتنة على قلبه ويحصل الفشل في الدين فقد ثقلناهم الآن بالحديد وتجاسرنا برفع هذا لتصدر الاشارة الكبيرة بشأنهم اما صاحب الدعوى فإنه مولود في برقو واهه فاطمة بنت خديجة وعمره ٢٥ سنة وهو امرد لا لحية له ولونه اخضر الى اسفر اعجبي اللسان مفلج الاسنان السفلى مفتوح الوجه مربع القامة متوسط الجثة واسع الجبهة عظيم الرأس (٣٨) •

ارسل الخليفة عبدالله اربعة من الامناء وهم محمد المكي ابو حراز وحسين جزو ويسن ابراهيم وابراهيم الحاج ومعهم خطاب الى حمدان ابي عنجه لقتل المدعي وخيره في امر رؤساء الرايات بين قتلهم او الاكتفاء بسجنهم (٣٩) •

نصب أبو عنجه المشنقة في السوق وصلبهم الواحد تلو الآخر وبعد الانتهاء من صلبهم بنحو ثلاث ساعات وصله خطاب من الخليفة عبدالله يأمره بقتل المدعي ووزيره ابي القرشي فقط وارسل اليه منشورا ليتلى على الانصار وأن الامراء ورؤساء الرايات بما انهم من السابقين في المهديّة تمنى لهم الفرصة للتوبة (٤٠) ورد عليه حمدان ابي عنجه بأن قضاء الله قد نفذ فيهم ولم تجد فيهم مذكرات ونصائح الامناء والدعوى ثابتة عليهم امام القاضي عثمان بلنا والياس علي كنون وعبد الباقي وغيرهم من الثقة وتم تجديد التوبة والطبيعة من اتباع رايات الامراء المتولين وعين بدلا منهم امراء جدد وطلب الخليفة عبدالله من حمدان ابي عنجه اجراء تنقلات بين الاتباع وأن لا تترك راية على حالها السابق (٤١) •

- (٣٨) نعوم شعير ، جغرافية وتاريخ السودان ، الصفحات ١٠٦٤-١٠٦٨
(٣٩) نعوم شعير ، جغرافية وتاريخ السودان ، الصفحات ١٠٦٤-١٠٦٨
(٤٠) مهديّة ٢٦/١ ص ٥٣ رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجه بتاريخ ٥ ربيع آخر ١٣٠٥ هـ / ٢٠ ديسمبر ١٨٨٧ م
(٤١) مهديّة ٢٦/١ مجلد ٣ ص ٥٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجه بتاريخ ١٢ ربيع آخر ١٣٠٥ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٨٨٧ م

وأرسل الخليفة عبدالله منشورا الى كبار الامراء والعمال لقراءته على الاصحاب ، موضحا فيه دعوة نبي الله عيسى والاجراءات التي اتخذت لاختامها كما ارسل منشورا آخر ا ذكر فيه الحضرة النبي شاهد فيها عذابهم في نار جهنم بقوله « . . فلما رأيتهم في تلك الحال وعلمت بأنه لا يقفز لهم نركت السؤال لهم بالمقبرة ومن شدة ما رأيت عليهم من العذاب داخطني خشية عن نفسي وتعوذت بالله من حالهم وأتتهى الامر والعلم لله . »

اما الدعوة الثانية فقد ظهرت بجهة جبل الحرازة بكردغان ووصف المدعي بأنه (اصفر الذات كبير الجهامة ، طويل القامة كثيف اللحية ابيض السنون ، واسع الجبهة مدرم الفاخورة أسود الشعر . وصلت الى كل من ابشر الذكرى والملك التوم محمد التوم رسالة تبليغ من المدعي نبؤه عيسى . ذهب المذكوران الى جبل الحرازة والقيما عليه القبض ووضعاه في الشعب ووجدت معه خمس رسائل للقبائل وثلاث رسائل موجهة الى خليفة المهدي وست رسائل الى كافة المؤمنين وتنفل فيما يلي الرسالة التي وجهها الى خليفة المهدي لاعطاء فكرة عن الدعوة وطريقة كتابته في الرسائل على اسلوب المهدي « وبعد فمن عبد ربه المسيح عيسى بن مريم رسول الله عليه السلام الى حضرة الحبيب في الله ورسوله الصادق الصفي الوفي خليفة الصديق حفظه الله من كل بلاء وضيق امين ثم امين بعد اهدي مزيد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فتعلمكم ايها الحبيب ولا يخفاكم حقيقة ظهورنا ومحلّه وتبليغ الرسالة هنا اليكم والى كافة عباده المؤمنين انصار الدين واصحاب المهدي عليه السلام اجمعين المقيمين معكم بباطن البقعة المنرفة ، والمارين بتلك الجهات في المرابط محل رصد الكافرين اعداء الدين المخذولين نصرهم الله عليهم امين هم الذين تحت طلب اشارتكم الكريمة منها هي واصلة اليكم فأمنوا بها واقبلوها واستبشروا بها بالسمع والطاعة والامتثال والانقياد لامر الله تعالى

وتكرارا بظهورنا ومحلته وبأشترت الوردات لنا من الله تعالى اليهم بأقامة الدين واحياء سنته سيد المرسلين وصلى الله عليه وسلم وسكة المهدي عليه السلام القوية ايها الحبيب فأندرهم باتباع المأمورات وحذرهم عن ترك المنهيات شرعا وليقفوا على الصراط المستقيم في اقامة الدين وليقفوا على اخذ الحقوق الالهية الواجبة لهم من الله تعالى والحدود المحددة كما قال تعالى "أنت حدود الله ومن يتعدى حدود الله تعالى والحدود المحددة . لما قال تعالى فقد ظلم نفسه الا التحذير وليقفوا للجهد في سبيل الله سفوف سفوف كأنهم بنيان مرصوص الآية ايها الحبيب فأندرهم وبشرهم وحذرهم وحرصهم على القتل الآية وليقفوا ولا يخطو (ولا يخطوا) ولا يتفردوا بالاباحة السابقة لهم بأخذ اموال عباد الله المؤمنين ظلما وجورا كونها كانت لهم كرما لخليفه المهدي عليه السلام لهم بها ومن بعد الآن فصاعدا فليكونوا انصار الله حقا وصدقا قولاً وفعلاً كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله الآية وليقنط أثر الاصحاب على الحقيقة كما أخبر المهدي عليه السلام في الحديث واخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قال لي نعم أنت ومن يتبعك في قولك وفعلك وحقيقة صحبتك المهدي عليه السلام قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً وفي الحديث كما أخبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن اصحاب المهدي عليه السلام كأصحابه وحقيقتهم عندنا هم اصحابه المبشرين ينصره الدين وجهاد الكفرة والمشركين اعداء الدين نصرهم الله عليهم امين أيها الحبيب ها قد اندرتكم وحذرتكم بما جاءكم به رسول الله عليه السلام بأقامة الدين الواجب عليكم طوعاً والمقصورة نوعاً وما على الرسول الا البلاغ المبين والله على ما أقول وكيل حبيب هذا ما عرفناكم به باركه الله فيكم والسلام .

وصاحب هذه الدعوة يعتقد بأن دعوته هذه امتداد للمهدية لاقامة الدين واحياء السنة وسكة المهدي ويمنع الانصار من اخذ اموال الناس بغير حق ويعتقد أن اخذهم لها قبل ظهوره كان مكرمة لخليفة المهدي .

يلاحظ ان دعاة خلافة عثمان ونبوءة عيسى يتمون الى غرب السودان
والسودان الغربي مما يدل على أن فكرة ظهور المهدي وما يتبع ذلك من
ظهور الدجال ورجعة عيسى كانت شائعة في تلك المناطق على مستوى عام
اما في المناطق النيلية في السودان فقد كانت الفكرة موجودة لدى الخاصة
من زعماء الطرق الصوفية ولكن لم يعتقد أي منهم بأنه قد وصل الى
درجة المهدي المنتظر وربما يعود ذلك الى أن الوعي الديني والمستوى
الثقافي كان على مستوى ارفع من مناطق السودان الغربي وزعا يفسر ذلك
اسباب نجاح حركة المهديّة في جنوب كردفان وغرب السودان وهذا مما
جعل المهدي يختار تلك البقعة منطلقا لحركته *

الفصل الثامن

معارضة الأشراف وأولاد البلد

الأشراف

عزل الأشراف من العمالات

محمود عبد القادر

محمد خالد زقل

محمد عبد الكريم

محمد الخبير عبدالله خوجلي

فتنه الأشراف

سياسة الخليفة عبدالله نحو الأشراف

الاشراف

احق المهدي اخوته الذين سبقوه الى جزيرة ابا والذين كانوا ينتقلون من جهة الى اخرى بحثا عن الاخشاب واستقر بهم المقام في جزيرة ابا في عام (١٢٨٦ هـ / ١٨٧١ م) وبني في الجزيرة جامعا (١) للصلاة وخلوة لتدريس واجتمع عليه سكان الجزيرة من قبائل دغيم وكنانة (٢) .

وعندما جاهر المهدي بدعوته اسرع عدد كبير من اقاربه الاشراف لمبايعته وخاضوا معارك المهديّة الاولى وكانوا بجانبه في واقعة ابا وقد برز منهم محمد وحامد وعبدالله وهم اخوة المهدي وبرز أيضا احمد شرفي، الذي يكنى بجده الاشراف ومحمد عبد الكريم ومحمد شيخ ادريس وساتي علي ومحمد شرف بن السيد حامد وهو الذي حاز خليفة الكرار فيما بعد ، وانضم اليهم ابناء المناطق النيلية الذين كانوا يقطنون في منطقة النيل الابيض وقد برز منهم عبد الرحمن النجومي ومحمد عثمان ابي قرجة وعبد الحليم مساعد ، وقتل اخوة المهدي في الوقائع الاولى ، قتل حامد في موقعة قدير الثانية (٣) وقتل محمد وعبدالله في واقعة الجمعة (٤)

(١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديّة ، ص ١٤

(٢) رموم شقر ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٣٩

(٣) اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي ، تحقيق الدكتور ابو سليم ، ص ١٧٦

(٤) المصدر السابق ، ص ٢١١

ويعد مقتل هؤلاء الاخوة من أولى وأفدح الخسائر التي مني بها الاشراف، اذ فقدوا بهم سندا قويا وعمدا لا يستطيع المرء ان يتكهن بنتائجه لو ظل هؤلاء الاخوة على قيد الحياة الى ما بعد سقوط الخرطوم ووفاة المهدي، ونشوب الصراع بين الاشراف والخليفة عبدالله .

ومهما يكن من امر فإن الاشراف شكلوا بطانة مميزة في حركة المهدي ونظرا لعلاقتهم بالمهدي ووضعهم الاجتماعي ، فأنهم كانوا يتطلعون الى الامتيازات والهيمنة على المراكز الهامة في الدولة، وقد سبق أن أشرنا الى قصة الصراع بين الخليفة عبدالله والاشراف وكيف ادى ذلك الى ابتداء او ادخال نظام الخلافة في حركة المهدي لتحديد السلطات وتنظيم العمل .

استند الاشراف على صلة قرابة الرحم بالمهدي بينما استند الخليفة عبدالله على صلة القرابة الروحية بالمهدي وكان اقرب الى قلبه منهم ويظهر ذلك جليا في المرتبة الدينية التي اوضحها المهدي في منشوره عن مكانة الخليفة عبدالله (٥) كما ان جهده الحربي في الحركة أهله لان يكون أمير جيش المهدي هذه المكانة السامية جعلت الخليفة عبدالله في المرتبة التالية لمرتبة المهدي والذي فرض له مطلق الحرية في الادارة ومع ذلك كان الخليفة عبدالله حريصا جدا في تصرفاته واخذ يدعم موقفه بكل حذر ودقة . عمل في بداية الامر على التركيز بصفة خاصة في تقوية الراية الزرقاء . وكان لا بد من ان توغر هذه المرتبة الممتازة التي احتلها الخليفة عبدالله صدور الاشراف فبدأوا بدورهم يعملون في نهم على الاستزادة في الحصول على أكبر قدر من الوظائف والعطاءات من بيت المال مما حرج صدر المهدي عليهم وكان احمد سليمان امين بيت المال من قبيلة المحس ، أي من اهل النيل - وكان يتعاطف مع الاشراف على حساب القبائل الاخرى .

(٥) انظر البحث ، ص ١٦١ وما يليها .

أن الصراع بين الخليفة عبدالله والاشراف أدى الى نوع من الانقسام في حركة المهديّة ، التي كانت تهدف الى توحيد المسلمين وتجمعهم تحت راية المهديّة واذابة كل العوائق التي تدعو الى الانقسام مثل المذاهب والطرق والنعرات القبلية ، هذا من الناحية النظرية الدينية والتي لم يكن من المستطاع تطبيقها وفق الظروف التي قامت فيها حركة المهديّة من ناحية تكوين قيادة الحركة وتطورها بواسطة الجماعات المتفرقة التي قامت على اكتافها الحركة . أولى هذه الجماعات بعض مشائخ الطرق الصوفية الذين كانوا يسعون الى احداث اصلاح للعقيدة والاخلاق وقد كون المهدي وأتباعه الاصليين نواة هذه المجموعة ويأتي بعد المهدي علي بن حاو ومحمد المكي اساعيل .

ومد استطاع الخليفة عبدالله كسب ثقة هذه الجماعة التي وقفت الى جانبه في كل الازمات التي نشبت بينه وبين الاشراف ، اما المجموعة الثانية فتتكون من جماهير رجال القبائل واشهرهم اعراب البقارة فسي الغرب وكانت المهديّة بالنسبة لهم هي نهاية الضرائب والغزوات المستعنة وامتلاك الغنائم (٦) . وتعرف هذه المجموعة بأولاد العرب وهم الذين اعتمد عليهم الخليفة عبدالله في تقوية مركزه واهتم بأمرهم كما اهتم بأمر الجهادية الذين كانوا مدربين على نظام الاسلحة بواسطة الادارة التركية المصرية .

اما المجموعة الثالثة فكانت تتكون من رجال الطبقة الوسطى واغلبهم من الدناقلة والجعليين والذين تضرروا من الحكومة السابقة بسبب محاولة القضاء على تجارة الرقيق الامر الذي هددهم في ارزاقهم والافراد الآخرون الذين لم يشتهروا بالصلاح ولم تكن لديهم ظلمات عضدوا

Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 118,

(٦)

اشورة لانهم كانوا من اقارب المهدي امثال محمد خالد وعرفت هذه المجموعة بأولاد البلد ، التعبير الذي يحمل اصلا معنى الذين يسكنون على ضفاف النيل (٧) ولما كانت هذه المجموعة تعتبر مستثيرة بالمقارنة مع مجموعة اولاد العرب فانهم كانوا على معرفة ودراية بالاعمال الادارية وبعضهم تقادا وظائف ادارية وقضائية في الادارة التركية المصرية وشغلوا وظائف الكتابة والمحاسبة في الدواوين الحكومية ومارسوا مهنة التجارة هذه المميزات جعلت المهدي يسند اليهم امر العمالات والوظائف الادارية الاخرى .

عين ابن عمه محمود عبد القادر عاملا على قدير وجبال التوبة واطاف اليه عمالة كردفان بعد سقوط الابيض (٨) وكان محمد خالد زقل من ابناء عومة المهدي موظفا بالادارة التركية المصرية ولكنه بايع المهدي في الابيض فأرجعه هذا الى دارفور عاملا فيها وأسندت عمالة بحر الغزال لكرم الله كركساوي . وعين محمود ود الحاج عاملا على دنقلا ومحمسد الخبير عبدالله خوجلي عاملا على بربر كما عين محمد عثمان ابي قرجة عاملا على الجزيرة ويسمىها البحرين . اشارة الى النيلين الازرق والابيض وكان امر الجزيرة بيد محمد الطيب البصير الذي الزمه المهدي طاعة قرجة اسوة بخالد بن الوليد حين رفعه عمر بن الخطاب عن القيادة (٩) وعين محمد عبد الكريم قائدا للجيش المكلف بفتح سنار (١٠) وتكساد

(٧) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 117—118.

(٨) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وناثق المهدي ، ص ١٢٤ ، رسالة من المهدي الى محمد خالد بتاريخ ٤ جماد اول ١٣٠١ هـ / ٣ مارس ١٨٨٤ م .

(٩) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وناثق المهدي ، ص ١٢٢ ، رسالة من المهدي الى محمد الطيب البصير بتاريخ قبل ٤ جماد اول ١٣٠١ هـ / ٣ مارس ١٨٨٤ م .

(١٠) المصدر السابق ص ٢٩٤ ، رسالة من المهدي الى عبد الرحمن النجمي و ابي قرجة وعبد العظيم مساعد وآخرين بتاريخ ١٢ جماد اول ١٣٠٢ هـ / ٨ فبراير ١٨٨١ م .

تكون كل الوظائف الهامة اسندها المهدي الى الاشراف واولاد البلد ما عدا عمالة عثمان دقنة على الشرق وحمدان ابي عنجه على جبال النوبة وقد اسناد الخليفة عبدالله فائدة عظيمة من وجود حمدان بمنطقة الجبال حيسا اخذ الصراع بينه وبين الاشراف صورة المواجهة وسنعالج هذا الموضوع بشيء من التفصيل فيما بعد .

تطورت العلاقة بين الاشراف والخليفة مع تطور الحركة وكان كل فريق يحاول ان يقوي مركزه ان عدم انصياع الاشراف لاوامر الخليفة عبدالله وعدم الاعتراف بسكاته غير مجرى بعض حوادث حركة المهديية ويبدو بأن الخليفة عبدالله كان على اتفاق تام مع المهدي في رسم سياسة الجهاد وتنفيذها على خلاف الخليفة شريف وانصاريته الذين كانوا ينظرون بشيء من الارنياب لنوايا الخليفة عبدالله ويظهر ذلك جليا في عمليات تحريك رايات الاشراف والذي كان يبدو ان الهدف من تحريكها هو اعداد العدة للتوجه نحو مصر . فبعد مضي خمسة أشهر من اقامة محمود عبد القادر في الابيض صدرت له الاوامر بالنقل الى دنقلا ليخلف محمود ود الحاج الذي قتل في معركة كورتى في ٤ / سبتمبر ١٨٨٤م كما تقرر أن ينولى عبد الصمد شرفي وهو من اقارب المهدي عمالة كردفان وفي نفس الوقت عين حمدان ابي عنجه عاملا على جبال النوبة وحدد علاقته مع محمود عبد القادر حتى لا يحدث تداخل بينهما في الاختصاصات^(١١) .

وصدرت الاوامر من كل من المهدي والخليفة عبدالله لمحمد خالد للحاق بالجيش الرئيسي للاشتراك في فتوح الخرطوم ولكنه لم ينصع للاوامر وبعد فتوح الخرطوم حدد الخليفة عبدالله الاوامر لمحمد خالد بالحضور لادراك المهدي قبل التوجه الى جهة اخرى .

Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 93 .

(١١)

لم يكن الاشراف راضين عن الوضع المتسيز للخليفة عبدالله ويبدو بأنهم كانوا لا ينفذون الاوامر التي يصدرها لهم ويلاحظ ان اوامر الخليفة عبدالله للاشراف ، كانت تحتاج دائما الى تأييد من المهدي ويظهر ذلك جليا من الرسائل الموجهة من كل من المهدي والخليفة عبدالله الى قادة الاشراف وتحمل نفس الموضوع وتورد فيا ياي رساله من الخليفة عبدالله الى محمد عبد الكريم توضح الطريقة التي كان يتعامل بها الخليفة عبدالله مع الاشراف .

« وبعد فمن عبد ربه الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى حبيبه في الله محمد عبد الكريم جعله الله من الفائزين بالرضوان والخير العميم امين حبيبي من بعد السلام نعرفكم انه قد صار طلبنا عند خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم وذاكرنا في امر توجيهكم مع الاخوان المعينين لملاقاة الكفرة وتدميرهم بأذن الله وبحسب الاشارة استقر الرأي على توجيهكم ولا بد أنه تأتاكم مكاتبة من المهدي عليه السلام في ذلك وخشيته من حصول توجيهكم بغتة اخبرناكم بهذا لكي تستعدوا وتكونوا على اهبة ما دام انه صار تعيينكم والخير فيما اختاره الله (١٢) .

وكيفما كان الامر فقد ظل كل من محمد خالد ومحمود عبد القادر بعمالته الى تاريخ وفاة المهدي المفاجئة وآلت الخلافة الى الخليفة عبدالله والذي لم يكن مطمئنا لاخلاص الاشراف له وعدم الاعتماد عليهم فسي نشر الدعوة ولكنه لم يتعجل الامور وكانت ضرباته للاشراف تتم دائما كرد فعل لتصرفاتهم الى أن استطاع التخلص منهم وعزلهم من العمالات وعين بدلا منهم اقرباءه التعايشة وأولاد العرب .

(١٢) مهدي ٣١/٢ ، مجلد ٣ ص ٤٦ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد عبد الكريم بتاريخ ١٩ ربيع آخر ١٣٠٢ هـ .

عزل امراء الاشراف من العمالات

ان وفاة المهدي المفاجئة قلبت ميزان القوى بين الفئتين المتصارعتين على السلطة ، كما سبقت الاشارة فان الخليفة عبدالله استطاع ان يتولى الامر بمساعدة جماعة المتدينين ولم يحتاج الى استعمال القوة رغم انه كان يسيطر على الجانب العسكري بصفته أمير جيش المهدي وكانت جميع رايات الراية الزرقاء بأم درمان ما عدا راية حمدان ابي عنجة في جبل النوبة اما رايات الاشراف فكانت منفرقة في الاقاليم ، ويبدو بأن الخليفة شريف وجماعة من الاشراف واولاد البلد كانوا يطمعون في ان يعطيهم الخليفة عبدالله وضعاً مميّزاً في الدولة وان تكون لهم كلمة في ادارة شؤونها الا ان الخليفة عبدالله لم يعطهم تلك المكانة وانما استبد بالامر وطالبهم بالخضوع وتنفيذ اوامره بصفته الموجه الاول لحركة المهديسة ومن أهم اهدافها مواصلة الجهاد ، ويبدو أنه كان من المقرر منذ حياة المهدي توجه رايات الخليفة شريف الى الشمال بغرض الزحف نحو مصر، وربما يفسر لنا ذلك الاسباب التي دعت المهدي الى نقل محمود عبد القادر الى دنقلا وطلب محمد خالد زقل بالحضور لفتح الخرطوم والتوجه الى جهة اخرى بعد ذلك .

ومن الانصاف للخليفة عبدالله نقول بأنه حاول ان ينفذ الخطة التي وضعت في أيام المهدي الا ان الاشراف لم يتعاونوا معه في تنفيذها ورأوا في تصرفاته تخلفاً منهم وبدأوا يعملون على عرقلة مساعيه مما دفعه للعمل على تصفيتهم وعزل قادتهم من العمالات والامارات في خلال عام من توليه السلطة وقد كانت عمليات التصفية متشابهة مع عملية تنفيذ سياسة الجهاد والهجرة اما بالنسبة للاشراف فكانت عمليات تنفيذ الجهاد والهجرة المقصود منها تصفيتهم وعزلهم عن السلطة .

محمود عبد القادر

ظل محمود عبد القادر بالايض الى وفاة المهدي حيث أرسل له الخليفة عبدالله نبأ الوفاة وطلب منه الحضور الى ام درمان للمبايعة وزيارة ضريح المهدي ورد عليه محمود بالمبايعة ولكنه تأخر في السفر وأخيرا لم يجد مناصا من الاستجابة الى طلب الخليفة وسافر الى ام درمان في اغسطس ١٨٨٥ م .

وفي اثناء تغيب محمود تمرد الجهاديين في الايض وجأهروا بالمعصيان وهربوا الى جبال النوبة ويذكر شقير بأن جيش محمود في الايض كان مكونا من ثلاثة آلاف رجل من أولاد العرب وثلاثمائة جندي من السود واعل هؤلاء اسرى من رجال الجيش المصري وكان محمود يرفق بهم فلما غاب أساء العرب اليهم ولم يحسنوا سياستهم فشقوا الطاعة واجتمع عليهم اقرانهم السود وبلغوا نحو الف رجل ، حملوا على العرب وقتلوا منهم جماعة ونهبوا بعض المنازل وهربوا الى جبال النوبة (١٣) .

وقيل أن محمود عبد القادر طلب الاذن من الخليفة عبدالله بالرجوع الى الايض لاحضار عائلته ولكنه كان يشعر في نفسه القضاء على تمرد الجهادية . فعندما وصل الايض جمع قوة وتوجه الى جبال النما وارسل

(١٣) نعوم نسقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١٠٤٢

الى الجهادية الامان فلم يستجيبوا له فدخل معهم في معركة انتهت بمقتله
في ٢٠ ديسمبر ١٨٨٥ م (١٤) .

وبسوت محمود تخاض الخليفة عبدالله من قادة الاشراف الذين لم
يكن راعبا في وجودهم بقرب السودان واسند مهنة تأديب الجهادية
ونالهم الى حمدان ابي عنجه .

يجد بعض المؤرخين العذر للخليفة عبدالله في انه لم يكن يحمل عداء
ضد محمود عبد القادر فقد تم نقله الى دنقلا بأمر من المهدي واصطدم
مع الجهادية بدون مشورة الخليفة عبدالله هذا القول ربما يرى الخليفة
عبدالله من تهمة العسل المباشر في القضاء على محمود عبد القادر ولكنه لا
يسكن ان ينهض دليلا على نفي رغبة الخليفة عبدالله في التخلص من محمود
عبد القادر وغيره من الاشراف واولاد البلد من جهات غرب السودان
ودليلنا على ذلك قيام الخليفة عبدالله بأسندعاء الشخصيات البارزة من
اولاد البلد الى ام درمان واسناد وظائف العمالات الى اقربائه من ابناء
التعايشة بصفة خاصة وابناء البقارة بصفة عامة .

وبسوت محمود عبد القادر فقد الاشراف دعامة من دعائمهم فسي
كردفان كما افترط عقد السلسلة التي كانت تربط الاشراف من دارفور
الى ام درمان . وبادر الخليفة عبدالله بارسال الاوامر الى حمدان ابي
عنجه بالنوجه من جبال النوبة الى الابيض ليمهد الطريق لعثمان آدم
والذي عينه الخليفة عبدالله عاملا على كردفان وهنا تجدر الاشارة الى
ان المهدي كان قد عين قريبه عبد الصمد شرفي عاملا على كردفان ولسم

(١٤) مهدية ١٢/٢ ، رسالة من محمد ولد عبد الماجد والفكي سليمان
انحجار نائب الشرع و ابراهيم رمضان الى الخليفة عبدالله بتاريخ ٢٥
صفر ١٣٠٤ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٨٨٦

يتسلم عبد الصمد عمله في الأبيض وربما يعود ذلك الى تباطؤ محمود في إخلاء الأبيض وتمسكه بعمالته الى وفاة المهدي مما اعطى الخليفة عبدالله الفرصة في ملء وظيفة العمالة بأحد أقربائه التعايشة وإحكام سد الطريق بين دارفور وام درمان ، عين الخليفة عبدالله قريه يونس الدكيم عاملا على منطقة الجزيرة وتوضح سياسة الخليفة عبدالله في تعيين يونس الدكيم عاملا على الجزيرة من الفقرة التالية والتي وردت في رساله الى حمدان ابي عنجه .

« حبيبي يكون بشرف علمك أن ارض الجزيرة هي مركز السودان واعظم اماكنه وقد الهمنا الله تعالى ان نوجه اليها الحبيب يونس الدكيم بأوامر من عندنا لتكون جميعها تحت امره ونهيه والقصد من ذلك أولا اصلاح المسلمين وتقويم الدين وان تكون الجهة مركز للمجاهدين وعند حضوركم لهذا الطرف جميع جيشكم يكون بها لانها واسعة غاية وفي غاية الخصب في العيش وخلافه واما انتم انفسكم فان شاء الله تعالى بعد اجتماعنا في هذه المرة لا يكون لنا مفارقة ثانية ولو قليل لا في الدنيا ولا في الآخرة وقد بلغنا ان الاشراف عازمين على توجه محمد خالد بجيوشه الى الجزيرة بعد حضوره كما رأوه ذلك من الراحة له والكفاية لمن معه وقد الهمنا الى توجيه الحبيب يونس الدكيم فوفا ذلك الالهام والسداد اذ المترائي توجيه يونس مصالح منها المنازعات والتعرضات في الجزيرة وقهر المناققين الذين هم بها ولراحة العربان لان أغلبهم قد انضموا للراية الزرقاء وهم ناس بكثرة وقبائل شتى لا يعلم عددها الا الله (١٥) .

ومن الطريف ان الخليفة عبدالله كان قد فكر في تعيين يونس الدكيم

(١٥) مهدي ١ ، م ٣ ، ٨ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجه بتاريخ ٢٠ جماد أول ١٣٠٣ هـ / ٢٤ فبراير ١٨٨٦ م .

عاملا على كردفان ليستلم من محمود عبد القادر ولكنه عدل عن ذلك خوفا من حدوث النزاع بين يونس ومحمود ، وخشية من عدم كفاية يونس في معالجة امر محمد خالد ، فلذا عدل عن هذه الفكرة وتترك المهمة لحمدان أبي عنجه وعين يونس عاملا على الجزيرة (١٦) . وعين علي منير عاملا على دار الجوامعة وحسب أحمد جمال الدين عاملا على دار الجمع وإسند لهما مهمة اجلاء اولاد البلد عن منطقة الغرب كما اوكل اليهما مهمة مساعدة المهاجرين في طريقهم الى أم درمان (١٧) .

وكان الخليفة عبدالله قبل مقتل محمود عبد القادر قد أعد العدة لاستلام المركز منه ولو استدعى ذلك استعمال القوة ، ويظهر من تصرفاته اذ ارسل الى حمدان أبي عنجه ١٠٤٣ أنصاريًا ومعهم ٣٠٦ بندقية رمتون و ١٢ بندقية ابو روجين وكتب اليه رسالة يفصح فيها عن نواياه ، جاء فيها بعد الديباجة ما يأتي : « نعلم الحبيب حيث انه قد تحرر لكم سابقا ، بتخصيص احد لمركز كردفان لداعي سفر الحبيب محسود عبد القادر لجهات دنقلا فينبغي يا حبيبنا تعيين انسان من طرفكم يكون صاحب همة توصل فيه الراحة والثبات والصمام (التسميم) ويتوجه الى كردفان للحبيب محسود عبد القادر ومحل ما يشير له ينزل ويكون معه في غاية الحماية والمودة والمساعدة حتى يتخلص ويقوم لجهات دنقلا ويسلم اليه المركز ولا يحصل بينه وبين الحبيب محسود اقل كلام وتذكرة بذلك طيب وتؤكد عليه ، وبعد قيام محسود وتوجهه ، حيث ان المركز بيد جماعتكم ان شاء الله تعالى نوجه له من توصل فيه الراحة لان مركز كردفان هو طريق الواردين من الغرب واذا كان فيه احدا من الاشراف او الناسات

(١٦) مهديّة ٢٥/١ ، م ٣ ، ٨٨ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان أبي عنجه بتاريخ ٢٧ محرم ١٣٠٣ هـ / ٥ نوفمبر ١٨٨٠ م .
(١٧) مهديّة ، دفتر صادر ٩ ص ١٠٨ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى علي خير بتاريخ ربيع آخر ١٣٠٤ هـ / يناير ١٨٧٨ م .

تبعهم لا تحصل للهاجرين من الغروب من العربان وغيرهم راحة فلاجسل ذلك اخبرنا ان يكون المركز بيدكم لتسهيل الطريق على العربان والضعفاء من المساكين من العوايق فأسرعوا بتوجيه من يتسلم المركز عاجلا (١٨) .

هذه الوثيقة توضح سياسة الخليفة عبدالله نحو الاشراف ونظرته اليهم فهو يعتبرهم معوقين لعسليات هجرة العربان من الغرب الى ام درمان ولا يؤمل في الاشراف القيام بمساعدة العربان في الهجرة ولا يتوقع منهم تعاطفا مع العربان والسعي على راحتهم ويتبين من هذه الوثيقة ان الخليفة عبدالله كان يسعى الى أن تتم عسليات التسليم بطريقة ودية دون تشاجر او اثاره لمحمود عبد القادر واعوانه ومما يدل على حرص الخليفة عبدالله في عدم اثاره أي مشاكل فانه لم يعلن اسم العامل الذي سيتولى عمالة كردفان وانسا عهد الى حمدان أبي عنجه امر انابة شخص بمعرفته وأن يتولى حمدان مهمة الاشراف على تنفيذ التسليم بالطرق الودية وفي حالة فشل هذه الوسائل يستعمل القوة . وارا ح محمود عبد القادر حمدان ابي عنجه من تنفيذ هذه السياسة اذ تورط في مسألة تسرد الجهادية والتي ادت الى مقتله +

(١٨) مهدية دفتر صادر ٩ ص ٣٩ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجه بتاريخ ١٦ محرم ١٣٠٣ هـ / ٢٨ اكتوبر ١٨٨٥ م .

محمد خالد زقل

ثم يستجيب محمد خالد لاوامر المهدي والخليفة عبدالله بالهجرة من دارفور للحاق بجيش المهدي للاسهام في فتح الخرطوم وظل بالفاشر الى ما بعد سقوط الخرطوم ووفاة المهدي . واستمر الخليفة في طلبه بالحضور بجيشه وأصبحت الاسباب الداعية لحضوره المبايعه وزيارة ضريح المهدي وظل محمد خالد متباطئا في تنفيذ الهجرة وراودت الخليفة عبدالله المخاوف من استئثار الاشراف لمحمد خالد في نزاعه معهم ولذا اعد العدة لتصفية جيش محمد خالد وتقليم اظافره .

كان محمد خالد يقود جيشا مكونا من ألف فارس وثلاثين ألف مشاة وثلاثة آلاف جهادية وفي أول ربيع الثاني ١٣٠٣ هـ / ديسمبر ١٨٨٥م أعلن محمد خالد عن عزمه في التحرك من الفاشر وأرسل الجيش أمامه والذي كان يسير ببطء شديد مسا مكن الخليفة عبدالله من تنفيذ سياسته في تجريد محمد خالد وكان الجيش مكونا من ثلاثة مجموعات،مجندين من قبائل التعايشة والبقارة والمجموعة الثانية من اولاد البلد والمجموعة الثالثة جهادية .

خطط الخليفة عبدالله لعزل الجهادية وقبائل الغرب من جيش محمد خالد . واعطى تعليماته لحمدان ابي عنجه بالطلب من محمد خالد ان يسمح لقواتهما بالانضمام سويا لغزو جبل الداير فاذا حضر محمد خالد

شخصيا يعامل باحترام وان اكتفى بارسال القوات تعامل ايضا معاملة حسنة وفي أي من الحالتين فيجب على ابي عنجه استعمال سلطته التقديرية حسب ظروف الموقف مع الالتزام بالسرية التامة (١٩) .

وبينما كان الخليفة عبدالله يعالج الموقف في دارفور بتأن وروية وبطرق سلمية ومناورات فان الاشراف في أم درمان دفعوه لمعالجة الموقف بالحسم السريع .

جاهر الاشراف بعدائهم وكثرة اجتماعاتهم وانتشرت الشائعات بمؤامرات يديرونها في الخفاء ويقوم فيها جيش زقل بدور رئيس فقرر الخليفة عبدالله بتحطيم معارضة خصومه بتجريد الخليفة محمد شريف من حرسه واسلحته ورايته بحجة توحيد جيش المهدي لمواجهة الانجليز في شمال السودان . وحتى لا يبدو متحيزا في قراره اشار الخليفة عبدالله على الخليفة علي ود حلو بتسليم جهاديته وأسلحته ورايته أسوة بالخليفة محمد شريف فأذعن للامر وتبعه الخليفة محمد شريف ساخطا كارها، وتم التسليم في منتصف مارس ١٨٨٦ م (٢٠) .

وفي ١٢ رجب ١٣٠٣ هـ / ١٦ ابريل ١٨٨٦ م أرسل ابو عنجه رسالة الى الخليفة عبدالله اوضح فيها وصول محمد خالد الى بارة والطريقة التي تم بها استلام الجيش والاسلحة والخيول وأصبح محمد خالد أسيرا وبقي في الابيض الى ما يقارب العام ثم ارسل الى أم درمان .

(١٩) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 120.

(٢٠) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٨٦

كرم الله كركساوي واخوته في بحر الغزال

عين المهدي كرم الله كركساوي عاملا على بحر الغزال بعد واقعة شيكان . وكانت قواته تتكون من ثمانية الف محارب من اولاد العرب وخمس فرق من الجهادية وبالرغم من ان كرم الله لم يشكل خطورة أو تهديدا على سلامة سلطة الخليفة عبدالله ، الا انه لم يسلم من الطلب بالحضور الى أم درمان لتجديد البيعة وزيارة ضريح المهدي وتجدر الملاحظة ان المهدي كان قد ارسل أوامر لمحمد شيخ بالحضور من بحر الغزال وارسل الى محمود عبد القادر ليحثهم على الحضور (٢١) . ويبدو بأن الخليفة عبدالله كان لا يطمئن الى جانب العمال الذين عينهم المهدي من الاشراف واولاد البلد فقد التزم على استبدالهم وسحبهم من مناطقهم غير مهتم بالخلل والمخاطر التي تحدثت نتيجة لهذه السياسة والتي ستوضحها في جانب آخر من هذا الفصل .

وقد استغل الخليفة عبدالله كرم الله كركساوي واخوته محمد شيخ وسليمان في القضاء على عصيان الرزيقات والتمور وطالبه بمواصلة الهجرة الى ام درمان وتبين من رسالة موجهة من الخليفة عبدالله الى كرم الله كركساوي ان الخليفة عبدالله كان يسعى الى كسب كرم الله الى جانبه وحذره من الاتصال بالاشراف وضمه الى الملازمين الراية الزرقاء (٢٢) .

(٢١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١٩٧ . رسالة من المهدي الى محمود عبد القادر بتاريخ ١٧ الحجة ١٣٠١ هـ / ٩ اكتوبر ١٨٨٤ م .
(٢٢) مهدي ١ دفتر صادر ١٠ ص ٩٢ ، رسالة من الخليفة عبدالله لمحمد شيخ كركساوي بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٠٤ هـ .

محمد عبد الكريم

وفي زعماء الاشراف الذين كانوا يتولون موقعا قياديا وسيطرون على منطقة استراتيجية خلف جيش المهدي الرئيسي في أم درمان محمد عبد الكريم ، وهو من ابناء عمومة المهدي ، ولم يكن الخليفة عبدالله راضيا عن المعاملة التي يعامل بها محمد عبد الكريم المحاربين من ابناء قبائل العرب والذين اشتركوا معه في حصار سنار وقد تعرضت سنار لعدد من الحصار والهجمات من قادة المهدي المختلفين الذين توالوا على محاصرتها ورغم سقوط الخرطوم فقد ظلت سنار مستعصية على جيوش الانصار ويبدو ان التركيز على سرعة اسقاط سنار في ايام المهدي كان الغرض منها تجسيع جيوش المهدي من كل المناطق بغرض عمل تعبئة عامة للتوجه الى قنوج مصر وربما يفسر لنا سر اوامر الخليفة عبدالله بتخريب سنار استنادا على قول من المهدي بالتحذير من الاقامة في (سن النار) وبعد وفاة المهدي جددت اسباب اخرى بالاضافة الى ترحيل الجيش المحاصر لسنار للجهاد في مناطق اخرى واعني بالاسباب الجديدة رغبة الخليفة عبدالله في عدم السماح لزعيم من الاشراف في البقاء وراء ظهر قوات المهدي في أم درمان ولثلا يعطل سير المهاجرين الى أم درمان . وبعد سقوط سنار واصل الخليفة عبدالله اصدار الاوامر لمحمد عبد الكريم بتخريب سنار وارسال الممتلكات الموجودة بها الى أم درمان شمل سقوط المنازل وأبوابها وشبايكها وغير ذلك من مواد البناء .

محمد الخير عبدالله خوجلي

ومن اتباع راية الاشراف الذين اسند اليهم المهدي العمالة محمد الخير عبدالله خوجلي وقد تتلمذ المهدي على يده في خلاوي العيش وقيل انه تردد في الهجرة وقد لامه المهدي على ذلك^(٣٣) وبعد حضور غردون وعلان سياسة الاخلاء توجه الى المهدي وقابله بكردقان فتلقاه بالبشر والسرور وسماه عاملا على بربر^(٣٤) وأصحبه كتباً الى رؤوس القبائل يدعوهم فيها الى طاعته والجهاد ضد الترك وقد رجع محمد الخير من عند المهدي فسي ٢٧ ابريل ١٨٨٤ ونزل في وادي بشارة على النيل حيث التقى بالشيخ الهدي الشايقي وبايعه بأسم المهدي وسلمه امرا بالامارة على دنقلة وسارا حتى وصلا المتمة وبايعه الحاج علي ود سعد زعيم الجعليين وكان اخوه قد هاجر الى المهدي في كردقان وسلمه امرا لآخيه علي ود سعيد بالامارة.

واول من رفع راية المهدي في بربر ، احمد حمزه السعدابي هاجر الى المهدي سنة ١٨٨٣ وحضر معه واقعه شيكان ورجع من عنده اميرا على قومه فنصره عرب البطاحين وانضم محمد حمزه لمحمد الخير الذي تقدم بسجموعة نحو الدامر فبايعه الامين احمد المجذوب كبير المجاذيين فسي

(٢٣) الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ص ٣٥ ، رسالة من المهدي الى محمد الخير عبدالله خوجلي مؤرخ ١٢٦٩ هـ / ١٨٨٢ م .
(٢٤) نعم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٩٢ .

الدامر (٢٥) ولم يحرز الشيخ المهدي تقدما لحركة المهديّة في دنقلا وقتل في واقعة الدبة الثانية كما قتل محمود ود الحاج الذي ارسله المهدي السى مصطفى باور للنسليم فدخل معه في معركة حربية وقتل في واقعة كورتسي وكما سبقت الاشارة فان المهدي قرر نقل محمود عبد القادر من كردفان الى دنقلا (٢٦) ولم ينفذ هذا الامر مما جعل محمد الخير مسئولاً عن منطقة دنقلا والذي ما كاد يعلم بخروج الانجليز حتى ارسل مقدمة جيشه بقيادة ابن اخيه عبد الماجد محمد خوجلي *

كان محمد الخير ينتمي اسما لراية الاشراف ولم تكن هنالك اي وسيلة للتنسيق في العمل * توغل محمد الخير في دنقلا وبعد من الصراعات والمناقشات التي كانت تحدث في جيش المهدي الرئيسي المتوجه نحو الخرطوم **

أرسل محمد الخير الى الخليفة عبدالله خطابا في سبتمبر ١٨٨٥ يعلمه بأن الانكليز عندما سمعوا بوفاة المهدي عزموا على غزو السودان (٢٧) * وكانت جيوش المهديّة بدقلا عبارة عن كتائب كانت تحتل الاماكن التي يخليها الجيش المصري وعندما عاد عبد الرحمن النجومي من سنار ارسله الخليفة عبدالله الى بربر ليعد الحملة الى مصر في ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ م حدثت واقعة جنسي والتي هزم فيها الانتصار ولم يكن الغرض منها غزو السودان وانما كانت عملية حربية لتأمين عمليات الانسحاب شمالا وفي ابريل ١٨٨٦م اجليت كل النقاط العسكرية جنوب وادي حلفا *

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٩٧
(٢٦) الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وناثق المهدي ، ص ٢٠٠ ، رسالته من المهدي الى محمد خالد بتاريخ ٢١ الحجة ١٣٠١ هـ / ١٣ اكتوبر ١٨٨١ م
(٢٧) نعوم شعير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١٠٠٢

ويرى بعض المؤرخين ان هذا الانذار الخاطيء تحمل تبعته محمد الخير وائر في العلاقات بين الخليفة عبدالله والاشراف وصار محمد الخير كبش الفداء فقد استدعاه الخليفة عبدالله الى امدرمان وسحب منه القيادة في أوائل ١٨٦٨ م وبينما يربط بعض المؤرخين شخصية محمد الخير بالاحداث في دنقلا فان البعض الآخر يرى ان عزل محمد الخير عن عمالة دنقلا كان لسبب فشله في كسب ثقة الجعليين والدناقلة وعدم تعاونه مع جيش النجومي ويضاف الى ذلك اعتقاد الخليفة عبد الله بأن محمد الخير قد تقدمت به السن ولا يستطيع تحمل اعباء ادارة تلك الاقاليم (٢٨) .

ومن الطريف ان الخليفة عبد الله ارسل خطابا مطولا لمحمد الخير ، يعلنه فيه ببنحية الاشراف عن الامارة ويوضح الاسباب التي ادت الى ذلك (٢٩) ، وقد اعد هذا الخطاب بعناية فائقة ومقدمة ودية لمحمد الخير . فهل يا ترى ان الخليفة عبد الله كان يجس نبض محمد الخير ام كان يود اطمئنانه واستدراجه الى ام درمان فيأني بنفس طيبة ام كان يرمي الى عزله من الاشراف ام كان يريد ان يقيم موقعه (٣٠) .

لم يكن الخليفة عبد الله يطمئن الى الاشراف وشيعتهم ومن ابنساء البلد فلجأ الى عزلهم عن العمالات كما قام بارسال عدد من رايات الاشراف الى الجهة الشمالية والجهة الشرقية وبعد ان تكاملت عملية الهجر ارسل رايات اولاد العرب الى هذه الجهات ليطلع بها الجيوش الموجودة بتلك الجهات، فحدث نوع من عدم التجانس واختلاف بين القادة في مسألة توزيع

(٢٨) محمد سعد داوود ، النزاع بين الخليفة عبدالله والاشراف ، ص ١٣٥
(٢٩) مهدي ، دفتر صادر ٩ ص ٣٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد الخير عبدالله خوجلي ، ١٤ رجب ١٣٠٣ هـ / ١٨ ابريل ١٨٨٥ م . انظر المحقق رقم (١) صفحة ١٩٨
(٣٠) مهدي ، دفتر صادر ٩ ص ٣٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد الخير عبدالله خوجلي بتاريخ ١٤ رجب ١٣٠٣ هـ .

المرتبات والتعيينات ويلاحظ ان أي عامل من الاشراف وأولاد البلد يعزل من العمال يستبدل بآخر من أبناء العرب ويلاحظ ان الخليفة لم يستبدل محمد الخير بعامل من اولاد البلد كما لم يسند لعبد الرحمن النجومي العمالة وقيادة الجيش في دنقلا . وبالإضافة الى ذلك تبع عزل محمد الخير عزل اخوته أيضا من مناصبهم فقد كان اخوه عبد الماجد قائدا للسرايا التي كانت في دنقلا كما كان اخوه احمد وكيلا له ببربر وقام بعمليات تسهيل الجيوش التي تجمعت في ببربر فقد أعد عددا كبيرا من الجمال والاسلحة والذخيرة وعندما وصلت جموع البقارة في أم درمان بدأ الخليفة في ارسال بعضهم للاشتراك مع جيش النجومي وعين عددا من اقاربه كعمال في المدن الواقعة في طريق الجيش المتحرك الى الشمال والغرض من ذلك التأكد من ان جيوش اولاد العرب المهاجرة الى الشمال تلقى رعاية ومعاملة حسنة من عمال يثق فيهم الخليفة ويتوقع منهم العطف على ابناء حلتهم . فقد عين عثمان الدكيم عاملا على بربر ومحمد الزين عثمان عاملا على بوغاز ابو حمد وتبعهم يونس الدكيم عاملا على دنقلا وأقام بديم العرضي .

ولم يكتف الخليفة بعدم دمج العمالة وقيادة الجيش للنجومي وانما سحب منه عملية الاشراف المباشر على المقاتلين من ابناء العرب في جيشه وجعل عليهم مساعد قيديم وكيلا ويبدو ان مساعده لم يفهم دوره جيدا فبدأ يتداخل مع النجومي في منازعات ضاق منها صدر النجومي فاستأذن الخليفة بالحضور الى أم درمان فأذن له وتوجه الى دنقلا في ١١ رجب ١٣٠٥ هـ - ٢٢ مارس ١٨٨٨ (٣١) ، فأثنى ام درمان وبسط شكواه ويبدو انه لم يجد اذنا صاغية من الخليفة عبد الله ولم يجد مناصا غير الرضاء بالواقع وعاد مرة اخرى الى دنقلا لياشر عمله حيث نشبت المنازعات بينه

(٣١) مهدية ١/١ ، ٣/٤٤ ، رسالة من عبد الرحمن النجومي الى الخليفة عبدالله بتاريخ ١٤ رجب ١٣٠٥ هـ / ٢٢ مارس ١٨٨٨ م .

وبين مساعد قيودوم مرذ اخرى وفي هذه المرة ارسل الخليفة عبد الله ثلاثة امناء هم ابراهيم الحاج ومكي ابو حراز والهادي دفع الله (٣٢) فنظروا في الخلاف، بين النجومى ومساعده ورفعوا تقريرهم الى الخليفة عبد الله والذي استدعى مساعد الى امدرمان وعين يونس الدكيم عاملا على دنقلا والحزم النجومى بطاعته (٣٣) .

واما النجومى فقد تقدم بجيشه المرهق والذي عانى من الجوع والعطش بما لا يخطر على بال انسان واصطدم بالجيش المصرى في واقعة توشكى حيث تعرض جيشه للهزيمة ولقي النجومى مصرعه في ٣٠ أغسطس ١٨٨٦ م وانسحبت جيوش الانصار الى صوارده في أرض السكوت وأسندت القيادة الى حمودة ادريس وهو من أبناء البقارة ، وأما أهل النيل فانهم توقعوا استمرار تقدم الجيش المصرى في الزحف نحو السودان وكتب شيوخ السكوت وزعماء المحس والمناصير والجعليين الذين كانوا بالشمال مع الحملة الى السلطات الانجليزية المصرية يعربون فيها عن رغبتهم في التسليم وتقديم المساعدة لاعادة سلطة الخديوى (٣٤) .

وترتب على هزيمة الانصار في توشكى العديد من المضايقات التي تعرض لها الشمال من جيوش الانصار المنهزمة والتي كانت تعاني من نقص شديد في المواد الغذائية والتي لم تجد وسيلة للغذاء الا عن طريق الاعنداء على ممتلكات الاهالي الذين أرسلوا الشكاوى للخليفة والذي قام بدوره باصدار المنشورات المشددة في منع الاعتداء والظلم . وفي هذه الفترة حاول الخليفة ممارسة سياسة التسامح والتراضي مع أهل الشمال

(٣٢) مهديّة ٥٩/١/١ ، رسالة من عبد الرحمن النجومى الى الخليفة عبدالله بتاريخ ٦ محرم ١٣٠٦ هـ .

(٣٣) نجوم شقر ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١١٠٩

(٣٤) Hoit, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 165.

ليكسب ودهم ويخفف من سخطهم وقام بتعيين محمد خالد زقل عاملا على دنقاه وآزره بعلي ود سعد وعثمان محمد عيسى كما قام بتعيين محمد عثمان أبي قرجة في العمالة مع عثمان دنقنة في شرق السودان وغرضه من ذلك ارضاء الاشراف من ناحية وارضاء الهدندونة من ناحية أخرى ، اذ ان الهدندونة تضرروا من حكم عثمان دنقنة الصارم فعهد الى عثمان دنقنة القيام بالاعمال الحربية وأن يقوم محمد عثمان أبي قرجة بالاعمال الادارية ولم تنجح هذه السياسة ورمي ابي قرجة بتهمة التواطؤ مع حاكم سواحل البحر الاحمر (٣٥) .

والسبب المباشر لتعيين محمد خالد في دنقلا هو النزاع الذي حدث بين يونس الدكيم ومساعد قيدوم فاستدعى الخليفة عبدالله يونس الدكيم الى أم درمان وسمى محمد خالد عاملا على دنقلا في ٢٥ شعبان ١٣٠٧ هـ ولم يكن هذا الاجراء مرضيا لمساعد قيدوم . وان المرء ليختار في اصرار الخليفة على ائقاذ مساعد الى الشمال رغم المشاكل والمنازعات التي حدثت بينه وبين النجومى وبين يونس الدكيم وأخيرا محمد خالد .

لقد تسبب جود فرق من أبناء البقارة وأبناء النيل في دنقلا في كثير من المنازعات ، وقد كان قادة كل من الفريقين منحازين لابناء صلتهم ولم يحدث بينهم أي انصهار وتجانس أو تفاهم حول العمل المشترك بينهم . فعندما كانت جيوش المهديّة معسكرة في مدينة دنقلا طلب قائد كتائب الاستكشاف في صوارة مددا من الجيش الموجود في ديم دنقلا فأصر مساعد قيدوم بأن يكون المدد من رايات أولاد البلد وأصر وكيل راية أولاد البلد وهو محمد الطيب البصير أن يكون المدد من أولاد العرب فأدى ذلك الى صراع وخصام بين القائدين مساعد والبصير ، وعندما

Holt, The Mahdist State in the Sudan, P. 165.

(٣٥)

عاد محمد خالد الى الدير تقض أوامر مساعد قيود وأصدر أوامره بعمل عرصة عامة ، وأدى هذا التصرف الى غضب مساعد قيود فبدأ في احاطة المؤامرات وخلق المشاكل لمحمد خالد . واتفق مع قائد الجهادية عربي دفع الله وتقدما بشكوى لمحمد خالد يعربان فيها عن عدم رضا الجهادية والبقارة عن الرواتب والتعيينات التي تصرف لهم ولكن محمد خالد لم يعر هذه الشكوى أي اهتمام مما زاد من سخط مساعد قيود وحققه على محمد خالد وأولاد البلد وبدأ يفكر في عملية اغتيال محمد خالد وجميع أولاد البلد واتفق مع عدد من الجهادية والبقارة للقيام بهذا العمل وتعاهدوا فيما بينهم على تنفيذ هذا المخطط بالقسم على المصحف الشريف ، ولكن محمد خالد علم بالمؤامرة فسعى الى تجريد الجهادية من أسلحتهم فلم ينجح في هذا ، بالإضافة الى انه فشل في عملية عزل الجهادية عن عربي دفع الله وتنحيته عن قيادتهم ، وكتب الطرفان الى الخليفة عبدالله يخبرانه بما حدث وكل منهم حاول أن يرمي اللوم على الجانب الآخر ، وذهب عربي دفع الله الى الحد الذي اتهم فيه محمد خالد بأنه يعمل على افساد الجهادية ويعد العدة للهروب الى مصر (٣٦) .

أدان الخليفة محمد خالد وحمله مسؤولية النزاع الذي وقع وسط جيشه واتهمه بالتقصير في اداء واجباته وعدم القيام براحة الجيش مما دعا عددا كبيرا من أبناء التعايشة الى هجر الجبهة والوصول الى أم درمان ، وأمره بأن تكون رئاسة مساعد قيود وعربي دفع الله قاصرة على الجهادية وحدهم ، أما أولاد العرب فتولى رئاستهم العريفي الربيع . ورغم هذه الاجراءات فان المنازعات استمرت بين محمد خالد ومساعد قيود وعربي دفع الله مما جعل الخليفة يرسل وفدا من الامناء

(٣٦) مهدية ، ١٠/١ ص ٢٢٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد خالد .

في مارس ١٨٩١ م للنظر في أمر هذا النزاع وكان من بين الامناء يونس
الدكيم عامل دنقلا السابق * وصل الامناء دنقلا في شهر ابريل وطلب
الخليفة من كل من مساعد قيدوم وعربي دفع الله بالحضور الى أم درمان
وتولى يونس الدكيم رئاسة الجهادية وأولاد العرب ، ثم بعد ذلك طلب
الخليفة محمد خالد الحضور الى ام درمان حيث قدم الى محاكمة قضت
بسجنه وأسند الخليفة عمالة دنقلا بأكملها ليونس الدكيم حلا للمنازعات*
ويقال بأن فترة حكم يونس الثانية لدنقلا كانت أحسن حالا من الفترة
الاولى حيث عاد كثير من الهاربين الى دنقلا ، وورد في تقارير المخابرات
ان عددا كبيرا منهم طلب الاذن بالعودة في اغسطس ١٨٩١ م *

فتنة الاشراف

وفي هذا العام أي عام ١٨٩١ م وصل تدمير الاشراف في أم درمان الى درجة انهم دبروا خطة للتخلص من الخليفة .

فقد الاشراف كل الوظائف الهامة في الدولة ، وأبعد الخليفةعبدالله كل المتعاطفين مع الاشراف من مناصب بيت المال والقضاء وأصبح الامر كله بيد أولاد العرب . وتعرض الخليفة شريف للاضطهاد وابتعد عن المكانة التي كان يعتقد بأن له الحق فيها لسبب تقلده خلافة الكرار وأبناء المهدي لم يعد لهم ذكر، وأصبحتزوجاته في حالة من العوز، وبسبب سيطرة البقارة على الموقف فقدت القبائل النيلية نفوذها السابق كما فقدت ممتلكاتها وأراضيها وأصبحت حياتهم تحت رحمة البقارة ، وكانت الاراضي الزراعية عرضة للصادرة ، كما ان زكاة العشور كانت تصل الى أكثر من نصف المحصول لتعدد جبايتها بواسطة رجال بيت المال وتضرر التجار من المكوس التي كانت تؤخذ منهم على أكثر طول الطريق وأصاب أصحاب المراكب الضرر بسبب الاستيلاء على مراكبهم والمراكب التي كانت تنجو من الاستيلاء عليها تتعرض لضرائب باهظة ، وتعرض لنفس المتاعب أصحاب الجمال . وبالاختصار فان الظلم كان واقعا على أهل النيل بسبب هذه الضرائب المتعددة . ويرى بعض المعاصرين لهذه الاحداث ان الاشراف وأولاد البلد كانوا حائقين على الخليفة بسبب المظالم التي ذكرناها آنفا . وقد كان سجن محمد خالد الشراة الاولى

المباشرة لاعلان تدمير الاشراف بصورة علنية مما جعل الخليفة عبدالله يدعو الى اجتماع للنظر في مظالم الاشراف ، وقد حضر هذا الاجتماع الى جانب الخلفاء الثلاثة قاضي الاسلام وعقد الاجتماع بمنزل أحمد شرفي . ويقال ان الخليفة شريف عدد في هذا الاجتماع المظالم التي يعاني منها الاشراف في حالة من الغضب كادت أن تؤدي الى صدام بدني الا أن الخليفة عبدالله استطاع بسعاونة الخليفة علي ود حلو وفاضي الاسلام التمكن من الوصول الى اتفاق غير انه لم يحدث أي تغيير في موقف الجانبين المنازعين .

وما فتىء الخليفة عبدالله يضيق على الخليفة شريف واهله الاشراف حتى نفذ صبرهم فكونوا جمعية سرية للقيام بقتل الخليفة عبدالله واستلام ازمه الامور بالقوة وقبل القيام بتنفيذ الخطة علم الخليفة عبدالله بأخبارها فأتخذ الاحتياطات اللازمة لتأمين نفسه وأخذ بدوره في عمليات التخطيط للتنكيل بالاشراف ولما علم الاشراف بأن سرهم قد اكشف أسرعوا الى القيام باعتداء مسلح على الخليفة قبل أن ينكل بهم احتل الاشراف قبة المهدي والمنازل المجاورة لها وامدوا اتباعهم بالسلاح والذخيرة وقبة المهدي فريية جدا من منزل الخليفة لا يفصلها منه سوى شارع صغير لها، بلغ طواه أكثر من عشرين مترا وقام الخليفة عبدالله بحركة مضادة فوزع الاسلحة والذخيرة للملازمين وجعلهم في حالة استعداد تام لمواجهة اي اعتداء على حياته كما ارسل بعضهم الى احياء أم درمان المختلفة لمراقبة الاشراف ومنع وصول أي امدادات اليهم وأمر أهله التعايشة باحتلال الساحة الواقعة بين منزله ومنازل الاشراف وأمر اخاه يعقوب ان يقيم في المسجد بجيشه أي في الجهة الغربية لمنزل الخليفة عبدالله نفذت كل هذه الاجراءات في ليلة الاثنين ٢٠ ربيع الثاني ١٣٠٢ هـ / ٢٣ / نوفمبر ١٨٩١م ولم يتمجّل الخليفة عبدالله الامور بالهجوم على الاشراف وانما اتخذ خطة دفاعية ولم ييأس من فض النزاع بالطرق السلمية .

ارسل وئدا الى الاشراف برئاسة الخليفة على ود حلو يدعوهم الى الصلح واجابة مطالبهم لم يقبل الاشراف الصلح ، وبدأوا الاعتداء باطلاق النار على منزل الخليفة عبدالله فرد عليهم انصار الخليفة عبدالله بالمثل واسنسر الاشتباك نحو الساعة ورغم ذلك فان الخليفة لم ييأس من الصلح اذ أنه ارسل وفدا آخر للاشراف معرضا عليهم الصلح واجابة مطالبهم وفي هذه المرة استجاب الاشراف لعرض الخليفة عبدالله ولكنهم طالبوا اولا بمعرفة الشروط التي سيتم بموجبها الصلح وحرصا من الخليفة على تحقيق الصلح لم يضع شروطا للصلح وانما اعطى الاشراف الفرصة أو الحق في وضع الشروط التي يريدونها وبذلك تم الوصول الى اتفاق يوم الاربعاء ٢٠ نوفمبر وتعهد الخليفة عبدالله بتنفيذ شروط الصلح كما طلبها الاشراف وهي العفو عن جميع المشتركين في التمرد وان يجمل الخليفة محمد شريف مقاما يليق به ويخلي له في مجلسه كرسيه وأن يرد له رايته التي اخذت منه في عام ١٨٨٦م وان يخصص له ولاولاد وزوجات المهدي راتبا شهريا من بيت المال وقد استجاب الخليفة لكل هذه المطالب ولكنه اشترط شرطا واحدا كان بالنسبة له مهما وضروريا وقد تردد الاشراف في الاستجابة الى هذا المطلب وهو ان يسلم الاشراف سلاحهم ويطيعوا الخليفة عبدالله طاعة عيياء ورغم اجازة الوفاق فان الخليفة ترك الملازمين في ساحة المسجد مسلحين لمقابلة لمقابلة أي انتكاسة من جانب الاشراف .

ورغم هذا الوفاق فلم يكن الخليفة مطمئنا الى صدق نية الاشراف ويستدل على هذا الاتجاه من الرسائل التي ارسلها الخليفة الى عماله بعد وفاق الخلفاء وفيما يلي نقتل جانبا من الرسالة التي وجهها الى قريبه احمد علي عامله على القلابات (نعلمك أيها المكرم ان الاشراف وان كنا اخبرناكم بانهم ندموا وحضروا لطرفنا وطلبوا العفو والامان وامناهم لكن المتراءى انهم في ذلك مصرين على فكرهم واراداتهم المفسدة في السدين

فيلزم ابها المكرم ان يكون في السر على غاية الحذر واليقظ والحزم في امرك ولا تدخل عليك اي غفلة حتى يدخل الفشل في الدين بل كن على حذر تام في شرك وافتكار لاحوال الجيش الذي معك والاهالي اذا حصلت اي شوشرة في جهة فبادر واحزم امرك حسب المطلوب ولا تدخل عليك القفلة كلية كلية . . . » (٣٧) .

وبعد عشرين يوما من ابرام الصلح اطمان الخليفة للموقف فألقى القبض على احمد سليمان امين بيت المال السابق ومحمد فوزي محمود واخيه احمددي وآخرين ثم ارسلهم الى الزاكي طمبل في فاشوده وامره بالقضاء عليهم فقتلهم شر قتلة . وبرر الخليفة عدم التزامه بشروط العفو بحضرة نبوية أصدرها في منشور جاء فيه « ثم قال لي (أي المهدي) ان احمد سليمان واحمد النور واحمد محمد خير وسعيد محمد فرح وفوزي واحمددي وصالح سوار الذهب فليكن حبسهم فقلت للمهدي (نعم) ان اهل الظاهر يفكرون على ذلك ويقولون عفا عنهم ثم حبسهم فقال لي المهدي (عم) ان الحق معك وأهل الباطن معك فاحبسهم واتل على الاصحاب المنشور المحرر منا في حقتك . . » (٣٨) ومن الجدير بالملاحظة أن الحضرة تشير الى حبسهم وليس الى قتلهم وتم القتل بعيدا عن أمر درمان خوفا من الاثارة .

غضب الخليفة شريف لمقتل انصاره وامتنع عن صلاة الجماعة والجمعة وبمسئله هذا اعطى الفرصة للخليفة عبدالله لمحاكمته والزج به في السجن في ٢ / مارس ١٨٩٢ وكانت المحكمة مشكلة من اربعة واربعين قاضيا ولعل

(٣٧) رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد علي بناربخ ٢٤ ربيع آخر ١٣٠٩ هـ .

(٣٨) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المنشورات ١٠٢ ، ١١٠ .

الخليفة اراد بذلك ان يشارك معه اكبر عدد من رجال القبائل والاتجاهات المختلفة لعزل الاتراف وادانتهم على مستوى اوسع (٣٩) .

وبعد سجن الخليفة شريف عاد الاشراف الى الموقف السياسي العاجز الذي كانوا عليه في عام ١٨٨٦ وقد ظل الخليفة محمد شريف سجيناً حتى عام ١٨٩٦م واطلق سراحه بعد ان استعاد الجيش الانجليزي المصري دفقلاً وأوجب الخطر الخارجي على الخليفة عبدالله استرضاء خصومه لتوحيد الجهد اقامة الخطر المحقق به (٤٠) .

ومكناً انتهت قصة الصراع بين الخليفة عبدالله والاشراف والتي بدأت منذ حياة المهدي ، حيث حاول الاشراف الاستئثار بالسلطة الا أن الخليفة عبدالله تفوق عليهم في هذا المجال اذا اعتمد على جهوده في نشر دعوة المهدي والعمل على اعلاء شأنها مما اكسبه رضاء المهدي واعطاه المرتبة الثانية في المهدي بتقليده خلافة الصديق ومنصب امير امراء المهدي وبعد وفاة المهدي استطاع الخليفة عبدالله تولية الامر من بعده وعمل على تصفية قوة الاشراف وابعدهم عن السلطة بصفة نهائية .

وبالقاء نظرة عامة على قصة الصراع بين الخليفة عبدالله والاشراف لا نجد صراعاً مسلحاً ما عدا المناوشة البسيطة التي حدثت في ايام فتنه الاشراف بأم درمان ولكن الخسارة التي لحقت بدولة المهدي من جراء هذا الصراع ، كانت لها آثار خطيرة .

(٣٩) نعوم سغير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١١٦٧ .
(٤٠) هولت ، دولة المهدي ، ترجمة هنري رياض وآخرون ، ص ٩٧

سياسة الخليفة عبدالله نحو الاشراف

تولد من التنافس بين الاشراف والخليفة عبدالله نوع من عدم الثقة بين الطرفين وكان المهدي يوازن بينهما اسند جميع الوظائف الهامة في الدولة الاشراف واولاد البلد وفي الوقت ذاته ركز كثيرا من السلطات في يد الخليفة عبدالله وطلب من جميع الانصار ان يتقادوا لاوامره وتنفيذها والواقع ان الاشراف لم يلتزموا بهذه الاوامر وظلوا في عدم الاذعان للخليفة الى ان آلت الامور اليه وحاول .. الاشراف المحافظة على مكائهم المميزة الا ان الخليفة عبدالله وضع خطة لحرمانهم من الوظائف الكبيرة التي تساعدهم في فرض وضع مميز في الحركة ولم يلجأ الخليفة عبدالله الى عزل الاشراف من الامارات بطريقة انتقامية وانما كانت هذه العمليات تتم في داخل اطار السياسة المقررة لاعمال الهجرة والجهاد وهذه السياسة افادته كثيرا في تفادي الصدام المباشر بين المحاربين من اولاد البلد واولاد العرب كما افادته في الاستفادة من عامل الزمن واعداد الخطط لتنفيذ ... سياسته الرامية الى التخلص من الاشراف واولاد البلد ورغم انه نجح في تنفيذ هذا الهدف الا أنه فقد قدرات اولاد البلد في الاعمال الادارية كما تكبد خسائر كبيرة في تحقيق الهجرة الاجبارية لاولاد العرب *

وفي الوقت الذي كان يصدر فيه الخليفة عبدالله الاوامر الى رايات اولاد البلد بالهجرة الى أم درمان والى الجهاد كان يكتب أعوانه بالعمل على مراقبة الاشراف واجلائهم من غرب السودان لعدم ثقته فيهم *

ويمكننا معرفة رأي الخليفة عبدالله في محمد خالد من الفقرة التالية والتي وردت في احدى رسائله الى حمدان ابي عنجه ...

أما الامر الذي حررنا اليكم في شأنه مع الحبيب مدثر (يقصد المدثر ابراهيم كاتم سره) فنظر لكون صاحبه (يقصد محمد خالد) على بعد من المهدي عليه السلام وهنا لم تكتمل تربيته على يد سيد الجميع وكذلك من معه ومعوم انه أي المذكور بين الذين لهم رغبة كاملة في الرئاسة والدنيا ومن الذين لا يرضون التخلي عن ذلك وثم لم تزل الخشية من جهته والشفقة عليه فاذا يلزم حبيبي على حسب ما حررتك ان تكون على غاية من اخذ الحذر والتربص والاستعداد التام لتنفيذ ما سبق التحرير عنه (٤١) .

كان الخليفة عبدالله محقا في تقييمه لمحمد خالد فقد كان موظفا بالادارة التركية المصرية وقبل ذلك كان تاجرا فلا يستغرب عنه حبه للرئاسة وجمعه للثروة وهذا يتنافى مع دعوة المهدي كما كان لدى الخليفة عبدالله من الشك وعدم الثقة في الاشراف ما يدفعه الى عدم الاطمئنان من موقف محمد خالد .

ويبدو ان اهتمام الخليفة عبدالله بأمر اجلاء محمد خالد من دارفور جمعه يتقاضى عن النظر للمخاطر الاخرى التي تبرز بعد جلائه ولم يتم اخضاع دارفور للادارة التركية المصرية الا في عام ١٨٧٤ م ولم يزل المطالبين بعرض سلطنة الفور يطمعون في استعادته وكان حسن السياسة يقتضي عدم خلق اضطراب في هذا الاقليم بسحب محمد خالد منه بحجة الاشتراك في فتح الخرطوم وغيرها ولم يكن هنالك داع في استعمال

(٤١) مهدي م ١ ص ١٠٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجه بتاريخ جماد آخر ١٣٠٣ هـ .

الجيش من الجهات الاخرى وانما كان الموقف يقتضي تدعيم القوة في دارفور خاصة وان دارفور لم تكن خاضعة خضوعا كليا لمحمد خالد قفي جنوب دارفور وكان مادبو يسيطر على الموقف والذي اشترك اشتراكا فعليا في حركة المهدي واستجاب للدعوة بدون تردد لعدم رضائه عن الادارة التركية المصرية قابل مادبو المهدي في تقدير في عدد كبير من اتباعه واشترك في واقعة الشلالي وعينه المهدي اميرا على الزريقات فعناد الى جنوب دارفور واعلن الثورة على الحكومة وقد اسهم الزريقات اسهاما فعليا في الثورة وتطلعوا الى حياة الاستقلال عن أي سلطة مركزية ولم يكن من المتوقع ان يخضعوا لمحمد خالد الذي لم يكن حازما بصفة عامة مع البقارة (٤٢) وكان الخليفة عبدالله يشير عليه دائما بملاطفة البقارة بصفة عامة والتعايشة بصفة خاصة (٤٣) .

وفي وسط دارفور كانت قبائل الفور تتطلع الى الانعتاق من سلطة الحكومة المركزية ايا كانت هويتها وقد اعطى محمد خالد الفرصة ليوسف ابراهيم لمحاولة استعادة امجاد ابائه من سلالة الفور حينما عينه وكيلا على دارفور وستعرض لهذه المسألة في جانب آخر من هذا البحث ولم تكن قبائل الجهة الشمالية الغربية من دارفور متحمسة لدعوة المهدي مما دفع محمد خالد الى ارسال الحملات التأديبية بقيادة عمر ترحو لاختضاع قبائل تلك المنطقة (٤٤) .

ويلاحظ ان جزءا كبيرا من قوات محمد خالد كان من ابناء العرب الذين لا يطمئن الى ولائهم اذا ما حدث صدام مسلح بينه وبين الخليفة

(٤٢) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٦٦

(٤٣) مهدي ١٠/١ م ١ ص ٥٦ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد خالد بتاريخ ربيع اول ١٣٠٢ هـ .

(٤٤) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٦٥

عبدالله وقد حاول عزل الجهادية من محمد خالد . اشار على محمد سليمان قائد الجهادية في جيش محمد خالد ليعمل اتصالات وعلاقات مع حمدان ابي عنجه ولعل ذلك كان تمهيدا لسحبهم من جيش محمد خالد وضمهم الى حمدان ابي عنجه ومن الطريف أن محمد سليمان لم يفتن لمرض الخليفة فعرض خطاب الخليفة على محمد خالد (٤٥) .

و قد تذكر بعض المؤرخين في القصة التي تقول بأن الاشراف كانوا يرأسون محمد خالد ويعدون منطقة الجزيرة لجيشه وذكروا بأن ليس هناك دليل على وجود اتفاق بين محمد خالد والاشراف لتنفيذ هذه الخطة ويبدو من تصرفات محمد خالد بأنه كان يفكر في نفسه والحياة التسي نعم بها في دارفور ولذلك بادر الى تسليم نفسه عندما بدر له ضياع ما كان له دون أن يبدي شيئا يدل على ارتباطه بانقلاب معد (٤٦) .

ورغم أن الخليفة عبدالله استطاع تصفية الاشراف وازال خطورتهم الا انه من جهة اخرى فشل في تحقيق ماآربه السياسية ومع تقديرنا للظروف التي كان يعمل فيها الخليفة عبدالله وتكوين شخصيته قبل المهدي وبعدها الا أننا نرى بأنه حطم خصومه السياسيين الذين كان يمكنه الاستفادة منهم مع ازالة خطورتهم دون شخصياتهم وطبقتهم فمثلا لم يكن من الحكمة في شيء أن يحطم الخليفة عبدالله الاشراف وزعماء اولاد البلد جملة واحدة كان حسن السياسة يقتضي الاستعانة ببعضهم على حساب الآخرين فقد افقد تحطيم الاشراف دولة المهدي عنصرا هاما من عناصر القوة البشرية التي كان لديها الاستعداد للقيام باعمال الدولة اذ انهم

(٤٥) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدي ، ص

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٣٢

كانوا يمثلون الطبقة المستنيرة في البلاد وحرص الخليفة عبدالله على الاستعانة بهم في مهمة الكتابة والواقع ان الخليفة عبدالله فقد مقدراتهم السياسية والادارية واصدق مثال لذلك اعمال محمد خالد ، فقد استطاع أن يخلق علاقات ودية مع امراء الممالك الاسلامية في السودان الغربي وبعد مغادرته لدارفور تحرك امراء الفور والامارات المجاورة مساندة كثيرا من جهد عثمان آدم ومحمود ود احمد ولقيت حركة ابي جيزة معاونة من هؤلاء الامراء .

القبائل المعارضة

حرص الخليفة عبدالله على هدم الزعامات القبلية وهدفه تحويل الولاء القبلي الى ولاء ديني واعتبر زعماء القبائل عقبة كآداء في سبيل تنفيذ هذا الهدف وانهم زعماء القبائل بحجهم للرئاسة واهتمامهم بالاعراض الدنيوية، ويتساوى في ذلك الزعماء الذين ايدوا الدعوة واشتركوا فيها والزعماء الذين عارضوا الدعوة فلحق بهم الجزاء من ايام المهدي وكان الخليفة عبدالله اليد المحركة للتخلص من زعماء القبائل في حياة المهدي كما حدث للمنة اسماعيل وعجيل الجنقاوي (١) .

ولما كانت دعوة المهدي حركة ثورية ضد نظام قائم كان لا بد لها من القضاء على دعائم وركائز النظام السابق وزعماء القبائل كانوا موظفين في الادارة السابقة الى آخر اللحظات ، والبعض الآخر عندما تبين له ان الحكومة فقدت قواعدها وبدأت تخرج من البلاد ، تقدم الى المهدي وأخذ البيعة والبعض منهم أرسل اخوته أو ابناهم لمبايعة المهدي ، وبقي في مكانه ينتظر عملية التحول وفريق ثالث لجأ الى عملية اللعب على الحبلين .

ولم يكن زعماء القبائل على دراية تامة بالالتزامات الجديدة التي ستفرضها عليهم ثورة المهدي بعد نجاحها والذي ادى الى تغيير جذري في التنظيم القبلي واضطرت القبائل الى ترك حياتها التقليدية وهجرت وسائل

(١) انظر البحث : الصفحات ١٦٨ - ١٧٤

معيشتها وعمت بالجهاد ولقد كان من الطبيعي أن تختلف قيادات المجموعات القبلية أيام الثورة وهي تلعب دورا غير ذلك الذي ألفت عليه مع القيادات السابقة إذا أصبح مصدر الرئاسة هو الولاء والبذل في سبيل نشر الدعوة وليس الصلات القديمة .

ولسبب معارضة بعض القبائل لهذه الالتزامات الجديدة من هجره وجهاد ودفع زكاة ، اضطرت السلطة الجديدة الى الاعتماد على قبائل معينة في تنفيذ سياستها وفق المفهوم الديني الذي تتدين به كما أن المقاومة تنوعت وتعددت على حسب قوة وضعف القبائل المتمردة وتباعدت مناطقها من بعضها البعض فلم يحدث نوع من التنسيق بين زعماء القبائل المعارضة .

وبعض زعماء القبائل الذين ايدوا حركة المهدي منذ البداية كانت لهم مظالم ضد الحكومة السابقة اما بسبب العزل من رئاسة القبيلة كما حدث لادبو علي زعيم الزريقات (٢) ومثل زعماء القبائل الصغيرة الذين اخضعهم الحكومة السابقة ووضعتهم تحت رئاسة قبائل كبيرة وفريق آخر من القبائل مشى مع تيار الثورة تخلصا من الضرائب وقبضة الحكومة المركزية .

والثورة المهديّة التي أبطلت الطرق الصوفية ورفعت المذاهب الاربعة لم تتورع عن القضاء على الزعامات القبلية بمفهومها السابق وامتيازاتها فالمهديّة تنادي .. بالزهد في الدنيا والطاعة العمياء للمهدي وخليفته بالاضافة الى أن المهديّة خلقت زعامات جديدة ، مثل الخلفاء والعمال والامراء والمقاديم والنقباء وقضاة الشرع وامناء بيوت المال ، اما زعماء القبائل فقد اصبحت مهمتهم منحصرة في استنفار اهاليهم للهجرة ، ومن

(٢) سلاطين السيف والنار في السودان (طبعة أم درمان) .

يتوانى عن اداء هذه المهمة يتعرض للعقاب الصارم ، السجن او الموت •
لقد كان للموقع الجغرافي وانتشار ديار القبائل في اراضي السودان
الشاسعة اثر كبير في تحديد موقف القبائل من دعوة المهديية وقد تلون
هذا الوجود المكاني بمعتقدات صوفية وتأثر بعوامل اقتصادية حسب
موقع ديار القبائل وبثفاوت قوة وضعف هذه المؤثرات حسب موقع ديار
القبيلة من الطرق والمنافذ التجارية ونلاحظ بصفة عامة ان القبائل التي
انكرت دعوة المهديية وعملت على معارضتها هي قبائل الابالة من كبايش
وعبابدة وشكرية وبجة وهي القبائل التي تسكن في الجزء الشمالي الممتد
من الشرق الى الغرب ولديها مداخل الى ثغور السودان من جهات الشرق
والشمال والغرب ، ووجدت مساعدات من القوات الانجليزية والمصرية
والتي كانت موجودة في سواكن وحلفا •

اما قبائل اواسط السودان حول منطقة الجزيرة فقد كانت قبائل
رعوية وزراع يمازجون بين الحضارة والبداءة وكانوا واقعين تحت تأثير
رجال الطرق الصوفية ولبعدهم عن الثغور لم تكن لديهم اتصالات أو
مصالح تجارية خارج السودان وانما كان نشاطهم داخليا واسواقهم رائجة
بتجارة الذرة والتي كانت تنتج بكميات وفيرة لخصوب أرض الجزيرة
وكانت السلطات ترهقهم بدفع الضرائب مما جعلهم يسرعون الى تلبية
دعاة الثورة من زعماء الطرق الصوفية التي كانت الجزيرة ملائ بهم (٢) •
وقد تعرضت قبائل الجزيرة الى خسائر فادحة في الارواح والاموال بسبب
تعرضهم للحملات العسكرية التي شنتها عليهم الحكومة من الخرطوم
وسنار لقربهم من مناطق نفوذ الحكومة •

وتعرضت قبائل الجزيرة للمضايقات لنفس هذه الاسباب من جانب

(٢) نعم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٧.

المهدويين مما جعلهم يعارضون سلطتها بعد أن كانوا مسن أوائل
المناصرين لها .

أما قبائل جنوب كردفان وجنوب دارفور فكانت لها مظالم ضد
الإدارة التركية المصرية لسبب تحريم تجارة الرقيق وبأسباب الضرائب
التي كانت تجنى منهم وهم أعراب بادية لا يدينون بالولاء للطرق الصوفية
والتي لم تستطع التوغل في ديارهم وبحسب طريقة حياتهم وبسبب عملهم
في تجارة الرقيق ترمسوا على الحروب والاغارة ولذلك وجدت فيهم
دعوة المهدي أرضا بكرًا لغرس مبادئها ووجدت فيهم النصرة للحركة^(٣) .

أما قبائل ترق السودان ، فقد كانت مناوئة لدعوة ... المهدي بسبب
قوة نفوذ طريقة الختمية في تلك المناطق وللنافع التي كانت تجنيها القبائل
القاطنة حول سواكن خاصة قبيلة الامرار التي وقفت الى جانب زعيمها
محمود علي والذي كان يحمل لقب البكوية ويتقاضى مرتبا من الحكومة
المصرية وقد اترك برجاله مع جند الحكومة ضد قوات المهدي بداية
بواقعة قباب الى نهاية رحيل عثمان دقنه من المنطقة^(٤) .

وبتأثير نفوذ الختمية اشترك بنو عامر والحباب ... والحلقة في جهات
كسلا وطوكر^(٥) .

ويعزى نجاح عثمان دقنه في نشر دعوة المهدي الى قوة شخصيته
وانتمائه الى طريقة المجذوبية ، التي كان يدين لها بالولاء قبائل الهدندوة
ووجد في اتباع الشيخ الطاهر المجذوب قوة للدعوة ورغم أن عثمان دقنه

(٣) Holt, P. M The Mahdist State in the Sudan, P. 118.

(٤) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، مذكرات عثمان دقنه ص ٨٤

(٥) Vool, John Obert, A History of the Khatmiyya in the Sudan, P. 281.

سيطر على منطقة شرق السودان فانه لم يستطيع دخول سواكن وظل محاصرا لها لمدة طويلة الا انه اجلي عنها وفي عام ١٨٩١ فقد طوكر وحدث نزاع بين قبائل الهدندوة والقبائل الاخرى من البقارة واولاد البلد والجهادية امتد الى رؤسائهم (٦) .

هذا باختصار وضع موقف القبائل من حركة المهديية ولكن ظهرت عوامل اخرى اثرت في مجرى الحوادث ، من اهم هذه العوامل الانتصارات المبكرة التي حققها المهدي وانصاره على جند الحكومة . وسياسة اخلاء السودان والتي اعلنها غردون باشا في بربر اثرت في موقف بعض القبائل وكبار الشخصيات مثل محمد الخير عبدالله خوجلي والذي تسولى نشر الدعوة في منطقة الجعليين .

ومع نجاح الحركة وتطورها ، انتقلت من مناطق القبائل التي فامت على اكتافها الحركة وانتقلت الى مناطق معادية من جانب القبائل ومعادية من جانب الطبيعة حيث ان الاراضي الزراعية عبارة عن شريط على شاطئ النيل ولا تكفي المسقاتين وخيولهم ومن جهة اخرى انقسمت القبائل الى فريقين هما اولاد العرب واولاد البلد لسبب تقسيم الرايات والمنافسة بين الخليفة عبدالله والخليفة شريف وسنتناول دراسة موقف كل مجموعة من حركة المهديية على حدة .

Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 168.

(٦)

القبائل المعارضة

وقفت بعض القبائل ضد حركة المهديّة ، رغم الانتصارات العسكرية التي كسبها انصار المهدي ورغم النجاح الذي حققته الثورة المهديّة في سرعة فائقة . والشاهد ان هذه القبائل كانت منحازة الى جانب الادارة التركية المصرية وذلك لعدة اسباب ، اولها حالة الامن والاستقرار التي نشرتها الحكومة في طول البلاد وعرضها فأزدهرت التجارة وعرف الناس الحكومة المنظمة لأول مرة . وثانياً أبدعت نظاماً للحكم المحلي ، أعطى زعماء العشائر سلطات واسعة في ادارة اقاليمهم وشجعت نظام الاتحادات الفدرالية بين القبائل الصغيرة لكي تصبح تحت رئاسة قبيلة كبيرة وقد ادى هذا النظام في بعض القبائل الى نتائج عكسية وادى الى نوع من التنافس بين الاسر الحاكمة الصغيرة في ملء منصب زعيم القبيلة . وتمت بعض العلاقات الودية بين كبار زعماء الاسر والسلطات الحاكمة في كل من الخرطوم والقاهرة وخير مثال لذلك آل ابي سن في الشكرية والنوراب في الكبايش .

واستفادت القبائل المجاورة للحدود المصرية أو لينا سواكن من عائد التجارة الخارجية التي كانت تقوم بها بين مصر والسودان كما استفادت هذه القبائل من اجور النقل والعمل بالبريد او الاشتغال بمهمة الدليل للقوافل وغير ذلك من الاعمال التي كانت تدر عائداً مالياً لهذه القبائل .

ويلاحظ ان هذه القبائل جميعها من قبائل الابالة على تقيض قبائل البقارة والتي كانت سندا كبيرا لحركة المهديية . فقبائل الابالة كانت لها مصالح تجارية واقتصادية وكانت تخشى عليها من الزوال بسبب القضاء على هية الحكومة وعلى خلاف ذلك كانت قبائل البقارة ، والتي كانت تستغل برعي الابقار وتتنفل بها من مكان الى آخر وتنقلهم خلف الكلا جعلهم يتوغلون الى المناطق الجنوبية مما جعلهم يشتركون في تجارة الرقيق ودخلوا في نزاع مع الحكومة واصبحت لهم مظالم ضدها بسبب تحريم تجارة الرقيق ومطاردة العاملين بها .

وبالاضافة الى المصالح الاقتصادية التي كانت ... تجنيها القبائل المجاورة لكسلا وطوكر وسواكن فقد كانت هذه القبائل موالية لطريقة الختمية التي وقف مشايخها ضد حركة المهديية وقد اشتركت قبائل الحليقة والحصرات والسيدرات في صد الغزو المهديي لمدينة كسلا . وقد تعاونت قبيلة الامرار بقيادة زعيمها محسود علي الذي كان يحمل لقب البكوية مع الحاكم العام الانجليزي في سواكن لمطاردة الانصار ومهاجمتهم في طوكر وغيرها من ديوم الانصار التي كانت بالمنطقة .

معارضة الكبايش

من اهم القبائل التي عارضت حركة المهديّة قبيلة الكبايش التي كانت متصلة تجاريا بمصر وتقفن في صحراء بيوضة الممتدة من دنقلا الى كردفان وقدر عدد سكان الكبايش قبل المهديّة بنحو نصف مليون نسمة وكانوا يملكون ثروة ضخمة من الابل والضان كما كانوا يملكون العدد •• الحربية من خيول وسيوف ودروع (٧) •

لم يكن التوم ود فضل الله سالم زعيم الكبايش متحمسا لدعوة المهديّة ولم يبادر بالهجرة الى المهدي ولشائخ الكبايش صلات ودية مع الادارة التركية المصرية في السودان ولهم علاقات شخصية مع الخديوي في مصر •

وقد استفادت قبيلة الكبايش أكثر من غيرها من قبائل كردفان باستتباب الامن الذي فرضته الادارة التركية المصرية على السودان • ولم يجد دعاة المهديّة في شمال كردفان تجاوبا من الكبايش والذين كانوا يجاهرون بالولاء للحكومة التركية المصرية والبقاء على طاعتها كما كانوا يعتمدون على القبائل الموالية للمهديّة • وحدث أن تعرضوا لقبيلة من جهينة ونهبوها وبلغ الامر للمهدي والذي اصدر امرا الى التوم

I, Theobold, A. B. The Mahdya , P. 146.

(٧)

وصالح^(٨) ابن فضل الله زعيم الكبايش وعلي بن قريش من مشائخهم
ينبئهم فيه بأنهم اذا كانوا منقادين لامر الله ورسوله وتابعين لامره يسلمون
الى دفع الله الجهني واهله جميع ما نهبوه منه من مال ورقيق ومواشي
وان يذهبوا على جميع اهلهم الكبايش ومن معهم ان يتركوا جميع العوائد
المخالفة المكتاب والسنة ويتركوا نهب أموال المسلمين وأن لا يتعرضوا لاحد
بعد ذلك وأن يقيموا الصلاة في أوقاتها ويخرجوا زكاة أموالهم ويحضروا
عنده سريعا بدار الهجرة وفي نهاية الرسالة حذرهم من مخالفة امره الذي
يستوجب مجازاتهم وخراب ديارهم^(٩) .

اظهر زعماء الكبايش خضوعا للمهدي ولكنهم كانوا يطنون العداة
وتنفذوا اوامر المهدي في اعادة الاشياء المنهوبة من قبيلة جهينة ووفد على
المهدي التوم بن فضل الله تائبا عما ظهر من قومه^(١٠) وهناك دولة تقول
بان المهدي علم قبل وصول حملة هكس ان التوم ود سالم ارتد عن
المهدية وكاتب غردون وارسل اليه هدية نحو الف جبل - وقد ساعد
الكبايش في حملة الانقاذ التي ارسلت في عام ١٨٨٤ لانقاذ غردون باشا .

وكان في ذلك الوقت محمد عثمان ابي قرجة ومحمد احمد شيخ

(٨) صالح فضل الله سالم تولى زعامة الكبايش بعد مقتل اخيه التوم
وقاد المقاومة ضد حركة المهدي . تعاون مع حملة النيل ١٨٨٤ -
١٨٨٥ م ، طارده انصار المهدي الى ان تمت محاصرته في جبل العين
عام ١٨٨٧ م .

(٩) منشورات المهدي المطبوعة ٢م ص ٢٥ ، رسالة من المهدي الى صالح
فضل الله والتوم وعلي قريش . انظر ابو سليم ، المرشد الى وثائق
المهدي ، ص ١٧

(١٠) على المهدي ، جهاد في سبيل الله ، ص ٤٥

ادريس بأرض الكبايش لجمع الزكاة والغنائم فأرسل اليه المهدي
الامر بالقبض على النوم ود سالم وبالفعل تم القبض عليه وارسل الى
المهدي حيث امر بحد رأسه وعين المهدي عوض السيد قريش عاملا على
الكبايش وتبعه بعضهم وهربت بقية القبيلة مع صالح ود فضل الله سالم
الى المناهل في الصحراء وكان صالح فضل الله يرسل الخديوي ويطلع على
اخبار المهدي ويطلب منه العون والمد لمقاومة حركة المهدي وجاء في احدى
رسائله الى الخديوي انه تسلم بعد ثلاثة شهور ردا على خطاباته وانه ممثل
للامر المطلوب منه ويعرفه بأن اهل دنقلا انحازوا لمحمد الخير لخوفهم من
بطشه ولعدم وجود الحكومة التي تعميهم منه وان الكبايش لا يتحصلون
على ما يحتاجون اليه من الغلال من دنقلا لوجود محمد الخير بها ويطلب
منه أن يرسل بأقرب فرصة ممكنة ثلاثة آلاف عسكري ليضربوا
جماعة محمد الخير في الضفة الشرقية للنيل ويقوم الكبايش بمهاجمتهم
من ناحية الضفة الغربية وطلب ايضا الف وخمسائة بندقية وجبازة
ويخبره أيضا (بأن زقل الدنقلاوي حضر بباره ومعه واحد يسمى محمد
سليمان تركاوي) يقصد محمد سليمان قائد الجهادية في جيش محمد
خالد) كلهم مخالفين لامر الشقي عبدالله والشقي عبدالله انما هو قاعد
في قلة قليلة في الخرطوم واما كافة الجيوش من مية (وفاة) الشقي محمد
احمد فرت عنهم وأغلب السودان راغبين بالحكومة الاولى بالسودان فضات
تحكم بعضها البعض بعدم وجود الحكومة والحين ذا الحين) عجلوا
بالجيش المنصور لاجل قتل الشقي محمد الخير (١١)

ويرى الدكتور محمد فؤاد شكري أن الكبايش كانوا يطمعون
من قديم في الاستيلاء على مدينته دنقلا الغنية ولم تكن ثورة الكبايش

(١١) ارشيف مجلس الوزراء المصري محافظة رقم ١٠٣ ملف ١/١/٢/٣ ،
رسالة من صالح فضل الله سالم الى الخديوي (بدون تاريخ) .

في رأي كثيرين لاستقاط الخليفة عبدالله بقدر ما كانت لاخذ دنقلا لانفسهم (١٢) والواقع ان مديرية دنقلا هي منفذ الكبايش الى مصر وسوق عام بالنسبة لهم وان وجود الانصار بدنقلا ضيق نطاق الحصار على الكبايش وجاءتهم الضربة القاضية من انصار المهدي بدنقلا فهم الذين اسنولوا على القافلة التي ارسلتها الحكومة المصرية محملة بالبنادق والدخائر وكان يصحبها التاجر الالماني المغامر كارل نيوفولد (١٣) والذي طمع في انشاء تجارة واسعة في الصمغ مع كردفان الى جانب التجسس على حركات انصار المهدي لحساب السلطات المصرية وكانت فرق من جيش الجومي تقوم بمراقبة الطرق والمناهل المؤدية الى دار الكبايش (١٤) .

رصد النجومي تحركات صالح فضل الله وهو الذي رسم خطة حصاره واقترح على الخليفة عبدالله تنفيذها في خطاب جاء فيه « .. ان تعين سرية من دارفور تقصد جهة الصباح ومن حمدان ابي عنجه ان يعين ثلاث سرايا احداها تتوجه الى البقرية لتسنعه من القدوم عليها والثانية تتوجه الى الصافية والثالثة تتوجه الى ام بادر والسرية التي تتعين من البقعة (ام درمان) تتوجه الى جبرة ومنها للصافية فمع ما مر ذكره من السرايا المعينة بطرقنا الى جهة علاوي واليمين واقامة مكين النور بالعقبات وقتها تصيق عليه الارض ولا يجد ملجأ ولا مهربا لحبس جميع المناهل عليه .. وكل سرية تتعين فلتكن سيدي من اصحاب المهدي عليه السلام

(١٢) الدكتور محمد فؤاد شكري ، مصر والسودان ، ص ٢٨٤
(١٣) كارل نيوفولد (Neufold, Karl) حضر الى مصر في عام ١٨٨٧ م بغرض التجارة وصحب القافلة التي قبض عليها جماعة النجومي وهي في طريقها الى كردفان وارسل اسيرا الى ام درمان والتي ظل بها الى نهاية دولة المهدي . انشأ مكتبا للسياحة في اسوان ثم عاد الى المانيا في عام ١٩١٤م . اصدر في عام ١٨٩٩م كتابا عن تجاربه اسماه: اسير الخليفة A Prisoner of the Khalif .

(١٤) الدكتور محمد فؤاد شكري ، مصر والسودان ، ص ٢٨٤

الصادقين ، الباذلين ارواحهم لنصرة دين رب العالمين ليست من عربان
وخلافهم من عربان انجلا لانهم لا سخو بصالح المخذول ولا يرضوا بقتله
وهلاكه في الباطن ولو كان لهم في ذلك أرب او قصد لما ساغ لهذا المخذول
بل لمواظبتهم اياه وصرف نظرهم عما حصل منه المفسدين معه فسي دار
الكبايش الغير وعلمهم بذلك ما زالت اقامته الى الآن بدار الكبايش
المعلومة فلو كانوا قاصدين نصره الدين فيه لكانوا ضيقوا عليه الارص
... واضعفوه وأسناصلوه لكن لباطنتهم اياه وعدم الصدق واخبارهم
بأحوال جيوش المهديّة وتوصيلها بواسطته هو والمفسدين معه منهم
الاعداء الله الكفرة ما زال مستدرج من الله وبافي على ما هو عليه فلاجل
زيادة الاتضاح في شأنه ما ذكر لزم عرضه ومهما يرى موافق في هذا
الخصوص فترد لنا به الاشارة سيدي لاتباع العسل بسوجبها والسلام^(١٥) .

وتدل هذه المقترحات على ان النجمي كان قائدا ممتازا وادبه
معلومات وتقدير لموقف العربان وكان الخليفة عبدالله قد اسد اليه
المنشورات. يؤلبهم على الكبايش ومقاطعتهم في عملة البيع والشراء وهو
نوع من الحصار الاقتصادي وذو أثر فعال بالنسبة لقبيلة الكبايش التي
كانت تعتمد في الحصول على الذرة والبضائع من الجهات المجاورة لها
وهي تسكن منطقة رعوية محصورة تعتمد على المناطق الزراعية في جنوب
ديارها وشرقها كما ان اعتماد الكبايش على تربية الابل والضان وعدم
اشتغالهم بالزراعة جعلهم يعتمدون في الحصول على الذرة وضروريات
حياتهم الاخرى من اسواق وسط كردفان وغرب دارفور ودار حامد
والجوامعة والزبادية (١٦) .

(٥١) مهديّة ١/١ ، ١/٦ ، رسالة من عبدالرحمن النجمي الى الخليفة
عبدالله بتاريخ ١٧ رجب ١٣٠٦ هـ / ٢٠ مارس ١٨٨٦ م .
Talal, Asad · The Kubabish Arab Power, Auterity and Consent (١٦)
in a Nomadic Tribes, London, 1970.

وأباح الخليفة عبدالله للعربان الاستيلاء على الغنائم التي يتحصلون عليها من الكبايش وفي نفس الوقت لم ييأس من ارسال المنشورات لصالح فضل الله بصفة خاصة ولقبائل الكبايش والقبائل الاخرى التي انضت اليهم بصفة عامة يعفو عنهم ويرسل لهم الامان المرة تلو الاخرى ويطلب منهم الحضور الى أم درمان وكان صالح فضل الله يكتب الخليفة عبدالله كسبا للوقت وفي نفس الوقت كان يكتب للسلطة الحاكمة في مصر يطلب منها المساعدة والمعاونة لمقاومة الخليفة عبدالله (١٧) .

استغل الخليفة عبدالله العداوة بين الكبايش ودار حامد فاستنفر سيمايو تمساح واخاه جريجير لمطاردة الكبايش. واورد تعليمات الى حمدان ابي عنجه لكي يثير العربان على صالح فضل الله لمنعهم من الوصول الى اراضيه وبعد ذلك بشهرين ارسل رسالة ومعها انذارات نهائية لصالح بالحضور الى أم درمان وكرر الانذارات للقبائل بعدم التعاون مع الكبايش وحذرهم من العقاب الذي سيحصل بمن يخالف اوامره (١٨) وعندما استدعي حمدان ابي عنجه الى أم درمان سلم مهمة مطاردة صالح فضل الله الى عثمان آدم .

وبخروج حمدان ابي عنجه وجيشه من كردفان شعرت بعض قبائل الكواهاة والحر بأن الفرصة مؤاتية لتعزيد صالح فضل الله فاتصلت به ومبدئة رغبتها في تقديم المساعدات مما جعله ينتقل الى منطقة أم بادر وعندما علم الخليفة عبدالله بوجود صالح في هذه المنطقة ارسل قوة من أم درمان بقيادة محمد ودنوباوي مكونة من عربان المعالييا والمجانين

(١٧) ارشيف مجلس الوزراء المصري محافظة رقم ١٠٣ ملف ٣ ، ايضا :
المخابرات المصرية محافظة رقم ٣٣/٦/١
(١٨) مهدية ١٠/٣ ص ٢٠ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى صالح
فضل الله بتاريخ ١٥ ربيع آخر ١٣٠٣ / ١١ يناير ١٨٨٦ م .

وأعداد من البقارة واستطاعت هذه القوة أن تضرب حصارا شديدا حول
أم بادر .

وحاول صالح فضل الله صد هذه القوة ومنعها من الوصول الى
منهل المياه وظل يقاومها الى أن فترت عزيمته ووهنت قوته فأقرش فروته
وجلس عليها ينتظر مصيره وتقدم نحوه جريجيرا تمساح وجز رأسه فأرا
لدم ابيه وعمه وقتل معه عددا من أتباعه في ١٧ / مايو ١٨٨٧م (١٩) .

وأسند عثمان آدم الى عبد القادر دليل مهمة مطاردة الهاريين من
الكبايش وحصرت جميع غنائم الكبايش وارسلت الى أم درمان واهتم
الخليفة عبدالله بصفة خاصة بالاوراق والوثائق التي تركها صالح بما لها
من اهمية في معرفة الدوائر التي كانت تساعد صالح في تمرده ضد الخليفة
عبدالله . واسندت امارة الكبايش الى عوض السيد قريش تقديرا
لثانيه في خدمة المهدي (٢٠) وبالقضاء على تورد الكبايش تنفس الخليفة
عبدالله الصعداء لان هذا التمرد كان خطيرا وكلفه الكثير من الجهد
ووجود الكبايش في المواقع التي كانوا يحتلونها فهو تجمع لمديريات دنقلا
ودارفور والخرطوم ولديه منفذ الى مصر وكان الخليفة عبدالله على علم
باتصالات صالح فضل الله بالسلطات الحاكمة في مصر وبالإضافة الى
ذلك قبيلة الكبايش كانت القبيلة الوحيدة التي وقفت ضد تيار الثورة
المهدي خلافا للقبائل الكردفانية الاخرى التي استجابت لدعوة المهدي
المنتصرة من صوفية النيل ومن الثقافة المكتوبة التي لم يكن لقبائل
كردفان البدوية اي صلة بها ويعزو البعض هذه الاستجابة الى مؤثرات
الطريقة الاسماعيلية على زعماء الحركة التجارية في الابيض وصلاتهم

(١٩) عوض عبد الهادي ، تاريخ كردفان السياسي في المهدي ، ص ١١٨
(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٢٠

ببعض رؤساء القبائل ومشائخ حفظ القرآن يسرت التأثير في المجموعات التي أندفعت للاسهام في الحركة اشياعا لممارسة هواية الحرب والسلب والنهب .

ولم يكن في مقدور زعمائها كبح جماحها وتحويلها الى الوقوف ضد الثورة المهدية ، خاصة القبائل التي كانت في منطقة نشوب الثورة اما زعماء الكبايش فقد كانت لديهم امكانيات وظروف اخرى جعلت الاسر الحاكمة تنظم تمردا على حركة المهدية . وكان الكبايش يعيدون عن منطقة الثورة .

موقف الشكرية

ومن قبائل الابالة ذات الصلة الوثيقة بالحكومة التركية والمصرية قبيلة الشكرية التي تسكن في اقليم البطانة وقد ركزت السلطات الحاكمة السلطة في يد الاسرة الحاكمة للشكرية على اقليم البطانة لتنفيذ سياستها القائمة على نظرية التراضي والاعتراف بسلطة زعماء العشائر وجعلهم جزءا من جهازه الحاكم وترك لهم حرية التصرف في المجالات التي لم يكن لها تأثير مباشر على الحكم ، وهذا قد أعطى زعماء العشائر سلطات مطلقة اذ ان الذي كان يمس سلطة الحكم التنظيمي مباشرة هو الولاء العام ودفع الضرائب وبتحالف الحكم التركي - المصري مع اولئك الزعماء صار في ميسورهم أن يحكموا حكما يستند على عصبية مجموعة صغيرة من أهل البيت المتزعم وعلى سلطة الحكومة (٢١) .

وظلت الاسرة الحاكمة ، عائلة أبي سن ، على علاقات حسنة مع الادارة المصرية - التركية واشتهر منهم الشيخ أحمد أبو سن وتولى وظيفة مدير مديرية لمدة عشر سنوات الى أن وافته المنية بصره . ونال عوض الكريم (٢٢) أبي سن لقب الباشوية وعين مديرا للخرطوم وسنار

(٢١) الدكتور مكي شبكة ، السودان في قرون ، ص ١٣٣
(٢٢) عوض الكريم باشا أحمد أبو سن (ت ١٨٨٦) تولى نظارة الشكرية في عام ١٨٧٢ ثم استندت اليه وظيفة في الحكومة المركزية بالخرطوم .
اشترك مع جنود الحكومة في اخضاع قبيلة الكواهلة ، واشترك مع جقتر باشا ضد جيوش المهدي . عينه غردون مديرا للخرطوم في عام ١٨٨٤ وعندما تأكد من هزيمة غردون سافر الى منطقة ربره وبسابع اخوه عبدالله المهدي وانضم للمهدية . عفا عنه المهدي وعندما عجز عن هجرة الشكرية الى أم درمان غضب عليه الخليفة عبدالله ومات في سجنه .

ونعم الشكرية بالامن الذي استتب في عهد الحكومة التركية وازدهرت تجارتهم ونمت ثروتهم ، اذ كانوا يملكون ثروة ضخمة من الابل والماعز واستفادوا من جمالهم في نقل التجارة بين كسلا وسندي كسا انهم تحصلوا على ثروات ضخمة من بيع الجمال وتأجيرها . ويتنقل الشكرية بأبلهم شمالا وجنوبا في أرض البطانة ويصلون الى منطقة سندي في النيل ومدينة رفاعة على النيل الازرق ، ولسبب موقعهم الجغرافي احتكوا بقبائل الجميلين والبشاريين والهدندوه في منطقة كسلا .

واستمر الشكرية في ولائهم للحكومة التركية - المصرية حتى سقوط الخرطوم ، تعاونوا معها في امداد كسلا بالغذاءات عند حصار المهديين لها . وبينما ظل عوض الكريم أحمد أبو سن في ولائه للحكومة المصرية الى ما بعد سقوط الخرطوم فإن ابنه عبدالله عوض الكريم انضم الى المهدي وتزعم العاطقين على المهدي في القبيلة ، وتعاونوا معها في اخماد حركات الثوار التي شبت بأرض الجزيرة عند بداية قيام ثورة المهدي . اشترك نحو ٢٥٠٠ محارب من الشكرية بقيادة زعيمهم عوض الكريم باشا أبي سن بمهاجمة أحمد المكاشفي ووقع بهم الانصار هزيمة ساحقة في المسلمية (٢٣) .

وبعد سقوط الخرطوم ذهب عوض الكريم أبي سن الى المهدي وطلب منه العفو . وظل بأم درمان حيث أمسكه الخليفة رهينة وأرسل الرسل الى قبائل الشكرية ليحضروا مهاجرين الى أم درمان . أرسل اليهم حسان أحمد أبي سن وأحمد محمد عوض الكريم أبو سن وحذرهم من التأخير (٢٤) فلم يستجيبوا للهجرة . كما ان الشكرية الذين أرسلوا

Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 60. (٢٣)

(٢٤) مهدي ، دفتر صادر ١١ ص ١٩٧

مع السرية الموجهة الى كسلا هربوا الى اوطانهم وأرسل الخليفة عبدالله الى عاملهم محمد حنين بالقبض عليهم وارسالهم الى أم درمان .

تضايق الشكرية من عسال الخليفة الذين أرسلهم لنحصيل الضرائب (٢٥) كما ان أوامر الهجرة المتكررة جعلت عددا كبيرا منهم يهاجر الى بلاد الحبشة . أمر الخليفة عبدالله بالقبض على عوض الكريم أبي سن (٢٦) وسائر أفراد أسرته وقبض على نحو مئتي رجل من خيارهم وكبلوا بالحديد وزجوا في السجن حيث انتهى أمرهم بالقتل .

أما الذين هاجروا الى بلاد الحبشة فلم يكونوا أسعد حالا من الذين قتلوا في سجن ام درمان فان رداءة الطقس في بلاد الحبشة قضت على ابلهم وأصبحوا في حالة من الفقر (٢٧) .

وهكذا تفرقت جموع قبيلة الشكرية وفقدت وحدتها الادارية وسطونها على القبائل الصغيرة كقبيلة البطاحين التي اندفعت لتأييد الثورة المهدية .

لم يستطع الخليفة عبدالله كسب ولاء الشكرية لدعوة المهدية ، فرغم سحبه السلطة من عائلة أبي سن وتقسيم الشكرية الى عدة رايات فقد ظل الشكرية في ولائهم لعائلة ابي سن والتي عادت لحكم قبيلة الشكرية بعد انتهاء دولة المهدية .

(٢٥) مهدية ، ١٠/٢ ، ١ ص ٥٨ ، رسالة من عبدالله أحمد ابي سن الى الخليفة عبدالله ، الصفحة ١٣٠٢ .

(٢٦) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. P. 133.

(٢٧) الدكتور محمد قواد شكري ، مصر والسودان ، ص ٣٨٥ .

موقف العبايدة

أما قبائل العبايدة فقد كان موقفها يختلف عن بقية القبائل الكبيرة والتي وقفت ضد حركة المهديّة إذ إن هذه القبيلة تقطن صحراء العتومور ويوجد فرع للقبيلة بالسودان وفرع آخر بمصر ، فهم حلقة الوصل بين مصر والسودان من الناحية الشرقية الشمالية وعند حدودهم في السودان إلى داخل مدينة بربر . وقد حاول كل من أنصار المهدي والسلطات الحاكمة في مصر استغلال هذه القبيلة للقيام بنقل المعلومات للمخابرات العسكرية وإفادته المهديّة . والعبايدة بدورهم كانوا يلعبون على الحبلين ، ومن الطريف أن زعماء قبائل العبايدة كانوا موظفين في الحكومة المصرية ويحملون لقب بك ، ويتقاضون مرتبات من الحكومة المصرية (٢٨) وفي نفس الوقت يتقاضون مرتبات من دولة المهديّة (٢٩) . وقد قبلوا إجازة المهديّة حسين خليفة والذي كان مديرا لبربر في عهد الإدارة المصرية وسلم المديرية لمحمد خير عبدالله خوجلي ، عينه المهدي عاملا عموميا على كافة قبائل العبايدة الذين بأرض الريف (٣٠) ، وعين بشير مصطفى جبران عاملا على العشاباب والشيخ كرار عاملا على الشناتير تحت عمالة حسن

(٢٨) المخابرات المصرية ١٢٥/٢٥/١

(٢٩) المخابرات المصرية ١٢٥/٢٥/١

(٣٠) مهديّة ، دفتر صادر ٥ ص ٤ بتاريخ ١٢ شبان ١٣٠٢ هـ / ١٧ فبراير

١٨٨٤ م .

خليفة (٣١) وعين الحسن سعد العبادي (٣٢) وشمعون ابراهيم على العبايدة الذين بالسودان تحت عمالة محمد الخير عبدالله خوجلي ، وفصل الخليفة عبدالله عمالة العبايدة من محمد الخير وأصدر أمرا بتعيين الحسن سعد العبادي عاملا عموميا على كافة العبايدة وأصدر لهم منشورا بذلك ، وطلب الخليفة من صالح حسين خليفة أن يداري الكفار ويرسل اخبارهم اليه وانه أذن لايه حسين خليفه بالبقاء مع الترك ليداري نفسه وأن يرسل الاخبار عن طريق ابنه صالح (٣٣) .

وكانت سياسة الخليفة عبدالله الخارجية قد عرضت مصالح العبايدة التجارية والامتيازات التي سبق ان تحصلوا عليها في أيام الحكم التركي - المصري الى الضياع مما جعلهم يأخذون مواقف عدائية ضد المهديّة وكانوا في النهاية أكبر عون للحكومة المصرية عند استعادة فتح السودان (٣٤) .

لم يمدخل العبايدة في صدام مسلح مع قوات المهديّة وذلك لان مقاومة العبايدة كانت سلبية بالاضافة الى ان سياسة الخليفة عبدالله نحو

(٣١) مهديّة ، دفتر صادر ١٣ ص ١٢٨ بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٠٤ هـ / ٢٥ يونيو ١٨٨٤ م .

(٣٢) الحسن سعد العبادي (١٨٨٤ - ١٩٠٧) ولد بمدينة بربر وتلقى تعليمه على يد محمود الخير خوجلي ، قابل المهدي بعد فتوح الابيض ، عينه عاملا على الرباطاب بجهة أبو حمد ، استدعاه الخليفة عبدالله الى أم درمان ، الف رسالة الانوار السنوية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهديّة ، عمل قاضيا بالحكمة الشرعية في الحكم الثاني ، توفي بالحجاز عام ١٩٠٧ م .

(٣٣) مهديّة ٣١/٢ م/ص ٨٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى صالح حسين خليفة بتاريخ ١٨ رمضان ١٨ / ١ يوليو ١٨٨٤ م .

(٣٤) ابراهيم عكاشة ، ولاية بربر في عهد المهديّة ، رسالة ماجستير ، ص ٣٣

العبادة لم تحدد بعد بسبب ان العبادة كانوا شبه مستقلين في منطقتهم ولم يستطع الخليفة عبدالله التخلص من زعماء العبادة التقليديين وتعيين أقاربه في محلهم كما أنه لم يستطع أن يحتل أرض العبادة فكان تعاونه يرمي الى اضعافهم ومحاسبتهم بعد غزو مصر . وكيف كان الامر فان قبائل العبادة تعاونت مع السلطات المصرية في نقل انصار جيوش المهديّة كما اشتركت عسكريا في عمليات اعادة فتح السودان .

القبائل التي ناصرت دعوة المهديّة ثم انقلبت عليها

ناصرت بعض القبائل الكبيرة دعوة المهديّة في اطوارها الاولى ثم انقلبت عليها ، دفع بعضها الحساس الديني ، وبعضها سعت وراء مصالحها الذاتية وتطلعتها الى الخلاص من قبضة الادارة التركية - المصرية . يمثل الجانب الاول قبائل الجزيرة ، ويمثل الجانب الثاني قبائل البقارة والفور والنوبا في غرب السودان ، كما ان بعض القبائل كانت تسعى للحصول على الغنائم واشباع رغبتها في الحروب والسلب والنهب .

ان ارتكاز حركة المهديّة على دعوة دينية أعطى بعض مشايخ الطرق والفقهاء الفرصة لتزعم القبائل على حساب زعماء القبائل التقليديين . والذين كانوا يتوارثون زعامة القبيلة ابا عن جد ، وكذلك انقسم ولاء القبائل بين مشايخ الدين والزعماء التقليديين خاصة في المناطق التي كان فيها النفوذ الطائفي قويا . وظهر ذلك بشكل واضح في منطقة الجزيرة . أما المناطق التي كان فيها نفوذ الطرق الصوفية ضعيفا فقد انفرد عدد من زعماء القبائل بالتأثير على اتباعهم كما حدث في مناطق قبائل اولاد العرب والبقارة والفور والنوبا . حاول الخليفة عبدالله الاستفادة من زعماء القبائل في استنفار اتباعهم للهجرة والجهاد ، وفي نفس الوقت كان يعمل على التذليل من نفوذهم وكسر شوكتهم .

وبعد سقوط الخرطوم ووفاة المهدي ، رجعت أعداد كبيرة من أفراد

القبائل الى مواطنها ، وشرع الخليفة في اعادتهم مهاجرين مرة أخرى ، وأرسل الحملات التأديبية للقضاء على الزعماء الذين كانوا يعيقون طريق الهجرة خاصة زعماء قبائل أولاد العرب ، كما سبق أن أوضحنا فسان الخليفة عبدالله نجح في تنفيذ الهجرة الجماعية بأولاد العرب واستعان بهم في توطيد سلطته ، الا ان عددا من القبائل ظلت تقاوم حكمه وتدرجت المقاومة من المواقف السلبية الى الصدام المسلح .

قبائل الجزيرة

أسرعت بعض قبائل الجزيرة في أول الامر بالانضمام لحركة المهدي وأسهم مشايخ الطرق الصوفية بنصيب وافر في استنفار فرق من القبائل الى جانب تطلع القبائل للتخلص من جباة الضرائب ، وبالإضافة الى ذلك فإن عددا كبيرا من مشايخ طريقة السمانية كان يقطن بأسر الجيزة والمهدي نفسه بعد أن أخذ اجازة الطريقة السمانية من شيخه محمد شريف نور الدائم رحل الى الجزيرة أبا مع اخوته وبنى جامعا للصلاة وخلوة للتدريس واجتمع عليه سكان الجزيرة من عرب دغيم وكثانة وغيرهم من عرب البادية وأخذوا العهد عنه ودخل بعضهم في تلمذته واشتهر صيته وكثر أتباعه .

وفي أرض الحلاوين بالجزيرة كان يقيم الشيخ القرشي ود الزين الذي يجدد محمد احمد « المهدي » الطريقة علي يده بعد خصامه مع محمد شريف نور الدائم . وحمل لواء الثورة في الجزيرة فقهاء الطرق الصوفية الذين هرعوا الى المهدي في قدير وأخذوا منه البيعة كالشريف أحمد بله ، من مشايخ الطريقة السمانية شرقي النيل الازرق بين أبي حراز ورفاعة فاجتمع حوله خلق كثير من البطاحين والشكرية والجعليين والدناقلة وغيرهم من سكان المنطقة . وفي أبي شوكة التفت جموع كثيرة من عربان رفاعة الهوى على فقيه من التكارنة يدعى محمد زين . ومن الفقهاء الذين انضم اليهم عربان الهوى والصليحي وود برجوب . ويشير

المهدي الى هؤلاء بأحبابه ونوابه في اقامة الدين الخليفة الشيخ عطا
المنان الصليحايي والشيخ العركي والشيخ صالح الفوراوي والشيخ
عبدالله برجوب (٣٥) .

وفبيلة رفاة الهوى من أكبر قبائل الجزيرة ومن أهم القبائل التي
ناصرت الدعوة المهديّة تعرضت لبطش الحكومة التركية - المصرية لقربها
من الخرطوم . ولم تحصل على آمالها في التخلص من قبضة الحكومة
ومن دفع الضرائب وتسلط الباش بوزق ، وكانت ترغب في ممارسة
حياتها العادية دون تدخل الحكومة في شؤونها . وجاءت المهديّة لتطالبها
بدفع الزكاة والعشور وتعرض عليها الهجرة والجهاد . ووجود ديار
رفاة الهوى في أرض الجزيرة في وسط السودان سهل على السلطة
الحاكمة في العهدين من القاء ضربات موجعة لقبيلة الهوى ، بالإضافة
الى ذلك كانت هذه القبيلة موزعة الولاء بين آل أبي روف زعماء القبيلة
التقليديين وفقهاء السمانية خاصة آل المكاشفي ناصر أبناء المكاشفي
المهدي ، وناصر آل أبي روف الادارة التركية - المصرية .

يرى بعض المؤرخين ان عربان رفاة الهوى استجابوا لصيحة عامر
المكاشفي لانهم تأخروا في دفع الضريبة وشدت عليهم الحكومة فسي
تأديتها (٣٦) . ويرى آخرون بأن الضريبة لم تكن السبب الاساسي لدعوة
المكاشفي وانما يرجع ذلك الى انتمائهم الديني الى بيت المكاشفي .
ونبذت رفاة الهوى قيادتها التقليدية ، قيادة آل أبي روف ، الموالية
للحكومة ، وانتقلت الى دعاة المهدي في سنار وجبل مويه وجبال سقدي

(٣٥) درام صندوق رقم ١٠٠ ملف ١/١ ، رسالة من المهدي الى الشيخ
عطا المنان الصليحايي بتاريخ ١٣٠٠ هـ / ٣ ديسمبر ١٨٨٢ م .
(٣٦) درام صندوق رقم ١٠٠ ملف ١/١ ، رسالة من المهدي الى الشيخ
عطا المنان الصليحايي بتاريخ ١٣٠٠ هـ / ١٢ نوفمبر ١٨٨٢ م .

وقدموا مهجهم غير مبالين في سبيل الدعوة (٣٧) . ليس هنالك تناقض
التشديد بين السبيين ، فالتشديد في تخليص الضرائب كان سببا ك
لانضمام عربان رفاة الهوى للثورة وعصيان أوامر الحكومة واتم
على القيادة التقليدية وايجاد البديل لها في القيادة الدينية .

ومن فقهاء الجزيرة الذي كان يعتقد فيهم عربان رفاة الهوى
أحمد عبد الغفار والذي صحب أحمد المكاشفي من عند المهدي وتر
أحمد المكاشفي في مشروع الداعي عندما توجه من حصار سنار الت
عبد القادر باشا حلمي في واقعة التبتة وألحق به هزيمة منكرة (٨)
تحرك عبد القادر باشا من كركوج في ٢٢ مارس ١٨٨٣ م لمهاجمة
أحمد عبد الغفار والفقير سليمان ود الخليفة والجموع التي التفت
وصحب عبد القادر باشا معه الشيخ بشير علي ، شيخ عربان رفاة
والشيخ محسد مالك ابي روف وأفراد من عائلته . اقتفى عبد القادر
الفقير عبد الغفار الذي توجه الى جهة الصعيد لمدة ثلاثة أيام حتى أدر
في أرض قبيلة العقلين والقواسم والعلاطين واجتمع عليهم عربان ر
الهوى وغيرهم من عربان الجزيرة وأهالي حلالات سيرو وبلغ عد
نحو الالف وعشرين ألف نفر وهجم عليهم في يوم الاثنين ٣٦ ما
١٨٨٣ م فانهزموا الى جهة التهنه وقتل الفقير عبد الغفار ونحو ثلاثة
رجل من جماعته وأسر منهم عدد كبير وغنمت مواشيهم (٣٩) .

ومن عائلة ابي روف توجه المرضي ابي روف الى المهدي وأخذ
البيعة أميرا على قبيلته والتف حوله عدد كبير من قبيلة رفاة اله

(٣٧) نعوم سقير ، تاريخ وجغرافية السودان ، ص ٦٧.
(٣٨) أحمد عثمان ، الجزيرة في خلال المهدي ، ص ١٨٦ ، رسالة ماج
غير مطبوعة .

(٣٩) أرشيف مجلس الوزراء المصري ، محفوظة رقم ١٠٣ ملف ١/٢

ونزل لحصار سنار في حلة عابدين على بعد أربع ساعات جنوبي سنار وذلك في أواسط نوفمبر ١٨٨٤ م . التقى بالنور بك في قرية العوديسة وهزمه وتقدم الى غابة الكبوش فأقام فيها محاصرا لسنار الى أن سقطت الخرطوم بعث الى النور بك يعلمه بسقوط الخرطوم وعودة الانجليز من المنسة وأن محمد عبد الكريم قادم بجيش كبير لفتح سنار .

خرج حسن صادق مدير عام سنار لملاقة المرضي الذي توفي في غابة الكبوش وانقلب المدير راجعا الى سنار وفي الطريق نزل مع بعض الضباط تحت جسيمة ظليلة للراحة وتناول الطعام وأمر العساكر ففرطوا عقد القلعة وتفرقوا جاعات بعضهم ورد النيل للشرب وتوجهوا الى سنار وجلس البعض الآخر قرب الجسيمة للراحة فباغتتهم جماعة المرضي فهب كل منهم الى جواده وأجفل جواد المدير من يد السائس فهجم عليه العرب وقتلوه هو ونحو مائة من الضباط والعساكر ، وأما النور بك وعثمان بك الدالي فقد ركب كل جواده وضربا النفير فجمعا بعض العساكر ورجعا الى محل الواقعة فهزما عربان رفاة الهوى وعادا بجثث الضباط الى سنار (٤٠) .

وفي ١٨ ابريل ١٨٨٥ م وصل محمد عبد الكريم حلة البقرة ومعه عدد من الامراء ، والشيخ مضوي عبد الرحمن ومحمد احمد شيخ ادريس من أقارب المهدي ومصطفى ود جبارة و خليل عمر أبو زهانة ومعه وابور محمد علي وحاصروا سنار من الشمال .

ويوم مهاجمة محمد عبد الكريم لسنار (١٧ نوفمبر ١٨٨٥ م) أرسل خبرا الى المرضي أبي روف قبل الفجر فهاجم الخندق من الغرب فأمطر العساكر عليهم سحب الرصاص والجلل ووالسوا الغرب دون

(٤٠) شمر ، المصدر السابق ، ص ٩٨٨

انقطاع وتتبعوا الذين دخلوا الخندق فقتلوهم عن آخرهم وهزموا
الباقين . وقدر عدد قتلى الانصار بالفي رجل من بينهم أحمد المكاشفي .

وظلت سنار محاصرة الى أن استسلمت حاميتها في ٨ ذو القعدة
١٣٠٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٨٨٥ م . وكانت آخر حامية سلمت بعد مقاومة
دامت لمدة ثلاثة أشهر وخمسة أيام (٢١) .

وبعد تسليم حامية سنار سافر المرضي أبي روف الى أم درمان
لمبايعة الخليفة عبدالله فأمره بالعودة الى بلاده لاجتماع رجال قبيلته
بالحجرة الى أم درمان . عاد المرضي الى موطنه وتلكأ في تنفيذ الهجرة
وظل المرضي يراوغ الخليفة عبدالله وطلب انضمامه للراية الزرقاء .

وفي شوال ١٣٠٧ هـ الموافق مايو ١٨٨٩ م أرسل الخليفة عبدالله
منشورا الى كل العملاء والقبائل في منطقة جنوب الجزيرة بالهجرة الى
أم درمان في موسم عيد الاضحى للسفاكرة وتجديد البيعة ، وأشار على
المرضي أبي روف للحضور بكافة أهفته من السلاح والجيش والمؤن
الكافية (٢٢) ، ولم يذهب المرضي الى أم درمان

وأخيرا أصدر الخليفة عبدالله منشورا يعزل المرضي أبي
روف من الامارة ، ونشره على القبائل وجاء فيه ان المرضي أبي روف طغى
وبغى وآثر الحياة الدنيا وتقض عهد الله وميثاقه . وألب عليه القبائل
وأمرهم بالتضييق والقبض عليه وارساله الى أم درمان ، وأمرهم بمعاونة
عمر سعد المندوب بجبهتهم (٢٣) ، وأصدر الخليفة عبدالله أوامر مشددة

(٢١) شقير ، المصدر السابق ، ص ٦٩٣

(٢٢) مهدية ، دفتر صادر ٨ ص ١٢٤

(٢٣) مهدية ، دفتر صادر ٨/١٢٥

لعماله في منطقة رفاة الهوى بتجريد العربان من الاسلحة النارية
والجبخانة وأخذ الجهادية منهم حيث انهم اشتركوا في حصار سنار ولا
بد أن لديهم جزءا من هذه المهام (١١٤) ، وقصد الخليفة عبدالله من هذا
الاجراء تجريد العربان من أسلحتهم ومن الجهادية الذين يتعاونون معهم
في الثورة ضد أمراء المهديّة وليقلل فاعلية مقاومتهم عند ارسال الحملات
للتأديبهم .

اعلن عربان رفاة الهوى العصيان ولم يستجيبوا لدعوة الخليفة
وتجمعوا في فوز الهجليج تجاه فاشودة واستعدوا للحرب وكان ذلك على
أثر عودد أبي عنجة من جبال النوبة . اختار الخليفة عبدالله سرية من
جيش أبي عنجة وعقد لواءها لعبدالله ود ابراهيم والزاكي طمل وأرسلها
بطريق النيل الابيض وأرسل سرية أخرى بقيادة اسماعيل ود الامين
من مشاتخ حسر عن طريق النيل الازرق فنزلوا في أبي شوكة وقطعوا خط
الرجعة عليهم . فسار عبدالله ود ابراهيم بالوابورات حتى أتى الجبلين
فأنزل جيوشه الى البر وتقدم الى فوز الهجليج فأوقع في المرضي وقومه
واقعة مشهورة وقتله هو وجميع كبار جيشه ومنهم الشيخ محمد ابن
الشيخ مالك ومردس شيخ العلاطين و ابراهيم ود صابون شيخ العقلين
والفقيه ابراهيم ود خالد وغيرهم . ومن فر من الواقعة وقع في يد جيش
النيل الازرق ، فاجتمع عند أنصار الخليفة عدد كبير من الاسرى والغنائم
من الابل والغنم فأتوا بها الى الخليفة فوزع الاسرى في الجهات وضم
الغنائم الى بيت المال واخترق عبدالله ود ابراهيم الجزيرة وأتى الى أبي
حراز في ٣ صفر ١٣٠٥ هـ الموافق ٣١ اكتوبر ١٨٨٧ م حيث كان ابو عنجة
ينتظره فسار معه الى القلابات .

(١١٤) مهديّة ، دفتر صادر ص ١٠٢ ، رسالة من الخليفة عبدالله السى
أبي عافلة ، ٢٥ صفر ١٣٠٣ هـ / ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ م .

وهكذا انتهى الحال بقبيلة رفاعة الهوى والقبائل المتحالفة معها ،
وحسب ما أوضحت فإن قبيلة رفاعة الهوى قدمت تضحيات كبيرة فسي
سبيل تأييد حركة المهديّة وبحكم قربها من الخرطوم وسنار تعرضت
لحملات تأديبية قدمت بها كثيرا من الشهداء ، وبعد وفاة المهدي وسقوط
سنار لم تجد عربان رفاعة الهوى مطالبها أو تحقيق الآمال التي كانت
تراودها . كانت تسعى الى الخلاص من دفع الضرائب فوجدت نفسها
ملتزمة بنفس الاعباء المالية في عهد المهديّة وكان مندوبو بيت المال يطوفون
أرض رفاعة الهوى يجمعون الزكاة وهم الذين رفعوا أمر التردد والعصيان
الى الخليفة عبدالله . وبالإضافة الى دفع الزكاة كانت القبيلة لديها
أوامر بالهجرة الى أم درمان ومعنى ذلك السفر الى الجهاد في الشمال أو
الشرق . ولم يكن بالأمر الهين على قبيلة بدوية أن تترك ديارها بعد
المصائب التي حلت بها . فقدت عددا كبيرا من رجالها على يد الحكومة
السابقة ، أبناء المكاشفي ، الحاج أحمد عبد الغفار والشريف أحمد طه
وفقدت عددا من زعمائها التقليديين أمثال المرضي ومحمد مالك ابي روف
والواقع ان معظم قبائل الجزيرة تمردت وتسوقت عن الهجرة ودفع
الزكاة لقبيلة الحلاوين التي بادرت بالدخول في المهديّة تحت قيادة مشايخ
السمانية وامتنعت عن تقديم زكاة العشور لأحمد السني ، رغم وفرة
الذرة لديهم (٤٥) .

وحتى قبائل الجيم مناطق والكواهلة والشنخاب وسليم والاحامدة
هرب عدد كبير منها الى الجبال خوفا من الهجرة الاجبارية وأصدر
الخليفة عبدالله أمرا الى كافة الانتصار وخاصة الامراء والعملاء يفيدهم
بأن عددا من أفراد هذه القبائل لم يجد فيهم الايف وجأهروا بالعصيان

(٤٥) أحمد عثمان ، المصدر السابق ص ١٩٤

ولم يبق لهم قرار غير الفرار ويأمرهم بسد الطريق عليهم وكل من يجدوه منهم اما أن يقتلوه ويصادروا كافة ممتلكاته ، وحذرهم بأن كل من يهرب عن طريق جهتهم فهم المسؤولون عن ذلك (٤٦) .

ويبدو ان الخليفة عبدالله خشي من انتشار التمرد في شكل جماعي بالجزيرة فجعل يتلمس طريق الوسطاء ويحول المشاكل الى غيره من الخلفاء ويقبل الحلول التي تليها القبائل المعادية كما تريد (٤٧) .

(٤٦) مهديّة ، دفتر صادر ١٠ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد تورهن بتاريخ ٣ صفر ١٣٠٣ هـ .
(٤٧) احمد عثمان ، المصدر السابق ص ١٩٧

قبائل دارفور

وبعد أن فرغنا من عرض وصف قبائل الجزيرة في بداية الحركة المهدية وبعد قيامها تتناول موقف قبائل جنوب دارفور ومن أهمها قبائل الرزيقات التي أسرعت في الانضمام للحركة المهدية بقيادة زعيمها مادبو علي ، إالدي لبي دعوة المهدي دون تردد وأخذ البيعة في قدير واشترك في واقعة الشلاي وعينه المهدي أميراً على الرزيقات. ومن الأسباب التي دفعت البقارة عموماً والرزيقات خصوصاً إلى الثورة مركزية الحكم قبل المهدية والتي أخضعت شيوخ القبائل لمديري المديرات ونوابهم بعد أن كانوا سادة بين قومهم . والسبب الثاني محاربة تجارة الرقيق التي أفقدت البقارة مصدراً هاماً من مصادر الربح والغنية (٤٨) وتطلع البقارة إلى اشباع رغبتهم في الحرب والسلب فأجتمع عدد كبير منهم على مادبو فسار بهم إلى شكا وقاتل حاميتها وغنم سلاحها في ٢٠ يونيو ١٨٨٢ (٤٩) وفي أواخر شهر أكتوبر ١٨٨٢ م هزم سلاطين في واقعة أم وريقات واضطر إلى الهرب إلى داره حيث وجد حاميتها في حالة عصيان وعزوا هزيتهم في أم وريقات بسبب أن قائدتهم نصراني ما دفع سلاطين ليعلمن إسلامه، وأخيراً لم يجد بداً من الاتفاق مع محمد خالد زقل بالذهاب إلى المهدي حسب تنفيذ الخطة التي ذكرها شقير وهي أن سلاطين عندما تيقن من

(٤٨) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٤٥

(٤٩) نعم شقير ، المصدر السابق ص ٧٢٨

عصيان أهل دارفور وأنه لا يمكن ردهم إلى الطاعة والولاء إلا إذا كسرت شوكة المهدي في كردفان وكان قد بلغه خبر حملة هكس فأصبحت آماله كلها معاقبة بها ، فأحب مخاطبة هكس ليعلمه بحاله ويستجبه على افتقاده ولكن كان يخشى شبر محمد خالد زقل مدير داره لانه من أقارب المهدي . ويذكر شقير بأن سلاطين أراد التخلص من محمد خالد من جهة والاحتياط للمستقبل من جهة ثانية فخلا به وأخبره بأنه عالم بعلاقته مع المهدي وقال له اني مرسلت الى الابيض لمنع المهدي من ارسال جيش الى دارفور أو تحريض أهلها على الثورة ، فان غلبه هكس واسترد منه البلاد فأنا شفيعك عند الحكومة والا فالبلاد نفسها تسلم للمهدي وخير له أن يأخذها عامره من أن يأخذها خربة (٥٠) .

والمهم ان قوة الثورة في جنوب دارفور هي التي أدت بسلاطين الى هذا الموقف ودفعته دفعا الى التسليم . وأسهم الرزيقات بقدر كبير في الثورة . ويبدو ان مادبو كان بأم درمان عند وفاة المهدي ، ويستدل على ذلك من خطاب موجه من بعض الشخصيات من بينهم مادبو علي موجه الى محمد خالد يطلبون منه الحضور الى أم درمان . وعاد مادبو الى دار الرزيقات ليجمع الرزيقات ويحضر بهم الى أم درمان حسب سياسة الخليفة عبدالله . وعندما عاد مادبو الى أرض الرزيقات عدل عن دعوة الخليفة وأخيرا أعلن العصيان . ويبدو ان مادبو كان يسعى الى التخلص من حكم الخليفة عبدالله والعودة بدارفور الى ما كانت عليه قبل حلول الادارة التركية - المصرية بها .

كما انه لم يكن راضيا عن سيطرة كرم الله محمد كرقساوي على جهات شكا ووجود جماعة البحارة (سكان المناطق النيلية) في أرض

(٥٠) المصدر السابق ص ٧٣٠

الرزيفات وكانت بينهم وبين البقارة عداوة تقليدية في السيطرة على الارض الواقعة بين جنوب دارفور وبحر الغزال ، والسبب الاخير فسي عصيان مادبو خوفاً من انتقام الخليفة عبدالله (٥١) .

خرج كرم الله كرقساوي من بحر الغزال في طريقه الى أم درمان مهاجراً ووصل الى شكا فأستند اليه الخليفة عبدالله مهمة القبض على مادبو علي بماارده الى حدود الفاشر حيث كان يطمع في مخالفة يوسف ابراهيم ولكن الاخير خذله وسلمه الى كرم الله كرقساوي والذي أرسله بدوره الى حمدان ابي عنجه في الابيض حيث تم اعدامه وأرسل رأسه الى الخليفة في أم درمان والذي أقر حمدان على فعلته . وبسقتل مادبو انكسرت شوكة الرزيفات والقبائل المتحالفة معها من هبائية ومعالية وبني هلبة وأذعنوا لامر الخليفة عبدالله .

(٥١) موسى المبارك الحسن ، المصدر السابق ص ٩٣

الهجرة الى ام درمان

وبعد وفاة المهدي وجه الخليفة عبدالله المنشورات الى كل زعماء القبائل بالحضور الى أم درمان لتجديد البيعة وزيارة قبر المهدي وكلف بعض الموجودين منهم بأم درمان بالرجوع الى أوطانهم لجسع أهاليهم واحضارهم الى أم درمان وحجز بعض زعماء القبائل الكبيرة في أم درمان كرهائن للضغط على أهاليهم ليسرعوا في الهجرة الى أم درمان .

وبسبب وفاة المهدي المبكرة شك عدد كبير من زعماء القبائل في الدعوة وتمنعوا في احضار قبائلهم لام درمان . لجأ بعضهم الى المداراة والبعض الآخر جاهر بالعصيان ، وتمكن الخليفة عبدالله من حجز عدد منهم بأم درمان للتربية على النظام المهدي والغرض من ذلك اذلالهم وكسر شوكة غرورهم ومات عدد منهم بالسجن وعدد آخر نفذ فيهم حكم القتل .

العداوة بين الخليفة عبدالله والزعماء من القبائل لها أسباب نفسية نسبة لان الخليفة عبدالله لم يكن منتميا الى هذه الطبقة وانما ينتمي الى بيت ديني ومن فرع ضعيف في قبيلة التعايشة فلم يكن من السهل على زعماء التعايشة - فضلا على القبائل الاخرى - ان يستكينوا له حاول عجيل الجنقاوي الخروج على نفوذ او سلطة الخليفة عبدالله في ايام المهدي فكان نصيبه القتل . لم يلب الغزالي خوف زعيم التعايشة دعوة

الخليفة عبدالله للهجرة وهرب الى دارفور وجع عليه بعضا من بطون قبيلة التعايشة وحارب البطون الطائفة للخليفة عبدالله . اهتم الخليفة بأمر الغزالي والتعايشة المناصرين له أشار على عثمان آدم بأن ينصرف سريعا الى تاديبيهم، وان عسى ذلك تأجيل هجرة من عداهم من القبائل (٥٢) .

اعد عثمان آدم جيشا لغزو التعايشة ولكن الغزالي انصاع للاوامر وعاد تائبا وقابل عثمان آدم بالفاشر وانصاع التعايشة للهجرة التي تمت في اغسطس سنة ١٨٨٨ و اقام الغزالي بأمر درمان وفي عام ١٨٩١ م وحل الخصام بينه وبين الخليفة عبدالله الى قتله وسجن زعيم التعايشة التقليدي لمدة شهر عقب هجرة كبيرة لرجال قبيلته من أم درمان في اغسطس عام ١٨٩٠ م . وبعد مضي عام استطاع الهرب الى الغرب واختفى اثره وقتل .

ومجمل القول ان قبائل كبيرة وقتت تعارض دعوة المهدي الا انها لم تستطع ان توقف زحفها العسكري وذلك لعدم وجود تنسيق بين القبائل المعارضة وتباعد مواطنها . ولم تجد هذه القبائل مساعدة فعالة من القوات الانجليزية في سواكن والقاهرة ما عدا بعض المساعدات المالية اليسيرة التي كان يقدمها كشمس لمحمود بك زعيم الامرار وقائد جيوش العربان للمقاومة المهديية في شرق السودان ولم تستطع الحكومة المصرية تقديم مساعدات فعالة للقبائل الموالية لها وربما ان الحكومتين احجبتا عن تقديم مساعدات فعالة خوفا من نشوب حرب اهلية بالسودان . كما ان الحكومة البريطانية لم تكن راغبة في انشاء حكومة حاضرة بين مصر والسودان لتفادي المشاكل الدبلوماسية وكانت تخطط لعملية اعادة فتح السودان وفق المصالح البريطانية في المنطقة . وكانت سلطات جيش الحدود ومخابرات الجيش المصري على صلة بالقبائل المعارضة لحكم

(٥٢) موسى المبارك الحسن ، المصدر السابق ص ١٣٤

الخليفة عبدالله وتقدم لها بعض المساعدات البسيطة وبأسباب ذلك تعرضت قبائل الجعليين لبطش الخليفة عبدالله والذي كان متخوفاً من وجود علاقة بين عبدالله وسعد زعيم الجعليين وقيادة الجيش الفاتح ولعله خشي ان يسير الجيش الفاتح بطريق صحراء بيوضة في زحفه الى أم درمان وينضم اليه الجعليون عند وصوله بالضفة الغربية ولذلك قرر الخليفة عبدالله اجلاء الجعليين عن الضفة الغربية للتيل واستدعي عبدالله ود سعد الى أم درمان وامره بتنفيذ هذه الخطة وتظاهر عبدالله ود سعد بالانصياع لاوامر الخليفة ولكنه كان يضمر المقاومة . وسافر الى المتمة ووصلها في ٢٠ / يونيو / ١٨٩٧ وارسل احد اقاربه الى قيادة الجيش الفاتح يطلب العون وارسل الى قبائل الجعليين يخبرهم بأوامر الخليفة عبدالله وطلب منهم الحضور الى المتمة بأسلحتهم .

سير الخليفة عبدالله جيش محمود الى المتمة . قبل ان يعلن الجعليون عصيانهم وكان عدد الجيش يقارب الثمانية آلاف مقاتل استدعي محمود ود احمد عبدالله ود سعد ووعدته بالثغر في ظلاماته ولكن عبدالله ود سعد رد عليه معلنا انضمامه للجيش الفاتح وعرض على محمود الانضمام اليه (٥٣) .

وفي ٣١ محرم ١٣١٥ هـ اول يوليو ١٨٩٧م هاجم الانصار المدينة المتمرده وقاوم الجعليون مقاومة بأئسة يائسة ، وكان عبدالله ود سعد من ضحاياها وكان انتصار محمود ود احمد في المتمة مأساة دامية بالنسبة للمهدية ، اذ كانت نهاية دموية الكراهية سادت بين اولاد البلد واولاد العرب طول فترة المهديية .

لم يكن في مقدور الخليفة عبدالله ان يوفق بين مطالب الاشراف

(٥٣) المخابرات المصرية ١/٥٠/٢٩١

واولاد البلد وبين مطالب اولاد العرب الذين اتخذهم حزبا مناصرا لبقائه
في الحكم وطبيعة تكوين نورة المهديّة لم تجعل في استطاعته ايجاد نوع
من التوازن بين الفئات المتنافرة وبعبارة اخرى لم يستطع خلق صفوة
حاكمة من كل القبائل لحفظ ميزان القوى بين هذه الفئات .

الخاتمة

أرتكزت حركة المهديّة على دعوة دينية ، تهدف الى اصلاح العقيدة الاسلاميّة وتنقيتها من الشوائب التي علقّت بها .

وقد اختلفت حركة المهديّة السودانيّة ، عن كل الحركات السابقة لها فهي ليست امتدادا لحركات الشيعة ولا تستمد تعاليمها من مدرسة معينة في التصوف بالرغم من ان المهدي كان من مشايخ السمانية كما ان مزاجه الفكري كان بعيدا عن دعاة الاصلاح والتجديد والسلفيين رغم ان كثيرا من المعايير ذات المشرب السني وردت في منشوراته . وقد باعد بينه وبين السنيين اعتماده على علم الباطن . وبعد نجاح حركته ألغى الطرق الصوفية وأبطل العمل بالمذاهب الاربعة وأعلن ان عامة أصحابه في منزلة أعلى من منزلة القطب الصوفي عبد القادر الجيلاني ولعله اختار الجيلاني من بقية الاقطاب الآخرين لانتشار طريقة القادرية وفروعها في السودان ولمكانة الجيلاني بين اقطاب الصوفية .

وقد أعطى المهدي نفسه ألقابا مختلفة حسب مسمياتها عند الفرق الاسلاميّة المختلفة، ووصف دعوته بالخلافة الكبرى وبالامامة وهو خليفة رسول الله والمهدي المنتظر وقد اعلن ان جميع افعاله واعماله تتم عن طريق الالهام بأمر من رسول الله وذكر بأن خليفته الاول يتمتع بهذه الميزة .

وهذا يعني أن المهدي لم يعد محتاجا للعمل برأي الائمة وفي غير حاجة الى كتبهم وكتب غيرهم من العلماء والفقهاء والشراح ، كما أنه ليس في حاجة لاتباع اهل الطرق رغم انه اشار بان تنصيبه مهديا تم في حضرة نبوية حضرها عدد من الاولياء . وبهذا اعلن المهدي خروجه على الدولة العثمانية والخديوية والحكمدارية واصبح في منزلة لم يقره عليها بعض العلماء والفقهاء ومشائخ الطرق ، وقد حاول بعضهم نفيه عن هذه الدعوة ان معرفة آراء العلماء في المهديّة قبل تدخل الادارة التركية المصرية لجد هامة لانها كتبت في مرحلة لم تظهر فيها اتصالات المهدي على جند الحكومة . وقيل ان الخطابات التي ارسلها بعض العلماء الى المهدي ردا على منشوراته السرية قد قام بحرقها محمد سعيد باشا ، مدير كردفان عند وصوله الى الجزيرة ابا بعد ان غادرها المهدي .

ومهما يكن من امر ، فان الحكمدارية لم تدرك خطورة دعوة المهديّة، وعالجتها بطريقة دلت على ضعفها وضعف الخديوية وفي خلال أربع سنوات من نشوب الثورة المهديّة تعاقب على الحكمدارية اربعة حكام لم يفلحوا في مقاومة الحركة . ولم تكن رسائل العلماء ذات جدوى في فض الناس عن حركة المهديّة لان العلماء كانوا جزءا من جهاز الحكومة وكانت رسائلهم عبارة عن دفاع عن الادارة التركية المصرية ومحاولة لاثبات شرعية الحكومة عن طريقة النصوص الدينية ، رغم ان الخديوية كانت في نظر المدافعين عن صحة المهديّة ، متعاونة مع القوى الاوربية المعادية للاسلام والمسلمين اما بعض مشائخ الطرق الصوفية فلم يعتقدوا بأن المهدي وصل الى مرتبة المهديّة ولكن بعضا منهم انقادوا له عندما بدر لهم عجز الحكومة عن مقاومته فهرعوا اليه ، يأخذون البيعة ، وبعد وفاته استمر بعضهم في مشايعة الحركة تقيّة وبعد وفاته أصبح الخليفة عبدالله وجها لوجه امام المشاكل التي نتجت عن تناقضات دعوة المهديّة .

ويمكننا ان نلخص المتناقضات التي واجهت الخليفة عبدالله من جراء عقيدة المهدي في أن الحركة كانت حركة دينية سلفية حاولت ان تعيد الاسلام الى سابق عهده في ايام النبي والخلفاء بصرف النظر عن تأشير عامل الزمن في الاحداث. اوجد المهدي نظام الخلافة وفق التصور الصوفي وجعلها مراتب وكراسي للكبار من أتباعه فأصبحت لهم مراتب دينية معينة واصبح لكل خليفة جيش خاص به تحت راية معينة واخذت شكلا اقليميا مما جعل النزاع والخصام امرا طبيعيا بين هذه المجموعات ..

وعندما مالت امور المهدي للخليفة عبدالله ، لم يعط الفرصة لاحد الخليفين ليكون نائبا له كما كان الحال بالنسبة له مع المهدي وانما اعتمد على اخيه يعقوب الذي كان وكيلا للراية الزرقاء في واقع الامر اصبح له وكيلا أو نائبا في جميع أمور الدولة وأصبح الرجل الثاني في الدولة .

وكان أنصار الراية الزرقاء منحمسين للدعوة وميالين للحروب بفطرتهم البدوية ، على خلاف أنصار راية الخليفة شريف التي كان جل أتباعها من سكان المناطق النيلية وهم حضر ، وكان لمعظمهم ارتباط سابق بالطرق الصوفية ولم يكن حماسهم لدعوة المهدي في مستوى حماس اولاد العرب . اما الراية الثالثة وهي راية الخليفة على ود حلو ، فكان مواقعها وسطا ، اتباعها بين قبائل بقارة النيل الابيض وتفاوتت حياتهم بين البداوة والحضر واستفاد الخليفة عبدالله من وضع هذه الراية في المحافظة على ميزان القوة واصبح انصار هذه الراية وقائدهم فسي موقف وسط بين اولاد العرب واولاد البلد وعرف الخليفة على ود حلو بتدينه الشديد ونظرته للامور من الزاوية الدينية واعتمد الخليفة عبدالله على تأييده وتأييد زملائه من جماعة المتدينين وهم محمد المكي اسماعيل واحمد شرقي في كثير من القضايا الهامة ..

وبالإضافة الى ذلك فان نظام الخلافة جعل الطامعين في الخلافة والمنافسين للخليفة عبدالله يطالبون بكرسي خلافة عثمان الشاعر لعدم استجابة ابن السنوسي لملء هذا الكرسي الذي خصص له في حضرة نبوية.

وقد ترتب على المطالبة بهذا الكرسي الشاعر ، في الخلافة مشاكل في غاية الخطورة هددت مصير المهدي في اطوارها الاولى ، واعني بها حركة المنة اسماعيل والذي خرج على المهدي غاضبا ولكنه لم يقم بدور ايجابي سريع بحدد موقفه من المهدي ولم يعطه المهدي الفرصة لمقاومة سلطته وانما اتخذ اجراءات عسكرية حاسمة قضت على حركته في مهدها . كما أن خلو هذا الكرسي أتاح الفرصة لابي جسيمة للمطالبة به وجعله مسوغا دينيا لالتفاف القبائل حوله وكاد ابو جسيمه ان يقضي على حكم الخليفة عبدالله في دارفور ، الا ان المنية عاجلته بسبب اصابته بمرض الجدري .

ومن نفس المفهوم ظهرت ادعاءات نبوءة عيسى ولولا حزم أبي عنجه لحدثت حركة مدعي العيسوية في القلابات هزة عنيفة في جيوش المهدي في القلابات والسودان الشرقي ويلاحظ ان ادعاء خلافة عثمان ونبوءة عيسى كانوا من القلائد .

ومن نتائج التنافس على تزعم حركة المهدي والاستئثار بالقيادة ، النزاع الذي شب بين اولاد العرب والاشراف وقسم حركة المهدي الى قنيتين قننة بزعامة الخليفة عبدالله واولاد العرب وقننة بقيادة الخليفة محمد شريف وأولاد البلد ، وظهرت بذور هذا النزاع بعد واقعة قدير الثانية وبالرغم من ان المهدي اعطى بعض الوظائف القيادية في العمالات لاقاربه من الاشراف ، الا انه اعطى للخليفة عبدالله قوة خاصة في السلطة المركزية جعلته الرجل الثاني في الحركة ، ولكن الاشراف ظلوا في شقاقهم مع الخليفة عبدالله ، الى ان باغتتهم وفاة المهدي المبكرة ولم يتحملوا سلطة الخليفة عبدالله المطلقة ولم ينظروا اليه كمنظرتهم الى المهدي وهو بدوره

لم يكن يثق فيهم ، فعزلهم عن جميع العمالات واصبح لا يعتمد الا على اقاربه من اولاد العرب وقد اضررت هذه السياسة كثيرا بحركة المهديّة . ان الاجراءات التي اتخذها الخليفة عبدالله لسحب عمال الاشراف من دارفور وبحر الغزال وكردفان ساعدت في قيام بعض حركات العصيان ضد حركة المهديّة . مما كلف الخليفة عبدالله كثيرا من الجهد والنفقات العسكرية لاخضاد هذه الحركات فقد نشطت حركات عصيان الكبسايش بعد خروج محمد خالد من دارفور ، وجاهر مادبو بالعصيان واصطدم مع قوات كرم الله كركساوي المهاجرة من منطقة بحر الغزال الى أم درمان ، ومهد خروج محمد خالد لحركات تمرد الفور بقيادة يوسف ابراهيم ولم تعد الامارات الاسلامية في السودان الغربي ، في علاقاتها الحسنة مثل التي كانت في أيام فترة عمالة محمد خالد ، ولتخوف هؤلاء الامراء من غزو المهديّة لمناطقهم فانهم شجعوا أبا جميّزة في ادعائه لخلافة عثمان ومحاربه لجيوش المهديّة .

ان اعتماد الخليفة عبدالله على اولاد العرب أفقد حركة المهديّة الصفة القومية وحوّلها الى حركة عنصرية وأصبح البقارة والجهادية هم الانصار الخاص للمهديّة وكانوا مصدر شقاء لفئات المجتمع الاخرى وخاصة المناطق غير المتعاطفة مع المهديّة ، مثل بعض القبائل النيلية وقبائل الشكرية والجزيرة تعرضوا كثيرا لاعتداءات الانصار وأصدر الخليفة عبدالله عددا من المنشورات يمنع فيها التعدي على الناس وأخذ ممتلكاتهم بدون حق .

ان عدم ثقة الخليفة عبدالله في الاشراف وشيعتهم جعله يقوم بتهمجير البقارة واولاد العرب الى أم درمان كرها كما قام بدفع القبائل الاخرى دفعا للجهاد وان عمليات الهجرة الجماعية والجهاد المستمر حطمت

النظام الاقتصادي للقبائل • ان عدم اقتناع عدد كبير من القبائل بخلافة
عبدالله جعله يعتمد على أهله البقارة وحتى هؤلاء أكرههم على الهجرة
فأصبحوا ساخطين على المهديّة •

قضى الخليفة عبدالله الشطر الاول من حكمه في تأمين خلافته
واخضاع الجبهة الداخلية وما ان فرغ من ذلك ، حتى أطل الخطر
الخارجي مهددا له من جميع الجهات وخاصة الجهة الشمالية •

لم تجد دعوة المهديّة تأييدا مطلقا من قبائل السودان ، وبعد هزيمة
الخليفة عبدالله وزوال دولة المهديّة عاد اتباع الطرق الصوفية الى طرقهم
القديمة وانحصرت عقيدة المهديّة في أنصار النيل الابيض من قبائل دغيم
والشخاب وقبائل البقارة بصفة عامة في دارفور وعوائل الاشراف ••

الملحق رقم (١)

١٤ رجب ١٣٠٣ خطاب الى محمد الخير صورته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم الخ وبعد فمن عيد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى محبوب القواد وراحة البال وصفي الود الحبيب في الله والصديق لله العامل محمد الخير عبدالله خوجلي كان الله له واعانه وايده واورده من مقامات الاحسان كل شرب حلي امين اما بعد سلامي عليك ودعائي لك بما يشرح صدرك ويفر عيبك وسؤالي عن جميل احوالك وحميد فعالك فأعلمك انا بحمد الله على اطيب حالة ترضاها واكمل نعمة يجب شكرها وثناءها جادين فيما يصلح أمر الدين ويرشد العباد الى مرضاة رب العالمين ونحن على ذلك والاتفات الى كشف اخبارك اذ ورد الينا رسولك الحبيب الطيب أحمد هاشم بكتبك فأطلعنا على ما فيها ثم بلغنا ذلك الحبيب عنك جميع ما تحمله منك على اماتته من مقاصدك الحسنة وعزوماتك المستحسنة وسعيك المشكور وفعلك المبرور ففهمنا احوالك وحمدنا الله تعالى على نظره اليك بعين العناية واتحافتك بجلي الهداية وجميع ما أنت عليه فجزاك الله فيه عنا وعن الدين ما هو اهله وبارك فيك وحفظك من بين يديك وشكر سعيك وعمك رضوانه وفضله ثم الذي نبسطه اليك ايها الحبيب

(١) مهدنة دفتر صادر ٩ ص ٣٧٥ بتاريخ ١٤ رجب ١٣٠٣ هـ الموافق ١٨ أبريل ١٨٨٥ م.

وتفيدك به من الاحوال هو انه بعد انتقال المهدي عليه السلام وقيامنا بهذا الامر عزمنا على ان نسير مع عباد الله بالرفق ولين الجانب وخفض الجناح وبسط السماح والتخلُّق بخلق غافر الذنب وقابل التوب وأن يكون لهم حالة امام الهدى عليه السلام ولا نحرك بينهم ساكن ولا نسكن متحركا الا بالتي هي أحسن كل ذلك شفقة عليهم وتاليفا لهم على الدين وميسرا معهم في غض الطرف بسير مهدي الله الامين وما كنا نحسب أن ذلك يؤدي الى تعطيل الاسلام وضرب الصفح عن الوفاء بعهد المهدي عليه السلام حتى صرنا كل ما رأينا سيئة من أحد نضرب عنه صفحا ونطوي عن معاقبته كشحا وخصوصا من بيت المهدي عليه السلام فمع كثرة وقوع المخالفات منهم طفقوا جادين فيما يفرق كلمة المسلمين وساعين في تنقيض مرضاة رب العالمين وعلى ذلك ما زلنا معهم بحالة الصفح رجاء ان يصلح الله شأنهم ويهدي قلوبهم وعلى كثرة غضنا للطرف عنهم وصفحنا عن زلتهم فما زالوا على تواتر أديتهم وشدة اجتهادهم فيما يعطل الامر ويثقل الظهر ويضاعف عليهم الوزر وحالتهم في غدوة كل يوم اربى من أمسه ولما طال علينا ذلك وتنادى وآيسنا من هدايتهم مع بقائنا على ما نحن عليه التفتنا لتأثير أمر الدين وانقاذ المسلمين فأخترنا في ذلك وتحققنا انه اذا لم يصر تجديد هؤلاء القوم من ظواهرهم التي صدتهم عن الله وابعادهم عن الامارة بالكلية لما استقام الحل ولا انصلحت الاحوال وعلى ذلك فبساء على مصلحة الدين قد اجرينا سلبهم عن ما بأيديهم من الاسلحة النارية والجهادية وعزلنا من كان منهم أميرا عن امارته وجبنا الامر واتحد الحال وصار الجيش بأجمعه في محل واحد تحت مصالح السدين واستقامت الحال وصفت الاحوال ووقف الحق على ساق وزهق الباطل وعلت كلمة الخلاق وصار الاصحاب في سرور شديد والسدين في تعزيز وتأيد وانشرحت صدور المؤمنين وطابت وزلزلت قلوب المنافقين وطارت وانتصر المظلوم من الظالم وردت الى اهلها المظالم وجرت الحدود الشرعية

بين الناس وبني الامر على خير أساس وصار كل من عليه تبعه من أخيه
ويبحث عليه حتى يجده ويرد اليه ظلامته وعلقه على كتاب الله على عدم
شكواه خوفا من القيام معه للحق وترتب الجزاء عليه وبالجملة فلقد
طاب الحال وتجمت الاحوال على حسب ما نحب ونرضى والحمد لله
وكفى وما كان صبرنا تلك المدة للناس الا رفقا بحالهم والزاما للحجة عليهم
ولما لم تنجح فيهم المواعظ معاوم ان امور الدين لا بد من القيام به كما
يجب نها نحن اعتصنا به واستعنا به على اقامة الدين ومعاملة المحسن
بأحسانه والمسيء بأساءته على وفق مرضاة رب العالمين ومن الآن فصاعدا
لا تأخذنا في الله لومة لائم ولا عتب على متعد او ظالم فأفهم ذلك ايها
الحبيب وقرء عينا وطب نفسا وشمري في الله حق التسمير وأقم دينه في
الوجه المدلوب واعلم انك منا على بال ونحب لك في الدنيا والآخرة
الكسال ولم نخرج من فكرنا وماحوظ بعين رضائنا نظرا لعلو هممك
وصدقك في تناولنا والقيام بواجب ارمانا في الله وعلى ذلك قدم وزد
تجد رضاء مبدولا وجزاء موصولا وانك من عهدنا بك في الله فمقامك
لدينا محفوظ وفضلك مشهود وفعلك محمود ومنا والينا ومن خاصة
أهل بيتنا ومحشور في زمرتنا دنيا واخرى ان شاء الله تعالى وبمنزلة
يعقوب منا وما خطر ببالنا انك بمعزلة عنا ولا في غير جهتنا وعلى ما كنت
عليه منا فأنت الآن كذلك وفوق ذلك جميع ما فينا تجده وفرا كيف وأنت
بحيث لا يجهل مقامك ولا تهمل ولا ينتهك حماك ولا تعزل والله تعالى
عالم بحاله معك ومحبتنا فيك فابشر بالخير وقرء عينا ودم على صفائك
وصدقك وجميل عزمك في القيام بأمر ربك وكن على ثباتك وحسن
صبرك وعزماتك واعلم ان الامر قد استقام وعن قريب تزدحم عليك
الجيوش أي ازدحام وينصر الدين وتفل شوكة الكافرين ولقد سبق
التحرير منا للاحياب عبد الرحمن النجومي فمن معه بالنفار اليكم ورد لنا
من الرد انهم شرعوا واخرجوا بعض الرايات للسفر وتحرر منا لهم ثانيا

بالتأكيد الذي لا عليه من مزيد وعن قريب يخلق بسوحكم ولا يخطر
ببالكم أنه من الآن فصاعدا يحصل التناقل في القيام بتنفيذ اوامرنا بل لا
لا يسع أحد غير العمل بسوجبها كما يجب وهكذا ساعون في تحريض
الاخوان على السفر لשובكم وكثيرا من الامراء والاصحاب اتدب لذلك
وعن هرب تتوارد سرايا نحو جهتكم فشمري يا حبيبي في مذاكرة من
معك من الاخوان وذكرهم بما اعدده الله للؤمنين في دار الخازن وقد
باننا ما أنت عليه من التفسير وما ذلك الا من باب التذكير ولما انك من
اجل الايدي والاعوان وأخص الاحباب والاخوان فقد بادرتنا بتحرير هذا
اليك اعلاما لك بما صار لسرح صدرك وهو ومن معك من الاصحاب
وبقية الاحوال والابخار فسياتيك تفصيها مع رسولك الحبيب الطيب
أما ما اجرينه من تولية الحبيب دمرشاوي محمد أبي حجل عاملا على
مدينة ابي حسد بدل الحسن سعد فهو موافق حين انك اعرف بمصالح
الدين في تلك الجهة ومنغوض فيها بجريه فيها فجزاك الله عن ذلك خيرا
وواصل لك ملي هذه منشورات بعد الاطلاع على ما فيها فانثروها في
تلك الجهة واجر العمل بسقتضاها والسلام *

الملحق رقم (٢)
الخطبة وأولاد البلد

٢ صفر ١٣٠٢ هـ

مهدية دفتر صادر ٩ ص ٦٠

تحرر خداب من خليفة المهدي الى يونس الدكيم صورته .

الحمد لله الوالي الكريم الخ وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه
السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى حبيبه المكرم يونس
الدكيم تولاه الله امين بعد السلام عليكم يا حبيبي اوصيك كل الوصية
بتقوى الله وان لا تصحبوا الا اخيار من المؤمنين وبالخصوص اولاد
البلد لا تخالطوهم وتجنبوا منهم ولا تدرجهم معك في رايتك وكلمسا
يحضر لك احد ارسله ولا تمسكنهم بيت المال ولا يؤازرك احدا منهم
غير الحبيب الصادق علي واجمع عليك اولاد العرب كأولاد حميد
وخلافهم من العربان وذكرهم ونهض همهم لله هذا وبعد السلام تحشية
وكالبهائية ومناطق والجوامعة لا بأس من ضمك ولهم وجميع العربان
المنقادين اجمعهم عليك فقط اولاد البلد لا يجتمعوا عليك ولا يؤازرك
منهم الا احدا يتضح لك صفاه وزهده وصدقه وحسن نية هذا وبعد
السلام .

تحشية والمحل الذي يوافق لك في دار الجمع انزل به واقم فيه أنت
ومن معك فأنكم مأذونين في ذلك والحاضر يرى ما لا يرى الغائب والسلام .
تحشية حبيبي واصل اليك منا خاتم ختم نقشة اعتمادي على الله
فأستعمله وأستعمل ختمه في كل ما يصدر منك والسلام .

الملحق رقم (٢)

دفتر صادر نمرة ١٠ رقم ٢٤٩ ص ٩٢

نبذه من جواب من خليفة المهدي لمحمد شيخ كركساوي بتاريخ ٢٥
سفر ١٣٥٤ .

« ... واول كل شيء تعلم ان عاملك الذي ضسناك عليه فهو الحبيب يعقوب بن محمد حيث أنك من الملازمة وقد فوضت امرك اليها فيما يكون فيه اصلاح نفسك ووصولك الى ربك فيتبقى اذا كان اردت اتصال مكاتبات اليها ان ياتي اليها بواسطة الحبيب المذكور لانه عامل الرايات عسوما وأي امر تريد فعنه من نفسك أمور المسلمين الذين معك وكيفية معاملاتكم معهم ومعنا تكون بواسطة الحبيب يعقوب المذكور في الكليات والجزئيات دون تفضيل كما ان الاعوان بالبقعة والخارجين بالجهات على هذه الحالة لا سيما الاحباب عبد الرحمن النجومي والحبيب محمد عثمان ابي قرجة والحبيب عثمان دقنة والحبيب محمد الخير عبدالله خوجلسي عامل جهة بربر ومحمد ارباب عامل القسلايات والحبيب النور ولد فقرا عامل بوغاز الحبسة والحبيب حسدان ابي عنجة والحبيب عثمان آدم فانهم الجميع بهذه الحالة وكافة أمورهم تأتينا بواسطة الحبيب يعقوب المذكور الاخير وجميع من ياتي منهم من الرسل والمكاتبات ينزلوا عنده وليس لهم معاملة مع أي احد كان كلية ولا بينهم مكاتبات مع احد ابدا

اصالة اعلمهم بتأكيدنا لكافة اصحاب المهدي عليه السلام انه لا أذن لاحد منهم في تحرير مكاتبة لجهة ما من الجهات في أي أمر كان كلية وبذلك انقطعت الوسائط كلية واقتصر كل احد في حال نفسه فقط بدون مدخل ولا تعرض في امر الدين وامر المسلمين فمن باب ارادة الخير لك يا حبيبنا نعلبك بالحال ونعرفك بسير الاصحاب معنا الآن فيلزم ان لا تصدر منك مكاتبة لاي احد كان كلية ولا تعرف احدا بالاحوال الجارية لجهاتكم ولا تطلب من احد قضا امر ولا تجعل لك واسطة بيننا وبينك غير الحبيب يعقوب اسوة امثالك الاعوان لنا على اقامة الدين ولان الحبيب يعقوب المذكور هو عامل الجميع ورفع امورهم بواسطته امر لا بد منه واما غيره فليس بسأذون في ذلك كلية وأنت معدود عندنا كمثل الاجباب حمدان ابي عنجه وعثمان آدم حيث انكم الجميع جهتكم واحدة فأتتم وهم حالة واحدة وجهتكم واحدة فكن على ذلك ايها الحبيب واعمل به ولا يكن لك مع اي احد كان اتصال ولا مخايرة ولا رفع أي امر كان من امور الدين والدنيا الا بواسطة الحبيب يعقوب والمذكور يعلمنا بهما حيث انه عالمك ومأمور بامثال أمره ورفع أمورك اليه والظن بك جميل واعلم ايها الحبيب أن محبتنا لك كثيرة ولا زلت مذكورا عنا بالخير وحاز لرضانا نظرا لعلو همتك في دين الله ..

ملحق رقم (٤)

بتاريخ ٢٥ رجب ١٤٠٢ هـ

من حكمدارية عموم سواحل البحر الاحمر وشرق السودان
لحضرة السيد بكري المرغني

وتسليطات الاشواق واسئل عنه عزيز الخاطر الشريف واعتدال المزاج
الباهر اللطيف ان شاء الله تكونوا سيادتكم مكملين بسلايس العامية وقد
وردت لنا جواباتكم المؤرخة ١٣ صفر سنة ١٣٠٢ هـ وصرنا معونين
ومتشكرين واما ما تقولوه في خصوص اجتهادكم لسكون الحركة بالتأكد
هذا معلوما واخبار مساعيكم واصلة ايضا للخديوي الاعظم بواسطة
جوابات وشفاهي وقت مقابلتنا مع جلالتة عند توجهنا الى مصر لمصالح
ميرية وتقابلنا هناك ... / الكلام الذي حصل بيننا بخصوص سيادتكم
وها هو مرسل لكم جواب من طرف سيادتكم وبخصوص ما تقولوه لنا
عن لزم وجود مدير جهادي مدير فهذا صار ... / ارسل حسون بيك
قومندان عساكر سنهت لهذا الخصوص ولكن وجدت أنه ليس موافق
لهذه الوظيفة وبنفسكم ايضا لم لن تكونوا مبسوطين / منه ووقت
وجودي بمصر تكلمت مع الحضرة الخديوية لاجل تعيين واحد ضابط
مثل سعادة راشد باشا كسال او خلافه لكن اتفق الرأي أنه لا احد حيث
لا يمكن ارسال امدادية الآن واتفق الرأي العمومي بمصر ان الطريقة

المستحسنة لسكون الحركة يصير ضرب ريس الاشقياء ولاجل ان قسوة
عظيمة لمحاربة المشهدي المحاصر الخرطوم واذا ربنا ينصر الجيش المذكور
علمنا ان الحركة تسقط وان القبائل بنفسها تطلب اذ القبائل ما زالوا
محاربين يمكن يصير نزول جيش انكليزي في جهة بربر لضربهم قيادتكم
باتحادكم مع مدير التاكا يلزم النظر فيما يستحسن جمع القبائل واذا يمكن
الحصول على الماوونة احسن العساكر ينتظروا بما سيحصل في المستقبل
واذا ارسلهم ناس الى جهة سوق ابو سن مطبقا بها / سيكون لهم الخبر
اول باءا، عن افعال الجيش الانكليزي بالخرطوم واذا المرسلين يمكن
يفهموا الشكرية بارسال ماوونة للتكارة . وبهذه الكيفية ستحصلوا على
ثمنه ومكافئة فسيادتكم وحضرة مدير التاكا مرخص لكم ان تجلبوا
الماوونة للتاكا وتشتروا بأي ثمن كما اخبرناكم عن جميع الاخبار الخير
والشر وانشاء الله عن قريب نعطيكم الاخبار المفرحة فحينئذ عشمنا
ورغبنا ان لها تفكروا بتوجيهكم الى الحج / الآن عندنا عشم كبير اذا
يمكن استحصال العساكر على الماوونة ان سيصير سكوته الحركة عن
قريب وقد حررنا للمدير بتاريخ ١٦ ربيع اول / اخبرناه انه في ربيع ٥
اول الجيش الانكليزي قام من امبوكلة طوغري الى شندي والخرطوم
وجيش آخر قام من دنقله الى ابو حمد وبربر واما احمد افندي المنسي
الصاقول اغاضي كتب للمديرية بالاستفهام وها هو صورة الجواب طيه
لمعلوماتكم ومرسول لكم ايضا حوالة على مبلغ الفين ٣٠٠٠ ريال حيث
انه لا يمكن ارسال تقديرة فلا شك ان تحولوها لاحد التجار بالتاكا او اذا
لم يمكن بالتاكا يصير ارسالها بسنهيته / او يصير دفع المبلغ المذكور من
خزينة الميرية وهذا المبلغ مرسول لسيادتكم نظر المصاريف تلاميذكم
واتباعكم واقبلوا مزيد احترامي . . .

الملحق رقم (٥)

تقرير حسين باشا خليفة

ريس مجلس النظار دوتلو افندم رأى بحضورنا لديكم يوم الاربع الموافق ٢٥ الجاري وبالسؤال منا في كيفية عدم جلب الاخبار السودانية وبالكلمة معنا في دولتكم وفي سعادة الجنرال الحاضر بسجلتكم ترى عدم امنيته في عربان العبايدة وتريدوا الاستفهام منا عن الاسباب أولا/ في خصوص ان فيه ضمائر في العبايدة فأقول ان نحن والعبايدة مغمورين في خيرات الحكومة ولم عندنا التفات لخلافها .. ومعايشنا / ومعايش أبانا منها لغاية وقتنا هذا وما يمس الحكومة في ادنا شيء فنحن والعربان جسعنا في خير وشر تحت أقدامها وتحقق لكل انسان ان الضد الاكبر للسودانيين هم قبيلتنا سيما في حالة فتوح السودان اولا والدنا هو السبب الوحيد في فتوحها برجاله / وقبائل العبايدة مع عساكر الحكومة ولغاية الآن أكابرهم يخبروا أصاغرهم بأن لا عدو لهم الا عربان العبايدة .. ووالدنا وبهذه الوساطة لا يكون لاحد منا ادنى ميل لاي جهة كانت تعاد للحكومة وفضلا في السودانيين الذي هم اعداءنا واما تخلصنا منهم فهو معلوم لديكم من بعد المشقات التي تكبدناها معهم تقريبا في سنة وبهذه الوساطة لا يكون لاي عاقل اذ كان فكره في قبيلتنا تضادي للحكومة افهل جميلا ما اجريناه مع الاشقياء وتخلصنا منهم فمني ظني أنه في بساب صداقتنا للحكومة واما في الارشاد / عن الطرق المادية لجلب الاخبار

فهو يتعين مقدار عشرين نفر من بشير بك ومنشع بك ويكونو من اقاربهم من الناس / الذين يعول عليهم بركابهم ويتمينوا بأبار السكة الفوقائية منهم خمسة بيبر ام بال وخسة بيبر الحليب وخسة بالنابع وخسة بأحير وهؤلاء الابار يمر عليهم المحضرين من قبلي ومنهم ولو ان البعض منهم فيهم عربان من البشاريين ويكون مع كل خسة انفار واحد من العباددة الذين يعرفون القراءة والكتابة لوصول الاخبار اول بأول مع هجائة منهم ويتأكد عليهم بأن كلما يبلغهم من الاخبار من جهة السودان يعطوه الى قومندان اصوان اول بأول وأيضا سكة ابو حمد الموصلة الى كرسكو فيتعين من طرف ولدنا احمد وولدنا صالح عشرة انفار لجلب الاخبار من جهة المرات ومن جهة الغرب في ابو حمد ويعطوها اول بأول للقومندان الذي بكرسكو أو لمن تأمروا به دولتكم وبواسطة ذلك يكن الوصول على الاخبار اول بأول كذلك ينه على الشيخ ابو عمار نبيخ العماجات الذي مقيم بحري كرسكو يستجار بأنه كما يرد عنده من الاخبار يعطيه بما ان محل بلده طريق معتاد واما جهة جلفا فهذه جهاتها منوطة بعربان الجراريش الذين شيخهم يدعى سليمان فضل فمن طرف دولتكم ينه عليه نحو ذلك بما ان العباددة الذين كانوا بتلك الجهات الى حد دنقلة هاجروا منها وحضروا الى مديرية اسنا لداعي عربان الجراريش سكنهم قديما بتلك الجهات ومدركة اخبارهم عندهم بسوجة التفصيل فمع الاستحسان اذا وافق حضور مشائخ العربان لديكم واعطاهم التنيهات بما سبق ايضاحه واخذ العهدات القومية عليهم او يصدر امر دولتكم سواء كان يؤخذ عليهم التعهدات هناك او هنا واما في شخصنا فنحن مقيمين بمصر ولا يكن بجوارنا عربان ترسلهم لجلب الاخبار و فقط ما يرون الاخبار هو من صالح لا غير وكما يرد منه أول بأول من المكاتبات جاري تسلمها لسعادة ناظر الداخلية وفي العزوم ان الاخبار تكون منوطة

بشائخ العربان المقيمين بسديرية اسنا ولهم مرتبات من الحكومة فمن
الضروري حثهم على جانب الاخبار بما انهم مشايخ القبيلة والعربان تحت
ادارتهم وهم المعنيون لهذا الشأن واما هو مرتب داعيكم في الماهية فنحن
خدمنا الحكومة مده مستحقة المعاش حسب قوانين الحكومة المرعية وعلى
اي حالة اذ كان يلزمها معاشنا مثل خلافنا فهذا لزم عرضه لدولتكم
للاحاطة افندم .

• ٢٦ نوفمبر / ١٨٨٠ •

حسين خليفة
مفتش الداخلية

ملحق رقم (٦)

المخابرات المصرية ٢٢/٦/١

خطاب من احمد جودت الى صالح بك فضل الله

حضرة المحترم صالح بك ولد سالم فضل الله شيخ مشايخ عربان
الكبايش .

بعد التسلطات والتحية قد سررنا جدا ما بلغنا من ان قبيلتكم
المشهورة منعقدة تحت ادارتكم وان حضرتكم لا زلتهم أمناء للحكومة ولم
تقبلوا دعوة محمد احمد وزعماءه ولقد علمنا ان الاشقياء الآن تأهبوا
للهجوم كعملتهم بالعام الماضي لرغم انهم يقاوموا عسكريا فلو فعلوا
يوقعهم الله في ايدينا كما سبق فلم اخبرناهم انا ولا نود ان ندمرهم لكن
ان كانوا هم طالين الاقتراب منا فنكون مجبورين بأن نقلهم على أنه
معلوم للجميع ان الحكومة ضمنت ان تجعل حلقة النقطة المقدمة وليس
بفكرها الزحف عليها فوقها وحيث ذلك فلا يكون للاشقياء موجب
لتوقيفهم وفعالهم الشر فلو اتخذوا التجارة والزراعة لكان سببا لحصول
الراحة بالسودان والتكسب بدلا عن القحط الحاصل به ولكن حيث ابو
الاجماحا فهذا وقتكم واتباعكم لتصدوهم عن التداني منعا لهدف الدما

بدون سبب اتى بذلك نالوا المرات ويقطم الدهر السعادة وتبسم لكم
ايامه باعادة الخير كما كنتم عليه من قبل بل وزيادة فيقتضي بسذل الهمة
والجبر فيما اسرنا لكم وان نفلعوا على اولئك خط الرجعة وتسدوا
مستقبلهم وتفساهوهم في أي وقت يسكنكم اذ ترساوا مائنان شخص من
اتباعكم الى حلة تعطيلهم مثنان بتدفية رمتسون بجبة خاناتهم وايضا
نتساهم الف وثمانائة ريال مجيدي لاجل مسعدتكم في المصاريف وحيذا
ان اشتهرتم بالصادقة في افعالكم والنجاح في مساعبتكم فليخوانكم نعمة
جزيلة تسبق بالخيرات عنيتكم وعلى اتباعكم ولنعطيتكم تقودا من لدنا لا
يحصى عددها فتقوا باهوالنا الصادقة ذات اتوقا فحشروا عن ساعد الجد
والاهتمام سوب نجاحكم القائد بالفوائد الجزيلة هذا والحضرة الخديوية
الفخسة بكل دقة منقبة السمع عن صدق افعالكم ونجاح اجراءاتكم فلا
تدعوا هذه المنة العظيمة ان تبارحكم وعرفونا عن تنقلات الدراويش
بالجهات وكسبة اعدادهم فاننا قد نسع اقوالكم الصادقة ويرنا افعالكم
الحسيدة ان الرجاء ان الباز نقر الموجودين مع الاشقياء المايين للحكومة
يلزم من حضرتكم الهمة الزائدة باجري كل الطرق اللازمة في تهريب
المذكورين من يد العصاة بعرفنكم وحضورهم لنا وعلى رأس كل نقر
يعطى مكافأة عشرة ريالات مجيدي خلاف الاكرام الزائد الذي يحصل
لهضرتكم واذا كان يلزم مساعدة مع اتفاقية سعيدا حاكم الدبة يكون
موافق ايضا اذا حضر احد البازنقر نلقاء نفسه يكون المكافأة له عشرة
ريالات مع ما فيه غاية المعقول منكم لتسبق البازنقر بانفصالهم من
الاشقياء ودمتم *

حضرة المحترم صالح بك فضل الله شيخ مشايخ عربان الكبايش
بعد اهداء درر التحية لذاتكم الفاضلة السنية حقيقة اني مشتاق لرؤيا
طلعتكم البهية ثم الكتابة المسطرة باطننة واردة من سعادة السردار

والموضحة اعلاه محرر مسن سعادة قائد الجيش العمومي وقبل الآن
ارسالنا صورتها لحضرتكم برفقة علي جابر البشاري وخوفا من التأخير
التزمت أن ارسل هذه الآن مع حسب الجابوا من عربان الكبايش جماعة
سالم عساوي فالأمول من حضرتكم ان تتطلعوا تلك الكتابة وتجروا
اللازم عنها عاجلا وتحرروا للمشار إليها الافادة اللازمة عن جراتكم
وتفيدونا ايضا للمعلومية وسلامي على كافة اخوانكم واولادكم ودمتم *

١٢ ربيع الاول ١٣٠٢ م *

الختم احمد جودته
وكيل عموم دنقله / سابق

المصادر والمراجع

اولا : الوثائق

١ - وثائق المهديّة - دار الوثائق المركزيّة بالخرطوم

- ١ - مهديّة ٨ - منشورات ورسائل المهدي
- ٢ - مهديّة ٢ - الرسائل - دفاتر الصادر
- ٣ - مهديّة ١/١ - الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله وعبد الرحمن النجومي
- ٤ - مهديّة ٢/١ - الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله ومساعد قيديم
- ٥ - مهديّة ١٠/١ - الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله ومحمد خالد
- ٦ - مهديّة ١١/١ و ١٢/١ - الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله وعثمان آدم
- ٧ - ٢٢/١ و ٢٣/١ و ٢٤/١ - الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله ويونس الديكيم
- ٨ - مهديّة ٢٥/١ و ٢٦/١ - الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله وسائر الامراء وحمدان ابي عنجه
- ٩ - مهديّة مجموعة ٢ - الرسائل المتبادلة بين الخليفة وبعض سفراء الامراء

(ب) مخابرات الجيش المهري

- (١٠) محفظة رقم ٢٥/١
- (١١) محفظة رقم ٤٤/١

(١٢) محفظة رقم ٥٠/١

(١٣) محفظة رقم ٦/١

(ج) ارشيف مجلس الوزراء المصري

(١٤) محفظة رقم ٨١ رسائل من محمود علي بك نسيخ وناظر عموم الامراء الى الخديوي

(١٥) محفظة رقم ١٢١ اوراق متعرفة عن الحركة في السودان

(١٦) صور خطابات محلقة ارسلت الى دار الوثائق المركزية بالخرطوم دون ذكر ارقام المحافظ / اوردت صوراً لبعضها في الملاحق .

نانيا / المراجع العربية

(١) الكتب العمومية : -

(١) ابراهيم شحاتة حسن (دكتور) مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام (الاسكندرية ١٩٧١ م) . .

(٢) ابراهيم فوزي / السودان بين غردون وكتشنر جزءان ١٣١٩ هـ

(٣) احمد امين - المهدي والمهدوية

(٤) احمد امين شليمي / دكتور / التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

(٥) اسماعيل عبد الفادر الكردفاني / سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي / تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم بيروت ٧٣

(٦) عبدالله علي ابراهيم الصراع بين المهدي والعلماء

(٧) علي المهدي / جهاد في سبيل الله اعداد عبدالله محمد احمد (الخرطوم)

(٨) فان فلوتن - السيادة العربية والتسعة والاسرائيليات في عهد بني امية ترجمة دكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم (الطبعة الاولى / القاهرة ١٩٢٤ م) .

(٩) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية - ترجمة لبيب امين فارس ومشير البعلبكي

(١٠) محمد ابراهيم ابو سليم (دكتور) منشورات المهدي (بيروت ١٩٦٩) .

- (١١) محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور) الحركة الفكرية في المهديّة (الخرطوم ، ١٩٧٠ م) .
- (١٢) محمد فؤاد تكري (دكتور) السنوسية دين ودولة ، القاهرة ١٩٤٨ م .
- (١٣) محمد فؤاد تكري (دكتور) مصر والسودان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة سنة ١٩٦٣ م .
- (١٤) محمد أحمد الجابري ، في شأن الله أو التاريخ السوداني كما يرويه أهله .
- (١٥) محمد صبري (دكتور) الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٤٨ م .
- (١٦) محمد عوض محمد ، السودان الشمالي ، القاهرة ١٩٥١ م .
- (١٧) مكي تسيكة (دكتور) السودان في قرن .
- (١٨) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، الخرطوم .
- (١٩) رودلف سلاطين ، السيف والنار في السودان ، تعريب جريدة البلاغ ، نشر مكتبة الحرية ، أم درمان .

(ب) الدوريات العربية :

- (١) محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور) مخطوط في تاريخ مؤسس الختمية ، مجلة الدراسات السودانية (١) ١٩٦٨ م .
- (٢) محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور) المصادر الاولية لفترة المهديّة ، المؤتمر الثاني ، شعبة أبحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، السابع الى الثامن عشر ديسمبر ١٩٧٠ م .
- (٣) محمد رفعت رمضان (دكتور) محفوظات الخرطوم ، حويات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد الثامن ، ١٩٦٣ م .
- (٤) محمد محجوب مالك ، النظام البيروقراطي في دولة المهديّة ، مجلة الخرطوم ، ديسمبر ١٩٦٦ م .

رابعا : الرسائل غير المنشورة :

- (١) أحمد عثمان ، الجريرة في خلال المهديّة .
- (٢) محمد إبراهيم أبو سليم ، مخطوط توتشكي .
- (٣) محمد إبراهيم أبو سليم ، مفهوم الخلافة وولاية العهد في المهديّة .
- (٤) محمد سيد داوود ، الصراع بين أولاد العرب وأولاد البند .

(ب) غير العربية :

1. AL-HAJJ, The Mahdist Tradition in Northern Nigeria.
2. JOHN OBERT VOLL : A History of the Khatmiyyah Tariqah in the Sudan.
3. BROWN, KARL. L. : The Sudanese Mahdi is off, 145, on Article in « Protest and Power in Black Africa », ed. by Robert and Al Mazrin — Newport, Oxford University Press, 1974.
4. HILL, R. : A Biographical Dictionary of the Anglo Egyptian Sudan (1953).
5. HOLT, P. M. : The Mahdist State in the Sudan (1881-1893), Oxford 1954.
6. JOHN O. VALL : A History of the Khatmiyah Tariqah in the Sudan (Unpublished).
7. NEWFOLD, K. : Prisoner of the Khalifat, 1899.
8. OHRWALDER, J. : Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp . 1882-1892, tr. and ed. by F. R. Wingate (1896).
9. SLATIN, R. C. VON : Fire an Sword in the Sudan , tr. by F. R. wingate, 1896.
10. THEOBALD, A. B. The Mahdiya, 1949.
11. TRININGHAM, J. S. : Islam in the Sudan.

B .. *Periodicals* :

S. N. R.

Vol. (4) 1921 WILLIS, C. W. : Religious Confraternitions of the Sudan, P. P. 175—194.

Vol. (9) 1926, REID, J. A. : The Story of Mahdist Emir.

Vol. (17) 1943, BOLTON, A. R. C. : El Menna Ismail a Fiki and Emir in Kordafan, P.P. 229—241.

Vol. (19) 1936, LORMIER, F. C. S. : The Mejdhub of El Eamer , P.P. 335—402.

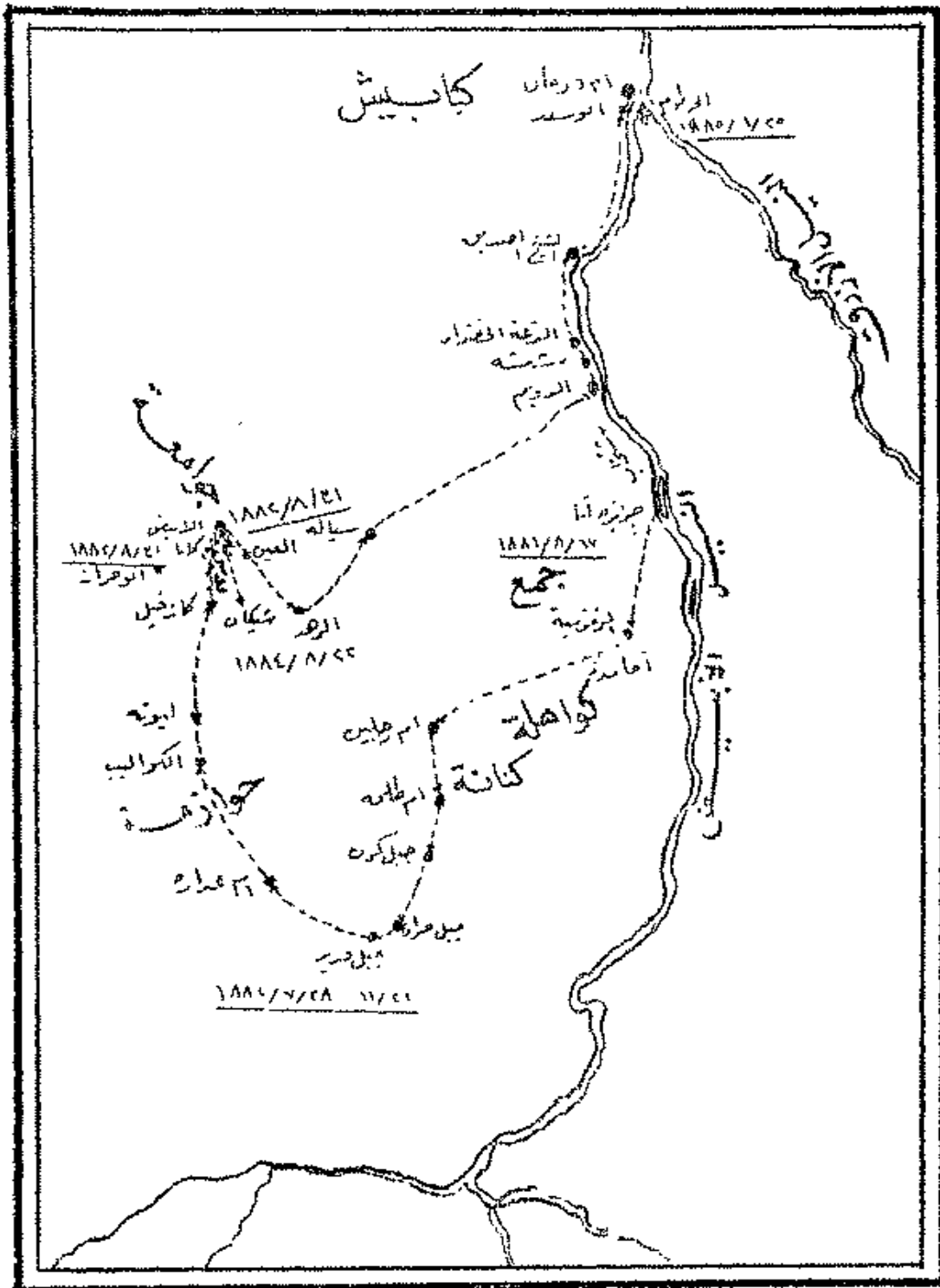
Vol. (21) 1936, REID, J. A. Some Notes on the Khalifa Abdullahi.

Vol. (13) 1950, THEOBALD, A. B. : The Khalifa Abdullahi , P . P . 255—273.

Vol. (16) 1955, HOLT, P. M. : Archives in the Mahdia, P. P . 71—80.

B. St. Antony's Paper , Middle East Affairs , London, 1958.

P. M. HOLT : The Source Materials of the Sudanese Mahdia , P. P. 107—118.



هقياس الرسم
 طريق سيرة المصري من الجزيرة ابا الى الخلدوم

القهرست

الباب الاول

الفصل الاول

فكرة المهديّة

- ١٧ فكرة المهديّة في الاسلام
٢٤ بحث فكرة المهديّة في السودان
٢٤ اسباب قيام الثورة المهديّة وانتشارها وسقوطها ومصاعبها الموضوعية

الفصل الثاني

تاريخ المهديّة

فترة المهدي

- ٤٩
٤٩ حياته الاولى
٥٦ بعثة ابي السمود
٥٧ واقعة ابا
٥٨ الهجرة
٦٠ واقعة قدير الاولى

٦١	واقعة قدير الثانية
٦٢	النوجه نحو الابيض
٦٨	واقعة شبكان
٦٩	النوجه الى الخرطوم

الفصل الثالث :

٧٥	فترة الخليفة عبدالله
٧٧	تولي الخليفة عبدالله السلطة
٨٢	تهجير البقارة
٨٦	الجهادية
٨٧	الخليفة عبدالله والجهاد
٩١	الثورات القبلية

الباب الثاني

معارضة السراي

الفصل الرابع

معارضة الدولة

٩٧	موقف الحكمدار محمد رؤوف
----	-------------------------

الفصل الخامس

١١٩	معارضة العلماء
١٢٥	رسالة المفتي شاكر
١٢٦	رسالة احمد الازهري
١٢٩	رسالة الامين الضريب

١٣١	رسالة الحسن سعد العبادي
١٣٢	رسالة الحسين زهرا
١٣٣	احمد العوام
١٣٤	المضوي عبد الرحمن
١٣٨	اسماعيل عبد القادر

الفصل السادس :

معارضة رجال الطرق الصوفية

١٤٥	دخول الطرق الصوفية في السودان
١٥١	ابطال العمل بالمذاهب وترك الطرق الصوفية

الفصل السابع :

المعارضة من الداخل

١٦١	الخلافة ومشاكلها
١٦٨	حركة عصيان المنه اسماعيل
١٧٤	ابراهيم احمد مدعي الخلافة
١٧٦	حركة ابي جيزة
١٨٢	ادعاء نبوة عيسى

الفصل الثامن :

معارضة الاشراف وأولاد البلد

١٩٣	الاشراف
١٩٩	عزل الاشراف من العمالات
٢٠٠	محمود عبد القادر

٢٠٥	محمد خالد زقل
٢٠٧	كرم الله كركساوي واخوته في بحر النزال
٢٠٨	محمد عبد الكريم
٢٠٩	محمد الخير عبدالله خوجلي
٢١٧	فتنة الاشراف
٢٢٢	سياسة الخليفة عبدالله نحو الاشراف

الفصل التاسع

الموقف القبلي

٢٢٩	القبائل المعارضة (١)
٢٢٤	القبائل المعارضة (٢)
٢٢٦	معارضة الكبايش
٢٤٤	موقف الشكرية
٢٤٧	موقف العبادة
٢٥٠	القبائل التي ناصرت دعوة المهدي ثم انقلبت عليها
٢٥٢	قبائل الجزيرة
٢٦٠	قبائل دارفور
٢٦٣	الهجرة الى ام درمان
٢٦٧	الخصامة

الملاحق

٢٧٣	ملحق (١) ... من خليفة المهدي الى محمد الخير
٢٧٧	ملحق (٢) من خليفة المهدي الى يونس الدكيم

٢٧٨	ملحق (٣) من خليفة المهدي الى محمد كركساوي
٢٨٠	ملحق (٤) من الحكمدارية الى بكري المرغني
٢٨٢	ملحق (٥) تقرير حسين باشا خليفة
٢٨٥	ملحق (٦) من احمد جودت الى صالح بك فضل الله
٢٨٩	المصادر والمراجع
٢٩٤	دليل الكتاب

To: www.al-mostafa.com